



# مَجَلَّةُ جَامِعَةِ أُمِّ الْقُرَى

لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية

العدد ( ٦١ )

جمادى الأولى ١٤٣٥هـ / مارس ٢٠١٤م

رقم الإيداع ١٤٣٣/٢٥٥ تاريخ ١٥/٩/١٤٣٣هـ / ردمد ٤٦٤٣-١٦٥٨

## قواعد النشر

١- تُقبل الأعمال المقدمة للنشر في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية حسب المواصفات التالية:

- أ. يقدم صاحب البحث أربع نسخ ورقية، ونسخة واحدة على أسطوانة ممغنطة (CD).
- ب. يطبع البحث على برنامج Microsoft Word بالخط العربي التقليدي Traditional Arabic بنط ١٦ بمسافتين على وجه واحد، مقاس A4 (٢١ X ٢٩,٧ سم)، بما لا يزيد حجم البحث عن أربعين صفحة، بما فيها المراجع والملاحق والجداول.
- ج. ترقيم صفحات البحث ترقيماً متسلسلاً، بما في ذلك الجداول والأشكال وقائمة المراجع، وتطبع الجداول والصور والأشكال واللوحات على صفحات مستقلة، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن، وتكون الهوامش مكتوبة بطريقة آلية وليست يدوية.
- د. يرفق ملخصان بالعربية والإنجليزية لجميع الأبحاث، بما لا يزيد عن ٢٠٠ كلمة.
- هـ. يكتب المؤلف اسمه وجهة عمله على ورقة مستقلة، مع إرفاق نسخة موجزة من سيرته الذاتية، وتعد خطي موقع من الباحث/ الباحثين بعدم نشر البحث، أو تقديمه للنشر لدى جهات أخرى.
- و. تُرفق أصول الأشكال مرسومة باستخدام أحد برامج الحاسب الآلي ذات العلاقة على أسطوانة ممغنطة (CD).

٢- يشار إلى جميع المصادر ضمن البحث بالإشارة إلى اسم المؤلف الأخير وسنة النشر والصفحة عند الاقتباس المباشر مثلاً (أبو زيد، ١٤٢٥هـ، ص ١٧). وإذا كان هناك مؤلفان، فيذكر الاسم الأخير لهما مثلاً (القحطاني والعدناني، ١٤٢٦هـ، ص ٥٣). أما إذا كان هناك أكثر من مؤلفين للمصدر الواحد فيشار إليهم هكذا (القرشي وآخرون، ١٤٢٧هـ، ص ١١٢) وفي حالة الإشارة إلى مصدرين لمؤلفين مختلفين فيشار إليهما هكذا (المكي، ١٤١١هـ؛ المدني، ١٤٠٩هـ)، وفي حالة وجود مصدرين لكاتب واحد في سنة واحدة، فتتم الإشارة إليهما هكذا (المحمدي، ١٤٢٠هـ أ، ١٤٢٠هـ ب).

٤- تعرض المصادر والمراجع في نهاية البحث، على أن ترتب هجائياً، حسب اسم العائلة للمؤلف، ثم الأسماء الأولى أو اختصاراتها، متبوعاً باسم الكتاب أو المقال، ثم رقم الطبعة فاسم الناشر (في حالة الكتاب) أو المجلة (في حالة المقالة)، ثم مكان النشر (في حالة الكتاب) وتاريخ النشر. أما في حالة المقال فيضاف رقم المجلة، أو السنة، والعدد، وأرقام الصفحات.

٥- يمنح الباحث عشر مستلآت من بحثه، مع نسخة من العدد الذي يظهر فيه عمله. كما تمنح نسخة واحدة من العدد هدية لكاتب المراجعة العلمية، أو التقرير، أو ملخص الرسالة الجامعية. **المراسلات:** ترسل جميع الأعمال والاستفسارات مباشرة إلى رئيس تحرير مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية. ص. ب ٧١٥، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

**البريد الإلكتروني:** E-mail: jll@uqu.edu.edu.sa

**حقوق الطبع:** تُعبّر المواد المقدمة للنشر عن آراء مؤلفيها، ويتحمل المؤلفون مسؤولية صحة المعلومات ودقة الاستنتاجات. وجميع حقوق الطبع محفوظة للناشر (جامعة أم القرى)، وعند قبول البحث للنشر يتم تحويل ملكية النشر من المؤلف إلى المجلة.

**التبادل والإهداء:** توجه الطلبات إلى رئيس تحرير المجلة، جامعة أم القرى، ص. ب: ٧١٥، مكة المكرمة. **الاشتراك السنوي:** خمسة وسبعون ريالاً سعودياً أو عشرون دولاراً أمريكياً، بما في ذلك أجور البريد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## هيئة الإشراف والتحرير

### المشرف العام

معالي مدير الجامعة

د. بكري بن معتوق عساس

### نائب المشرف العام

سعادة وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

أ.د. ثامر بن حمدان الحربي

### رئيس هيئة التحرير

أ.د. يوسف بن علي الثقفي

### هيئة التحرير

|       |                           |
|-------|---------------------------|
| عضواً | أ.د. محمد بن عمر بازمول   |
| عضواً | أ.د. طه عابدين طه أحمد    |
| عضواً | أ.د. لطف الله بن ملا خوجة |
| عضواً | د. سعد بن موسى الموسى     |
| عضواً | د. أحمد بن قوشتي مخلوف    |
| عضواً | د. محمود بن حامد عثمان    |
| عضواً | د. علاء الدين حسين رحال   |
| عضواً | د. أحمد بن محمد اليماني   |
| عضواً | د. محمد بن إبراهيم النملة |



## المحتويات

### أولاً: العقيدة:

- أدلة الشيعة الإمامية على الإمامة عرض ونقد  
أ. د. إسماعيل محمد قرني و د. عادل عبد الله حمد الشيرواني ... ١١-٨٦

### ثانياً: الحديث:

- التدبير النبوي في التعليم وأثره في نماء علم الحديث  
د. عبد الرحمن بن نويغ بن فالح السُّلَمي ..... ٨٩-١٤٢
- الصَّحَابَةُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ ابْنُ عَدِيٍّ فِي كِتَابِ الضُّعْفَاءِ (دراسة منهجية في الجرح والتعديل)  
د. عماد علي عبد السميع حسين ..... ١٤٣-١٩٢

### ثالثاً: الدعوة:

- منهجية الإصلاح في دعوات الرسل دراسة موضوعية  
د. أحمد عبد الله علي الدروبي ..... ١٩٥-٢٥٦
- المرونة في العمل الدعوي " دراسة تأصيلية "  
د. محمد هلال الصادق هلال ..... ٢٥٧-٣٣٠

### رابعاً: التاريخ والحضارة الإسلامية:

- أختام الصحابة والعلماء المسلمين خلال القرون الثلاثة الهجرية (ألفاظها- رسومها- دلالاتها) " دراسة تاريخية "  
شريفة بنت صالح المنديل ..... ٢٣٣-٣٨٥

- المواد الغذائية وأسعارها بمكة المكرمة من خلال كتاب نيل المنى لجار الله  
بن فهد ٩٢٣ - ٩٤٦ هـ / ١٥١٧ - ١٥٣٩ م ((دراسة حضارية تحليلية))  
د. عبد الرحمن حسين أبو الخيور ..... ٣٨٧ - ٤٤٠

**أولاً: العقيدة**



# أدلة الشيعة الإمامية على الإمامة عرض ونقد

أ. د. إسماعيل محمد قرني

أستاذ / كلية العلوم الإسلامية - قسم الشريعة

د. عادل عبد الله حمد الشيرواني

مدرس / كلية العلوم الإسلامية - قسم الشريعة



## أدلة الشيعة الإمامية على الإمامة

### عرض ونقد

أ. د. إسماعيل محمد قرني

د. عادل عبد الله حمد الشيرواني

### ملخص البحث

أدرك الصحابة الكرام ﷺ حقيقة الإيمان، لذا كانوا أزهد الناس في الحياة، وأنسم عهدهم بأفضل القرون، لأنهم ﷺ كانوا عالمين بأن علاج كل داء لا بد من الرجوع إلى القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، وضرورة التمسك بهما وتطبيقهما قولاً وعملاً، لذا تمكنوا من تخطي كثير من الصعوبات التي كانت تواجههم، وإيجاد حلول مناسبة لها.

ولكن على الرغم من ذلك فقد ظهر بينهم بعض الخلافات بعد وفاة النبي ﷺ حول اختيار خليفة لهم يُعالج أمور دينهم ودنياهم، وبعد أن تمكنوا من تخطي هذه العقبة (الإمامة) ظهرت في نهاية الخلافة الراشدة الفتن والانقسامات حولها، وقد أُصطبغت هذه المرة بصبغة دينية لدى أرباب الفرق لتحقيق مصالحهم الذاتية، حيث بدأ الاقتتال الداخلي، وانعكس ذلك على ظهور الفرق (الخوارج والشيعة).

وقد تمكن المنافقون وأرباب الفتنة من استغلال هذه الأجواء المشحونة، فافتعلوا مسألة الإمامة، وحرفوا الآيات القرآنية الكريمة عن معناها الصحيح، ووضعوا آلاف الأحاديث الموضوعة على رسول الله ﷺ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ﷺ في أحقيتهم بتولي منصب الإمامة.

وعند تعمق في تلك الأحداث التي وقعت في عهد الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ يتضح أنها لا تعود إلى الخلاف على السلطة، وإنما تعود إلى اختلافهم في مسائل الاجتهاد، وتباينهم في وجهات النظر.

## **Abstract**

### **The most important search results**

After our tour of the scientific value of sources reached the following conclusions:

- (1) the policy was one of the most important reasons that led to the emergence of the issue of the Imamate, which deepened the controversy and division among the ranks of Muslims.
- (2) Counting Shiites issue of the Imamate of the pillars of religion and principles, and it is the position of divine Kalnboh, as chooses God from the creation of the prophets, as well as choose the Almighty imams, and provides for them, and teaches the creation of their own, and assesses their argument, and their supporters in miracles, do not say or do, but by order of God and revelation.
- (3) The text of the exporters of the Two Holy Mosques on the way they are choosing the head of state, leaving the true street style choose the successor to the Muslims, to exercise all their will the way in which they see fulfilling their interest, but not contrary to the principles of Islam and its teachings venerable.
- (4) is not proven from the Prophet r explicit commandment to one of his companions imam after him, Flo reportedly text to a text explicitly what Muslims Achenlv about this issue.
- (5) The position of the Imamate is not lacking health ratios in most of the conditions of, it was unable Qurashi and tolerate others, but decisive forms and disputes about it offers Qureshi If Welcome him, mindful about the Prophet r them, but if there are no people of the efficiency of the Quraish provides qualified than others and, if evenly in the credit and provides Qurashi efficiency relative of the Prophet r with efficiency.
- (6) The leave of the Prophet r text on the label Imam after him evidence of the splendor of the political system in Islam and

perfection, and proof that Islam is a religion Shura, no religion, nepotism and passion.

- (7) Considered the imams of the wound and the amendment novels protested by Shia Imami on the eligibility of leading the Commander of the Faithful Ali ibn Abi Talib imam placed novels can not rely on the absence of a properly support them, and board disorder, and it is inconsistent with the correct accounts.

## المقدمة:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ ۝١ قَيِّمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ سورة الكهف:  
١ — ٢.

والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه الكرام، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.  
أمَّا بعدُ:

فقد تغير المناخ السياسي والاجتماعي بعد وفاة رسول الله ﷺ، واتسعت رقعة الدولة الإسلامية، ودخل في الاسلام المسلمون الجدد، وتربص اليهود والمنافقون بالمسلمين للكيد بهم، مستخدمين في محاولاتهم وسائل شتى لمحاربة الإسلام وهدمه، وإيقاع الفجوة بين معتنقيه.

وظهر في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ مقالات وآراء عقديّة دخيلة في الإسلام، وقد ساعدت الأوضاع الداخلية المضطربة التي كانت تشهدها الدولة الإسلامية في ذلك العهد على نشر تلك الأفكار وترويجها، وكان الاقتتال الداخلي من أهم الأسباب التي أدت إلى إضعاف الخلافة وإيقاع الفتنة بين المسلمين.

وقد تمكن الحاقدون من استغلال هذه الأجواء المشحونة، فبثوا أفكاراً يهودية ونصرانية ومجوسية بين المسلمين ليشككواهم في عقيدتهم، فأذاعوا بين الناس مظلومية علي بن أبي طالب وآل بيت الرسول ﷺ، ووصية النبي ﷺ لهم بالإمامة.

وعلى الرغم من تصدي الصحابة الكرام وفي مقدمتهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ لهذه المؤامرات والعقائد الفاسدة، إلا أن حيل المنافقين واليهود قد

مكتبتهم من تحقيق مبتغاهم، إذ تمكنوا من إقناع النفوس الضعيفة بهذه الأفكار، وأوقعوا بينهم القتال والحروب بسبب مسألة الإمامة... مما أدى إلى إضعاف الخلافة الإسلامية، وتراجع الفتوحات والغزوات.

### أهمية الموضوع:

وتظهر أهمية هذا الموضوع في مدى اختلاف الفرق بعضها عن بعض، وبما أن موضوع البحث يتعلق بمسألة الإمامة، فإنه اكتسب أهميته، لأن شرف الموضوع بمتعلقه، لذا يُعدُّ هذا الموضوع من الموضوعات المهمة والمؤثرة في حياة الفرد والمجتمع.

### هدف البحث:

ويهدف البحث إلى إظهار الحق، وإزهاق الباطل، وتوضيح أمور مهمة، ويهدف أيضاً إلى كشف المؤامرات التي مارسها المنافقون واليهود ضد الإسلام والمسلمين، وبدا للباحثين أن ما وقع بين الصحابة كان من دُسس اليهود، لأن الصحابة الكرام كانوا إخوة لم تقع بينهم المنازعة في ثوابت الإسلام، أو الطمع في متاع الدنيا وزينتها.

### سبب اختيار الموضوع:

وقد جاء اختيار الموضوع للأسباب الآتية:

- (أ) نسب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والصحابة الكرام ﷺ في مسألة الإمامة افتراءات باطلة، فأردنا تجريدهم عنها، لتطهيرهم منها.
- (ب) حبنا لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب والصحابة الكرام ﷺ وأهمية الموضوع كانت من أهم الأسباب التي دفعتنا إلى الكتابة فيه.

### منهج البحث:

وقد حاولنا في كتابة البحث إتباع المنهج الآتي:

- (١) عرض الموضوع من خلال المصادر القيّمة، وذكر أقوال العلماء ومناقشتها، مستدلاً بآيات من القرآن الكريم، ومن الأحاديث النبوية الشريفة، ومن آثار السلف الصالح وأقوالهم.
- (٢) خرّجنا الآيات القرآنية في الحاشية، فذكرنا اسم السورة، ورقم الآية معتمداً على الرسم العثماني.
- (٣) الاعتماد على الأحاديث الصحيحة، وتخريجها من مصادرها، وتحقيق الضعيف منها، وبيان أقوال أئمة علم الجرح والتعديل فيها.
- (٤) شرح المصطلحات والكلمات الغريبة في الحاشية معتمداً على المعاجم اللغوية.
- (٥) مراعاة توظيف المصادر في الحاشية، معتمداً على سنوات وفيات مؤلفيها، فقدمنا المتقدم على المتأخر في الوفاة، واقتصرنا بذكر اسم المصدر في الحاشية، أما التفاصيل الأخرى ففصلناها في قائمة المصادر.

### خطة البحث:

- واقترضت المادة العلمية المجموعة أن تتكون خطة البحث من مقدمة، فمبحثين، فنتائجه، فمصادره ومراجعته.
- وأما طبيعة البحث فاستدعت أولاً تكون صفحات مبحثيه ومطالبه متساوية الحجم، ويمكن إيجاز خطة البحث وما يحتويه في الآتي:

في المبحث الأول الذي قسمناه على مطلبين، تكلمنا في مطلبه الأول عن تعريف الإمامة في اللغة والاصطلاح، وركزنا الدراسة في مطلبه الثاني على إمامة علي بن أبي طالب وأولاده عليه السلام عند الشيعة الإمامية.

واحتضن المبحث الثاني مطلبين، ألقينا الضوء في مطلبه الأول على موقف الخوارج من الإمامة، وفي المطلب الثاني والأخير تحدثنا عن موقف أهل السنة والجماعة من الإمامة، وختمنا الدراسة بخاتمة ذكر فيها أهم نتائج البحث، والتوصيات الجديرة بالذكر.

وختاماً نعتذر عمّا بدر منا من خطأ أو تقصير، ونرجو من الله العليم الحكيم أن يلهمنا الصواب، إنه سميع مجيب.

## الباحثان

### المَبْحَثُ الْأَوَّلُ

مَفْهُومُ الْإِمَامَةِ وَالنَّصُّ عَلَى إِمَامَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَوْلَادِهِ ﷺ عِنْدَ الشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ

قبل الخوض في تفاصيل مسألة الإمامة عند الفرق الإسلامية، وما دار حولها من اختلافات من الضروري بيان مفهومها في اللغة والاصطلاح على النحو الآتي:

### المَطْلَبُ الْأَوَّلُ

تَعْرِيفُ الْإِمَامَةِ فِي اللُّغَةِ وَالْإِصْطِلَاحِ

أولاً / تَعْرِيفُ الْإِمَامَةِ فِي اللُّغَةِ

الإمامة لغة من (الإمّة)، و(الإمّة) الهيئة في الإمامة والحالة، يقال: فلان أحمقُ بِإِمَّةٍ هذا المسجد من فلان، أي: بإمامته، و(الإمّة) أيضاً: الائتِمامُ بالإمام، و(الأمّة) بالضمّ الرجلُ الجامعُ لِلْخَيْرِ<sup>(١)</sup>.

وتأتي (الإمّة) بمعنى السُنَّةِ والطَّرِيقَةِ، قال الفراء<sup>(٢)</sup>: قُرِيَءٌ عَلَى أُمَّةٍ وَهِيَ مِثْلُ السُّنَّةِ، وَقُرِيَءٌ عَلَى إِمَّةٍ وَهِيَ الطَّرِيقَةُ، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾<sup>(٣)</sup>، أي كانوا على دينٍ واحدٍ<sup>(٤)</sup>.

و(الأمّة) جَمَاعَةٌ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رَسُولٌ سِوَا آمَنُوا أَوْ كَفَرُوا، وَكُلُّ قَوْمٍ نُسِبُوا إِلَى نَبِيِّ فَأُضِيفُوا إِلَيْهِ فَهِيَ أُمَّتُهُ، فالنبي ﷺ إمامُ أُمَّتِهِ، والخليفة إمام رَعِيَّتِهِ<sup>(٥)</sup>.

و(الأمّة) الجِئِلُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ عَلَى حِدَةٍ، و(الأمّة) مَنْ هُوَ عَلَى دِينِ الْحَقِّ، مُخَالَفٌ لِسَائِرِ الْأَدْيَانِ<sup>(٦)</sup>، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٧)</sup>، وقد أنشد كثير عزة<sup>(٨)</sup> في ذلك: تَزُورُ امْرَأاً أَمَّا الْأَلَهَ فَيَتَّقِي وَأَمَّا بِفَعْلِ الصَّالِحِينَ فَيَأْتِي<sup>(٩)</sup>.

## ثانياً / تعريف الإمامة في الاصطلاح

تباينت تعريف العلماء لمصطلح الإمامة حسب اختلاف الفرق وبياناتهم، وفيما يأتي بعض التعاريف لهذا المصطلح كالاتي:

### (١) الشيعة الإمامية

(١) عرفها الشريف المرتضى<sup>(١٠)</sup> بقوله: "رياسة عامة في الدين بالأصالة لا بالنيابة عمن هو في دار التكليف"<sup>(١١)</sup>.

(٢) وذهب الطوسي إلى أن الإمامة: "رياسة عامة لشخص من الأشخاص في أمور الدين والدنيا، وهو علي بن أبي طالب<sup>عليه السلام</sup>، فيكون معصوماً بنص النبي<sup>صلى الله عليه وآله</sup>"<sup>(١٢)</sup>.

فالفرق بين التعريفين كبير، فكانت الإمامة في بادئ الأمر وظيفة دينية بالأصالة عن النبي<sup>صلى الله عليه وآله</sup>، ولكنها قد تغيرت إلى أن أصبحت رئاسة عامة لشخص من الأشخاص في أمور الدين والدنيا، محصور في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب<sup>عليه السلام</sup> كما اتضح في التعريف الثاني.

(٣) غالى بعض الشيعة في تعريف الإمامة، فذهب المتأخرون منهم إلى أنها وظيفة إلهية كالنبوة، وعدوا منكرها كافراً، وفي ذلك يقول ابن المطهر الحلي<sup>(١٣)</sup>: "الإمامة لطف عام، والنبوة لطف خاص، ويعد منكرها كافراً من باب أولى، وإنكار اللطف العام أشر من إنكار اللطف الخاص"<sup>(١٤)</sup>.

(٤) ومن المعاصرين عرفها محمد رضا، بقوله: "الإمامة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها... ونعتقد أنها كالنبوة لطف من الله تعالى... وعلى هذا فالإمامة استمرار للنبوة... ونعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن... ونعتقد أن الأئمة هم أولوا

الأمر... بل نعتقد أن أمرهم أمر الله تعالى، ونهيهام نهيه، وطاعتهم طاعته، ومعصيتهم معصيته<sup>(١٥)</sup>.

يتضح مما تقدم أن تعريف الإمامة عند الشيعة قد سادته تغييرات كثيرة بحسب أحوالهم السياسية وظروفهم الاجتماعية التي عاشوها بين المسلمين، وقد تكون سببها التقية، ولهذا تغيرت أقوالهم من منصب ديني، إلى رياسة عامة في أمور الدين والدنيا معين من قبل النبي ﷺ بالنص والوصية، ثم إلى اعتبارها لطفاً عاماً كالنبوة، وركناً من أركان الدين، وأن منكرها خارج عن الملة....

#### (ب) أهل السنة والخوارج

(١) الإمامة<sup>(١٦)</sup> ليست من أصول الدين وأركانه عند أهل السنة والجامعة والخوارج، وإنما هي مسؤولية دنيوية يتم اختيار الخليفة على أساس الشورى بين المسلمين، أما فيما يتعلق بإدراج هذه المسألة في مباحث علم العقائد فقد أجاب التفتازاني عن ذلك فقال: "الإمامة رياسة عامة في أمر الدين والدنيا خلافة عن النبي ﷺ وأحكامه في الفروع، إلا أنه لما شاعت من أهل البدع اعتقادات فاسدة مخلة بكثير من القواعد أدرجت مباحثها في الكلام"<sup>(١٧)</sup>.

وأضاف قائلاً: "لا نزاع في أن مباحث الإمامة بعلم الفروع أليق لرجوعها إلى أن القيام بالإمامة ونصب الإمام الموصوف بالصفات المخصوصة من فروع الكفايات، وهي أمور كلية تتعلق بها مصالح دينية أو دنيوية، لا ينتظم الأمر إلا بحصولها، فيقصد الشارع تحصيلها في الجملة، من غير أن يقصد حصولها من كل أحد، ولا خفاء في أن ذلك من الأحكام العملية دون الاعتقادية"<sup>(١٨)</sup>.

هذا وستناول موضوع الإمامة في مطالب عدة وكالاتي:

## المطلب الثاني

### النص على إمامة علي بن أبي طالب وأولاده ﷺ عند الشيعة

الإمامة من أهم القضايا التي ركزت عليها الشيعة بمختلف طوائفها، وقد دافعوا عن هذا المعتقد، وساقوا الأدلة لإثباتها<sup>(١٩)</sup>، لأن تنصيب الإمام عندهم يتم من قبل الله تعالى كما هو الحال في الأنبياء والرسل (عليهم السلام)، وعليه فيجب على النبي ﷺ أن يعين الخليفة من بعده، لأن ترك تعيينه يلزم منه القبح العقلي، وبما أن رسول الله ﷺ لم يترك حكماً من أحكام الإسلام إلا وبينه، فلا يتصور أن يترك هذا الحكم وهو بهذه الأهمية<sup>(٢٠)</sup>.

يقول كاشف الغطاء: "إن الإمامة منصب إلهي كالنبوة، فكما أن الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيده بالمعجزة التي هي نص من الله عليه... فكذا يختار للإمامة من يشاء، ويأمر نبيه بالنص عليه وأن ينصبه إماماً للناس من بعده... سوى أن الإمام لا يوحى إليه كالنبي، وإنما يتلقى الأحكام منه مع تسديد إلهي"<sup>(٢١)</sup>.

فيتجلى من قول كاشف الغطاء: أن حكم الإمامة - عند الشيعة - كحكم النبوة، لا تكون إلا بنص من الله تعالى على لسان رسوله ﷺ، أو لسان الإمام المنصوب بالنص إذا أراد أن ينص على الإمام من بعده، وحكمها في ذلك حكم النبوة بلا فرق، فليس للناس أن يتحكموا فيمن يعينه الله تعالى هادياً ومرشداً لعامة البشر، كما ليس لهم حق تعيينه، أو ترشيحه، أو انتخابه، ولهذا فإن النبي ﷺ - على حسب زعمهم - عين ابن عمه علي بن أبي طالب خليفته من بعده، ونص عليه بنص جلي في عدة مواطن، وأخذ البيعة له بإمرة المؤمنين يوم الغدير، وهو بدوره يعين من بعده بوصية من سيدنا رسول الله ﷺ<sup>(٢٢)</sup>.

وإضفاء للشرعية نسبوا إلى النبي ﷺ حديثاً كما يرويه المفيد والمجلسي أنه ﷺ قال: "الأئمة من بعدي اثنا عشرة، أولهم أمير المؤمنين<sup>(٢٣)</sup> علي بن أبي طالب، وآخرهم القائم، طاعتهم طاعتي، ومعصيتهم معصيتي، من أنكر واحداً منهم فقد أنكرني"<sup>(٢٤)</sup>.

ونسب الكليني إلى زرارة<sup>(٢٥)</sup> عن أبي جعفر (محمد باقر) أنه قال: "بني الإسلام على خمسة أشياء، على الصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، والولاية، قال زرارة: فقلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل، لأنها مفتاحهن، والولي هو الدليل عليهن، قلت: ثم الذي يلي ذلك في الفضل؟، فقال: الصلاة..."<sup>(٢٦)</sup>، يتضح من هذه الرواية فضل الولاية عندهم، وأنها أفضل من بقية أركان الإسلام حتى على عمود الدين (الصلاة).

وذكروا روايات أخرى خلاصتها: أن الله تعالى رخص لعباده في الفرائض أشياء، بخلاف الولاية فإنه تعالى لم يرخص فيها شيئاً، فنسبوا إلى أبي عبد الله (جعفر الصادق) قال: "إن الله افترض على أمة محمد خمس فرائض... فرخص لهم في أشياء من الفرائض الأربعة، ولم يرخص لأحد المسلمين في ترك ولايتنا، لا والله ما فيها رخصة"<sup>(٢٧)</sup>.

ولذا عدَّ المفيد أن الإيمان بإمامة أمير المؤمنين وأولاده كالإيمان بالأنبياء (عليهم السلام)، فقال "واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من بعده (عليهم السلام) فهو كمن جحد نبوة جميع الأنبياء، واعتقادنا فيمن أقر بأمر المؤمنين وأنكر واحداً من بعده من الأئمة هو بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء وأنكر نبوة نبينا محمد ﷺ"<sup>(٢٨)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن بعضاً من علمائهم من المتقدمين والمعاصرين خالفوا هذا النهج، فاعتبروا منكر الإمامة غير خارج عن الإسلام، وتجري عليه جميع أحكامه، يقول الحر العاملي: "إن الشيعة وإن أوجبوا إمامة الاثني عشر لكن منكر إمامتهم ليس بخارج عن الإسلام، وتجري عليه جميع أحكامه" (٢٩).

ويقول الدكتور موسى الموسوي: "إن المتتبع المنصف للروايات التي جاء بها رواة الشيعة في الكتب التي ألفوها بين القرن الرابع والخامس الهجريين يصل إلى نتيجة مخزنة جداً وهي أن الجهد الذي بذله بعض رواة الشيعة في الإساءة إلى الإسلام هو جهد يعادل السموات والأرض في ثقله، ويخيل إليّ أن أولئك لم يقصدوا من رواياتهم ترسيخ عقائد الشيعة في القلوب، بل قصدوا منها الإساءة إلى الإسلام وكل ما يتصل بالإسلام، وعندما نمنع النظر في الروايات التي رووها عن أئمة الشيعة وفي الأبحاث التي نشروها في الخلافة وفي تجريهم لكل صحابة الرسول ﷺ ونسفهم لعصر الرسالة والمجتمع الإسلامي الذي كان يعيش في ظل النبوة لكي يثبتوا أحقية "علي" وأهل بيته بالخلافة، ويثبتوا علو شأنهم وعظيم مقامهم نرى أن هؤلاء الرواة أساءوا للإمام "علي" وأهل بيته بصورة هي أشد وأنكى مما قالوه ورووه في الخلفاء والصحابة، وهكذا شوها كل شيء يتصل بالرسول الكريم ﷺ وبعصره مبتدئين بأهل بيته ومنتهين بالصحابة... وهنا تأخذني القشعريرة وتمتلكني الحيرة وأتساءل: أليس هؤلاء الرواة من الشيعة ومحدثيهم قد أخذوا على عاتقهم هدم الإسلام تحت غطاء حبهم لأهل البيت؟... وماذا تعني هذه الروايات التي نسبوها إلى أئمة الشيعة وهي تتناقض مع سيرة الإمام "علي" وأولاده الأئمة، وكثير منها يتناقض مع العقل المدرك، والفطرة السليمة؟" (٣٠).

وقد حاول علماء الشيعة لإثبات أحقية إمامة أهل البيت ﷺ من بعد رسول الله ﷺ التمسك بمرويات أهل السنة لإقناع أتباعهم بأن ما هم عليه موضع إجماع، وفيما

يأتي نسوق أهم أدلتهم التي استدلوها بها كالاتي:

### (١) القرآن الكريم

لجأ أصحاب هذا المذهب إلى القرآن الكريم ليجدوا دليلاً مقنعاً يحتجوا بها على أهل السنة على إثبات إمامة علي بن أبي طالب، وقد حاولوا في سبيل تحقيق هذا الغرض تأويل الآيات الكريمة تأويلاً باطنياً بعيداً عن معناها الحقيقي، وفيما يأتي نذكر بعضاً من أدلتهم على النمط الآتي:

#### أولاً / آية الولاية (٣١)

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ

رَاكِعُونَ﴾ (٣٢).

قال الطبرسي (٣٣): "هذه الآية من أوضح الدلائل على صحة إمامة علي بعد النبي بلا فصل، والوجه فيه أنه إذا ثبت أن لفظة (وليكم) تفيد من هو أولى بتدبير أموركم، ويجب طاعته عليكم، وثبت أن المراد بـ (الذين آمنوا) علي، فثبت النص عليه بالإمامة (٣٤).

وأورد الكليني رواية عن أبي عبد الله في تفسير الآية الكريمة: "إنما يعني: أولى بكم، أي: أحق بكم، وبأموالكم وأنفسكم وأموالكم - الله ورسوله - والذين آمنوا: يعني علياً، وأولاده الأئمة إلى يوم القيامة" (٣٥).

وقالوا: أن ولاية المؤمنين قد انحصرت بقوله تعالى: (إِنَّمَا) بعلي عليه السلام فاستحق أن يتولّى أمور المسلمين، وينهض بولايتهم، كما وإن الآية وجّهت المسلمين إلى موالاة أولئك الذين آمنوا وأتوا الزكاة وهم راكعون (٣٦).

إن استدلالهم بالآية الكريمة والروايات التي رووها في هذا الصدد - على فرض صحتها - لا تقوم بها الحجة وذلك للآتي:

(١) هذه الرواية التي يحتج بها الشيعة من الروايات الموضوعية التي لا يمكن الاعتماد عليها لعدم وجود سند صحيح لها، ولا يصح لجهالة رجالها<sup>(٣٧)</sup>.

(٢) الآية الكريمة نزلت في النهي عن موالاته الكفار والأمر بموالاته المؤمنين، حيث كان بعض المنافقين كعبد الله بن أبي سلول يوالي اليهود ويقول: إني أخاف الدوائر، فقال الصحابي الجليل عبادة بن الصامت إني يا رسول الله أتولى الله تعالى ورسوله، وأبرأ إلى الله تعالى ورسوله من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم، فنزلت الآية الكريمة بسبب ذلك<sup>(٣٨)</sup>.

(٣) نزلت الآية على النبي ﷺ بالنهار، وتحديداً في صلاة الظهر، فلو كان السائل مسلماً لكان واجباً عليه أن يكون في الصلاة مع المصلين مقتدياً بالرسول الأكرم ﷺ، وعلى فرض أنه لم يشتغل بالصلاة، فكيف استطاع أن يخترق الصفوف ويصل إلى علي؟ لأن أمثال علي لا يتأخرون عن الصفوف الأولى، أمّا إذا كان كافراً فإنه يحرم على الكافر دخول المسجد ولاسيما في وقت الصلاة.

(٤) الفرق بين الولاية بالفتح، والولاية بالكسر معروف في اللغة، فالولاية ضد العداوة المذكورة في الآية ليست هي الولاية بالكسر التي هي الإمارة، ولو أراد سبحانه الولاية التي هي الإمارة لقال: "إنما يتولى عليكم"، فتبين أن الآية دلت على الموالاتة المخالفة للمعاداة الثابتة لجميع المؤمنين بعضهم على بعض<sup>(٣٩)</sup>.

(٥) الآية جاءت بلفظ الجمع وعلي فرد واحد، صحيح أنه قد يأتي الجمع ويراد به المفرد للتعظيم، ولكن الأصل أنه إذا أطلق الجمع أريد به الجمع إلا بقريته، ولا توجد قريته صارفة في الآية الكريمة، فلا يصح حصره عليه ﷺ<sup>(٤٠)</sup>.

## ثانياً / آية ذوي القربى

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْرَفْ حَسَنَةً نَّزَدْنَا فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ شَكُورٌ﴾<sup>(٤١)</sup>.

قالوا: إن النبي ﷺ أمر الناس بمودة قرابته، وهذه المودة هي في آله ﷺ، مما دل على أحقية علي بن أبي طالب بالخلافة وعصمته، وعصمة بقية أهل البيت<sup>(٤٢)</sup>، يقول الطوسي: "المراد بذلك الأئمة، فإن الإمام إذا ثبتت إمامته وجبت طاعته ولزمت مودته"<sup>(٤٣)</sup>.

إن استدلالهم بهذا الدليل على أحقية علي بن أبي طالب بالخلافة لا يسلم لهم، ويمكن بيان بطلانها كالاتي:

روى عبدالله بن عباس ؓ أنه سُئِلَ عن قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ فقال: سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ<sup>(٤٤)</sup> "قُرْبَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ"، فقال عبدالله بن عَبَّاسٍ: عَجِلْتَ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ بَطْنًا مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا كَانَ لَهُ فِيهِمْ قَرَابَةٌ، فقال: {إِلَّا أَنْ تَصِلُوا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنَ الْقَرَابَةِ}<sup>(٤٥)</sup>، فدل أن قرابة رسول الله ﷺ تتعدى علياً وفاطمة وولديهما<sup>(٤٦)</sup>.

(١) الآية الكريمة في سورة الشورى مكية باتفاق أهل السنة، ومن المعلوم أن علياً إنما تزوج فاطمة ؓ بعد غزوة بدر، والحسن ولد في السنة الثالثة للهجرة، والحسين في السنة الرابعة، فتكون الآية نزلت قبل ولادة الحسن والحسين بسنين، فكيف يفسر النبي ﷺ بوجود قرابة لا تعرف، ولم تخلق بعد!<sup>(٤٧)</sup>.

(٢) اعتبر أئمة الجرح والتعديل الروايات التي ساقها الشيعة لتفسير الآية الكريمة روايات موضوعة لا يمكن الاعتماد عليها وذلك لضعف سندها واضطراب

متنها ومخالفتها مع الروايات الصحيحة، يقول ابن كثير: "وهذا إسناد ضعيف فيه مبهم لا يعرف إلا عن شيخ شيعي محترق، وهو حسين الأشقر<sup>(٤٨)</sup> ولا يقبل خبره في هذا المحل"<sup>(٤٩)</sup>.

**ثالثاً / استدلوا في أحقية ولاية علي بن أبي طالب** ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِيَجْزِيََنَّ عَمَلَكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(٥٠)</sup>، فقد فسروا الآية الكريمة تفسيراً باطنياً بعيداً عن معناها الحقيقي، إذ لا دلالة في الآية على إمامته ﷺ، ولكن مع هذا فقد فسرها القمي بقوله: "لئن أمرت بولاية أحد مع ولاية علي بن أبي طالب من بعدك ليجبطن عملك"<sup>(٥١)</sup>.

إن احتجاجهم بهذه الآية وتأويلها بهذا المعنى يخالف النقل والمنطق، لأنه كما ثبت في الأحاديث الصحيحة أنه تعالى أمر نبيه ﷺ أن يقول هذا للمشركين لما دعوهم إلى ما هم عليه من عبادة الأصنام، فقالوا: هو دينك ودين آبائك، فبين سبحانه وتعالى أنه قد أوحى إلى نبيه وإلى الرسل من قبله: لئن أشركت بالله ليبطلن عملك، وهذا في بيان خطر الشرك<sup>(٥٢)</sup>.

**رابعاً / آية المباهلة<sup>(٥٣)</sup>**

قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَآبَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾<sup>(٥٤)</sup> ﷺ<sup>(٥٥)</sup>.

قالوا: الآية الكريمة أفادت أحقية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالإمامة، وتفضيله على سائر الصحابة، لأن الله تعالى - على حسب زعمهم - أراد بقوله: {آبَاءَنَا} الحسن والحسين، وبقوله تعالى: {وَنِسَاءَنَا} فاطمة، وبقوله: {وَأَنْفُسَنَا}

نفس سيدنا رسول الله ﷺ ونفس علي بن أبي طالب، ولما كان نفس علي مثل نفس الرسول ﷺ وجب أن لا يقاربه في الفضل أحد<sup>(٥٦)</sup>.

إن الاستدلال بهذه الآية الكريمة على إمامة أمير المؤمنين لا يصح، وذلك للآتي:

(١) كلمة (النفس) لها معاني ومدلولات كثيرة، ولكن على الرغم من كثرتها لا يوجد معنى حقيقي أو مجازي يدل على خلافة علي بن أبي طالب ﷺ، وإنما المراد بها في هذه الآية دعوة الرسول ﷺ بحضوره بنفسه الكريمة ﷺ أو أقاربه في الدين أو النسب، وهذا مذكور في اللغة، وموافق في الدين<sup>(٥٧)</sup>، كما يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾<sup>(٥٨)</sup>.

(٢) وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة استعمل فيها (الأنفس) بمعنى (الإخوان) منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يٰقَوْمِ إِنكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(٥٩)</sup> أي يقتل بعضكم بعضاً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ﴾<sup>(٦٠)</sup>، أي لا يخرج بعضكم بعضاً، فالمراد بالأنفس الإخوان إما في النسب، وإما في الدين<sup>(٦١)</sup>.

(٣) قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(٦٢)</sup>، الآية الكريمة حجة بالغة

على بطلان استدلال الشيعة بقوله تعالى: {وَأَنْفُسَنَا} على معنى المماثلة والتطابق، فالآية تتكلم عن رسول الله ﷺ وعن كفار مكة، وتقول: {مِنْ أَنْفُسِكُمْ} فلا يقل أحد بأن نفس رسول الله ﷺ هي نفس كفار مكة (٦٣).

### (ب) السنة النبوية الشريفة

استدل الشيعة على أحقية علي بن أبي طالب وأولاده ﷺ بالإمامة بأحاديث مروية في كتبهم، وأخرى مروية في كتب أهل السنة والجماعة، لذا نقسم أدلتهم التي احتجوا بها في هذا الصدد إلى قسمين:

أولاً: الأحاديث التي انفردوا بروايتها، ولكن أهل السنة أسقطوها جملة وتفصيلاً، وعدوها أكاذيب موضوعة على رسول الله ﷺ وعلى الأئمة ﷺ، لذا لا نناقشها لعدم اتفاق الطرفين على صحتها، يقول ابن حزم: " لا معنى لاحتجاجنا عليهم برواياتنا، فهم لا يصدقوننا، ولا معنى لاحتجاجهم علينا برواياتهم فنحن لا نصدقها، وإنما يجب أن يحتج الخصوم بعضهم على بعض بما يصدقه الذي تقام عليه الحجة به، سواء صدقه المحتج أو لم يصدقه، لأن من صدق بشيء يلزمه القول به، أو بما يوجب العلم الضروري" (٦٤).

ولكن الحق أحق أن يقال في هذا الصدد، هو إن أهم مصادر الشيعة قد اعترفت بأن أصل الوضع والكذب قد ظهرت على يدهم كما يقول ابن أبي الحديد: "واعلم أن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة، فإنهم وضعوا في المبدأ أحاديث مختلفة في صاحبهم حملهم على وضعها عداوة خصومهم... فلما رأت البكرية (٦٥) ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث... فلما رأت الشيعة ما قد وضعت البكرية أوسعوا في وضع الأحاديث" (٦٦).

فهذا اعتراف صريح من ابن أبي الحديد على أن الشيعة هم الذين وضعوا الأحاديث في فضل الأئمة لنصرة مذهبهم زوراً وكذباً، فلا نتعرض إلى ذكرها لعدم ثبوت صحتها حتى في أهم مصادرهم.

**ثانياً: النصوص التي رواها أهل السنة والجماعة، واحتج بها الشيعة على أساس أنها روايات صحيحة تدل على خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام، لذا نتكلم عنها بشيء من التفصيل كالآتي:**

الدليل الأول / حديث الثقلين (حديث الغدير) <sup>(٦٧)</sup>

(١) روى زيد بن أرقم رضي الله عنه أنه قال: "قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فينا خطيباً بماءٍ يدعى خُمًا بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظَ وذكَّر، ثم قال: {أَمَا بَعْدُ أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولَ رَبِّي فَأُجِيبُ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ، أَوَّلُهُمَا: كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالتُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ} فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ: {وَأَهْلُ بَيْتِي، أَذْكَرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكَرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكَرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي} فقال له حُصَيْنٌ وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مِنْ حُرْمِ الصَّدَقَةِ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِّمُوا الصَّدَقَةَ؟ قَالَ نَعَمْ" <sup>(٦٨)</sup>.

(٢) وروى زيد بن أرقم رضي الله عنه أيضاً أنه قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ونزل غدیر خم، فقال: {كَأَنِّي قَدْ دَعَيْتُ فَأُجِبْتُ، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ، كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَعِزَّتِي، فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلَفُونِي فِيهِمَا، فَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلِيَّ الْحَوْضِ}، ثم قال: {إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَوْلَايَ، وَأَنَا مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ} ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال: {مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا وَلِيُّهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ} <sup>(٦٩)</sup>.

(٣) وروى عمران بن حصين رضي الله عنه أنه قال: "بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فمضى علي في السرية فأصاب جارية فأنكروا ذلك عليه، فتعاقد أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لقينا النبي صلى الله عليه وسلم لأخبرناه بما صنع علي، قال عمران: وكان المسلمون إذا قدموا من سفر بدعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فنظروا إليه وسلموا عليه، ثم انصرفوا إلى رحالهم، فلما قدمت السرية سلموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام أحد الأربعة فقال يا رسول الله: "ألم تر أن علياً صنع كذا وكذا، فأعرض عنه، ثم قام الثاني فقال مثل ذلك، فأعرض عنه، ثم قام الثالث فقال مثل ذلك، فأعرض عنه، ثم قام الرابع فقال يا رسول الله ألم تر أن علياً صنع كذا وكذا، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والغضب في وجهه فقال: {مَا تُرِيدُونَ مِنْ عَلِيٍّ، إِنَّ عَلِيًّا مِنِّي، وَأَنَا مِنْهُ، وَوَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ} (٧٠).

قال أصحاب هذا المذهب أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالتمسك بعترته "أهل بيته" دليل على أنهم هم أولياء الأمر بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه (٧١)، وفي ذلك يقول ابن بابويه القمي: "والعتره علي بن أبي طالب، وذريته من فاطمة وسلالة النبي صلى الله عليه وسلم وهم الذين نص الله عليهم بالإمامة على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، وهم اثنا عشر أولهم علي، وآخرهم القائم عليه السلام" (٧٢).

قال محمد حسين فضل الله: "عقيدتنا في هذا المجال أن النبي صلى الله عليه وسلم عين علياً رضي الله عنه للخلافة يوم الغدير بأمر من الله سبحانه وتعالى، باعتبار الآية التي نزلت ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٧٣)، فالآية بحسب التفاسير الواردة نزلت في يوم الغدير، ومعناها أنك — يا رسول — إن لم تبلي ما أنزل الله إليك في علي رضي الله عنه فكأنك لم تفعل شيئاً!!! (٧٤).

فهذه الآية الكريمة والأحاديث الشريفة التي استدلت بها الشيعة الإمامية على إمامة علي بن أبي طالب وأولاده من بعده لا يسلم لهم، ويمكن بيان بطلان استدلالهم كالاتي:

### أولاً: الآية الكريمة

(أ) سبب نزولها:

ادعاء الشيعة على أن الآية الكريمة نزلت في الغدير لا يصح، وذلك للاتي:

(١) ذكر المفسرون سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾<sup>(٧٥)</sup>، روايات متعددة فيما يتعلق بموضع نزولها، والصحيح المختار من بين تلك الأقوال كما يقول ابن كثير: "أن هذه الآية مدنية، بل هي من أواخر ما نزل بها"<sup>(٧٦)</sup>، ويرى الألوسي: "أن هذه الآية مما تكرر نزوله"<sup>(٧٧)</sup>.

(٢) سياق الآية الكريمة يبعد أن تكون نزلت يوم الغدير بشأن علي بن أبي طالب، وذلك أنها سبقت بآيات كلها في ذم أهل الكتاب، وبيان عصيانهم، والسياق لا يسمح بأي حال من الأحوال أن تصرف الآية إلى صحابة رسول الله ﷺ، إذ كيف يعقل أن يذمهم الله تعالى بعد فراغهم من عبادته وأداء مناسكه بعد أن مدحهم في أكثر من آية في قرآنه<sup>(٧٨)</sup>، يقول ابن جرير الطبري: "وهذا أمر من الله تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ بإبلاغ هؤلاء اليهود والنصارى من أهل الكتابين الذين قص الله تعالى قصصهم في هذه السورة، وذكر فيها معائبهم، وخبث أديانهم، واجترأهم على ربهم... وأن لا يشعر نفسه حذراً منهم أن يصيبه في نفسه مكروه ما قام فيهم بأمر الله... فإن الله تعالى كافيه كل أحد من خلقه"<sup>(٧٩)</sup>.

### ثانياً: الحديث الشريف

الأحاديث التي استدلت بها الشيعة واعتبروها أدلة دامغة، تتضح عند دراستها من جهة سندها أنها من الأحاديث الضعيفة التي لا يصح الاحتجاج بها، أما فيما يتعلق بمتونها - على فرض صحتها - فأنها في كل الأحوال لا تدل على أحقية علي بن أبي طالب بالخلافة، لذا أود أن أدرس مفهومها ومدلولها من أربعة أوجه نذكرها كالآتي:

الوجه الأول: سبب ورود الحديث

(١) سبب ورود الحديث كما تبين في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه هو: أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما بعث علياً رضي الله عنه إلى اليمن على سرية لجمع الصدقات، أشتكى بعض الناس من تصرفاته بسبب إنكاره لهم بتوزيع الصدقات قبل مجيئها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدل أن سبب الحديث هو بسبب الجماعة الذين اشتكوا من علي بن أبي طالب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أراد النبي صلى الله عليه وسلم من خطبته هذه تذكير الناس بكتاب الله تعالى، وأهل بيته، وأنه يجب أن يكون لهم الاحترام والتوقير والإتباع، وبعد ذلك نبّه إلى ما وقع بشأن علي رضي الله عنه، فأحب أن يبين في هذه المناسبة فضله وسابقته في الإسلام، ومنزلته عند الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وليس معناه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد بقوله: { مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ } تعيين الخليفة من بعده صلى الله عليه وسلم <sup>(٨٠)</sup>.

قال ابن كثير "إن علياً رضي الله عنه لما كثر فيه القيل والقال من ذلك الجيش، بسبب منعه إياهم استعمال إبل الصدقة، واسترجاعه منهم الحلل التي أطلقها لهم نائبه، وعلي معذور فيما فعل، لكن اشتهر الكلام فيه في الحجيج، فلذلك لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجته، وتفرغ من مناسكه، ورجع إلى المدينة فمر بغدير

خم، قام في الناس خطيباً، فبرأ ساحة علي، ورفع من قدره، ونبه على فضله، ليزيل ما وقر في نفوس كثير من الناس" (٨١).

(٢) لم يكن وقوف النبي ﷺ في الغدير لأجل علي ﷺ وإن كان يستحق ذلك وأكثر، ولكن النبي ﷺ وقف بقصد الراحة، لأن المسافة ما بين مكة والمدينة مسافة طويلة، لذلك فمن البدهاهة أن يستريح فيه النبي ﷺ والمؤمنون معه أكثر من مرة، فبعد أن انصرف الناس إلى بلدانهم وقراهم، ولم يبق من الناس إلا أهل المدينة ومن كان على طريق المدينة، أراد الرسول ﷺ أن يتكلم في هذا المكان، لأن الذين تكلموا في علي ﷺ كانوا من أهل المدينة، فأراد ﷺ أن يخص الخطاب لهم فقط (٨٢).

#### الوجه الثاني: سند الحديث

(١) هذه الأحاديث ثابتة في كتب أهل السنة، ولكنهم اختلفوا في صحتها، فقد قسم ابن حجر العسقلاني تلك الأحاديث إلى صحيح، وحسن، فقال: "وأما حديث: { مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ } فقد أخرجه الترمذي، والنسائي، وهو كثير الطرق جداً... وكثير من أسانيدھا صحاح، وحسان" (٨٣).

(٢) ولكن ابن حزم يرى رأياً مخالفاً لابن حجر، فقد اعتبر هذه الرواية من الروايات الموضوعية، فيقول: "وأما { مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ }، فلا يصح من طريق الثقات أصلاً" (٨٤)، وانتصر ابن تيمية لهذا الرأي، فقال: "أن هذا اللفظ وهو قوله: { اللهم وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ... } كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث" (٨٥).

#### الوجه الثالث: الزيادة الواردة في الحديث

بعض أئمة الجرح والتعديل لم يصححوا الزيادة الواردة فيه (٨٦)، فعلى افتراض صحة الزيادة، فإن العبرة بالشطر الأول من الحديث، وهو قوله ﷺ: { مَنْ

كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا وَوَلِيُّهُ {، أما الزيادة وهي: {اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه { أو { ادر الحق معه حيث دار { ...<sup>(٨٧)</sup> فلا تشكل حكماً بالنسبة إلى ولاية سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام، فلا عبرة بها سلباً أو إيجاباً<sup>(٨٨)</sup>.

### الوجه الرابع: المراد بالولاية

(١) دلالة كلمة (مولى) في اللغة يقع على الرب، والمالك، والسيد، والمنعم، والناصر، والمحب، والعصبة، والحليف، والعبد، والمعتق، وابن العم، والصهر... كل هذه المعاني يطلق العرب على كلمة مولى، فلا يجوز حصرها على معنى الخلافة بدون قرينة، وليس في الحديث قرينة على ذلك<sup>(٨٩)</sup>.

(٢) الحديث ليس فيه دلالة على الإمامة، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لو أرادها لم يأت بكلمة تحمل أكثر من معنى، وكان أخرى به صلى الله عليه وسلم أن يقول: خليفتي من بعدي أو الإمام من بعدي علي، ولكنه لم يأت بهذه الكلمات الفاصلة التي تحسم الخلاف في مسألة حساسة كمسألة الإمامة<sup>(٩٠)</sup>.

(٣) دل الأحاديث على التمسك بكتاب الله تعالى، وليس فيها دلالة على إمامة أحد وأما أهل البيت فأمر برعايتهم وحبهم، وحفظ حقوقهم، لأن ذلك من كمال حبه صلى الله عليه وسلم<sup>(٩١)</sup>.

### الدليل الثاني / حديث الخميس

احتجت الشيعة بأحاديث وردت في الصحيحين تفيد على حسب اعتقادهم صحة إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام وقد شكلوا منها مادة خصبة للاحتجاج على أهل السنة، وفيما يأتي ذكر بعض من تلكم الأحاديث وموقف العلماء منها وعلى النمط الآتي:

(١) روى عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه: "لَمَّا حَضَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْبَيْتِ رَجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: { هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ } فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجَعُ، وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ، فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ فَاحْتَصَمُوا، مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ قَرَّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ النَّبِيُّ ﷺ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا قَالَ عُمَرُ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالْاِخْتِلَافَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: { قَوْمُوا } قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: فَكَانَ بِنِ عَبَّاسٍ يَقُولُ إِنَّ الرِّزْيَةَ <sup>(٩٢)</sup> كُلَّ الرِّزْيَةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَبِينِ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ، مِنْ اخْتِلَافِهِمْ وَلَعَطِهِمْ " <sup>(٩٣)</sup>.

(٢) روى سعيد بن جبيرة رضي الله عنه أن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: "يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ، ثُمَّ بَكَى حَتَّى خَضِبَ دَمْعُهُ الْحَصْبَاءَ فَقَالَ: اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعُهُ يَوْمَ الْخَمِيسِ فَقَالَ: { أَتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا }، فَتَنَازَعُوا، وَلَا يَتَّبِعُنِي عِنْدَ نَبِيِّ تَنَازُعٍ، فَقَالُوا هَجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: { دَعُونِي، فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ }، وَأَوْصَى عِنْدَ مَوْتِهِ بِثَلَاثٍ: { أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ يَنْحَرُوا مَا كُنْتُ أُحِيزُهُمْ } وَنَسِيَتْ الثَّلَاثَةَ " <sup>(٩٤)</sup>.

وقد وردت روايات أخرى وبطرق مختلفة، ونود أن ندرس معنى الكتابة أو الوصية الواردة في الحديث، وامتناع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعض الصحابة عن الكتابة من وجوه عدة وبشيء من التفصيل، وذلك لوضع أحداث المجريات في مسارها الصحيح نذكرها كالاتي:

الوجه الأول: معنى الكتابة أو الوصية الواردة في الحديث

اختلف العلماء في المراد بالكتاب أو الوصية الواردة في الحديث الشريف إلى

أقوال عدة نذكرها كالاتي:

أولاً / ذهب بعض العلماء إلى أنه ﷺ كان أراد أن يكتب كتاباً ينص فيه على الأحكام ليرتفع الاختلاف عن الأمة<sup>(٩٥)</sup>.

ويمكن مناقشة هذا القول كالاتي:

(١) الرسول ﷺ بين لأُمَّته الأحكام الشرعية المتفرقة في أكثر من عشرين سنة، فكيف تصبح ملخصة منصوصة في ساعة بحيث لا يتصور فيه اختلاف الأمة، فما بقي شيء في الدين لم يبينه الرسول ﷺ، روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: { مَا تَرَكْتُ شَيْئاً مِمَّا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهِ إِلَّا وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلَا تَرَكْتُ شَيْئاً مِمَّا نَهَاكُمُ اللَّهُ عَنْهُ إِلَّا وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ }<sup>(٩٦)</sup>، فإذا كان الرسول ﷺ لم يترك شيئاً من أوامر الشرع ونواهيه إلا وقد بينه، فكيف يترك أمراً ضرورياً كالخلافة التي تتعلق عليها آمال الأمة ووحدتها<sup>(٩٧)</sup>.

(٢) القول بأن الرسول ﷺ ترك كتابة الوصية تحقيقاً لرغبة عمر بن الخطاب ؓ طعن بحق الله تعالى الذي ذكر أنه قد أكمل هذا الدين، لقوله: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾<sup>(٩٨)</sup>، وطعن أيضاً بحق الرسول ﷺ، لأنه ﷺ يكون في هذه الحالة لم يبلغ ما انزله تعالى عليه كما أمره، وهو مخالف لقوله: ﴿ يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾<sup>(٩٩)</sup>.

(٣) لم يكن في زمانه ﷺ نزاع بين المسلمين ليرتفع، ولا خلاف ليندفع، وأما باعتبار ما بعده ﷺ من الزمان مما سيقع من الاختلاف في كل مكان، فقد أخبر بوقوعه في أحاديثه كثيرة، ولم يتركها إلى وقت حضور أجله الشريف ﷺ<sup>(١٠٠)</sup>.

ثانياً / وقيل بل أراد أن ينص على أسماء الخلفاء بعده، حتى لا يقع بينهم الاختلاف، كما قال الرسول ﷺ في أوائل مرضه وهو عند عائشة: أنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: { ادع لي أبا بكر، وأحاك، حتى اكتب كتاباً، فأني أخاف أن يتميئ مئمن، ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر } (١٠١)، ومن ذهب إلى هذا الرأي الإمام النووي (١٠٢)، وابن تيمية (١٠٣)، وابن حجر (١٠٤)، وغيرهم (١٠٥).

ولاشك أن هذا القول بعيد عن الواقع، لأن التنصيب على خلافة أبي بكر أو عمر أو عثمان أو علي ﷺ لا يحتاج إلى كتابة، بل كان مجرد القول كافياً، مع أنه قد أشار إلى خلافة أبي بكر بنياية الإمامة، مع التصريح بقوله يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر (١٠٦).

#### الوجه الثاني: امتناع سيدنا عمر بن الخطاب وبعض الصحابة ﷺ من الكتابة

تنوعت آراء العلماء في سبب امتناع عمر بن الخطاب وبعض الصحابة الكرام عن كتابة الوصية التي أراد الرسول ﷺ أن يكتبها، نذكرها كالاتي:

(١) حمل النووي في قول له كلام عمر ﷺ على بعد نظره، فقال: "إنه من دلائل فقه عمر وفضائله، ودقيق نظره، لأنه خشي أن يكتب ﷺ أموراً ربما عجزوا عنها، واستحقوا العقوبة عليها، لأنها منصوصة لا مجال للاجتهاد فيها، فقال عمر حسينا كتاب الله" (١٠٧).

(٢) إن المراد بقوله: { اتتوني } أمر، وكان حق المأمور أن يبادر للامثال، لكن ظهر لعمر ﷺ مع طائفة من الصحابة أنه ليس على الوجوب، وأنه من باب الإرشاد إلى الأصح، فكرهوا أن يكلفوه من ذلك ما يشق عليه في تلك الحالة، وأرادوا أن يؤجل الكتابة إلى أن تتحسن صحته ﷺ، فحيثئذ يكتب وصيته ﷺ، لعلمهم أن

النبي ﷺ لو كان يريد أن يكتب لهم شيئاً مفروضاً لا يستغنون عنه، لم يتركه باختلافهم ولغظهم، لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(١٠٨)</sup> كما لم يترك تبليغ غيره، بمخالفة من خالفه ومعاداة من عاداه<sup>(١٠٩)</sup>.

ويقول ابن تيمية: "هم الرسول ﷺ أن يكتب كتاباً، فقال عمر ماله أهجر؟ فشك عمر هل هذا القول من هجر الحمى، أو هو مما يقول على عادته، فخاف عمر أن يكون من هجر الحمى، فكان هذا مما خفي على عمر، كما خفي عليه موت النبي ﷺ بل أنكره، ثم قال بعضهم هاتوا كتاباً، وقال بعضهم: لا تأتوا بكتاب، فرأى النبي ﷺ أن الكتاب في هذا الوقت لم يبق فيه فائدة، لأنهم يشكون هل أملاه مع تغيره بالمرض، أم مع سلامته من ذلك، فلا يرفع النزاع، فتركه الوقت، إذ لو كان كذلك لما ترك ﷺ ما أمره الله به، لكن ذلك مما رآه مصلحة لدفع النزاع في خلافة أبي بكر، ورأى أن الخلاف لا بد أن يقع"<sup>(١١٠)</sup>.

(٣) لم تكن كتابة الكتاب مما أوجبه الله عليه ﷺ أن يكتبه، أو يبلغه في ذلك، لأنه عاش بعد ذلك أياماً، وقد تحسن حاله، وخرج إلى الصلاة، فظن المسلمون أنه تعافى... فلم يذكر كل هذه المدة الوصية، أو أمر بكتابتها، فلو كان ﷺ يريد أن يوصي لأبي بكر أو عمر أو علي ﷺ لكان أوصى لأحد من هؤلاء بعد يوم الخميس صراحة وشفاهاً<sup>(١١١)</sup>، كما أوصى بثلاث شفاهة دون كتابة، يقول بن حجر: "وأوصاهم بثلاث أي في تلك الحالة، وهذا يدل على أن الذي أراد أن يكتبه لم يكن أمراً متحتماً، لأنه لو كان مما أمر بتبليغه لم يكن يتركه لوقوع اختلافهم، ولعاقب الله من حال بينه وبين تبليغه، وبلغه لهم لفظاً، كما أوصاهم بإخراج المشركين وغير ذلك، وقد عاش بعد هذه المقالة أياماً، وحفظوا عنه أشياء لفظاً، فيحتمل أن يكون مجموعها ما أراد أن يكتبه"<sup>(١١٢)</sup>.

ومما يدل على جواز الاختلاف في هذا الكتاب مع صريح أمره ﷺ للصحابة بذلك، أن الأوامر قد يقارنها ما ينقلها من الوجوب إلى الاختيار، فاختلف اجتهادهم، وصمم عمر بن الخطاب وبعض الصحابة على الامتناع لما قام عندهم من القرائن بأنه ﷺ قال ذلك عن غير قصد جازم<sup>(١١٣)</sup>.

وهذا الاختلاف شبيه باختلافهم في فهم أمره ﷺ لهم بالصلاة في بني قريظة، كما أخرج الشيخان عن ابن عمر<sup>رضي الله عنهما</sup> أن رسول الله ﷺ قال: { لَا يُصَلِّينَ أَحَدًا الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَأَذْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ نُصَلِّي لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُعْنَفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ }<sup>(١١٤)</sup>، فتخوف ناس فوت الوقت فصلوا، وتمسك آخرون بظاهر الأمر فلم يصلوا، فما عنف أحدا منهم من أجل الاجتهاد المسوغ والمقصد الصالح<sup>(١١٥)</sup>.

ويتضح مما تقدم أن الرأيين الأخيرين هما أقربا إلى الصواب، لأن لم يثبت ولو بطرق ضعيفة أن أحداً من الصحابة الكرام قد خالفوا أمر الرسول ﷺ في أمر من الأمور، وما وقع اختلافهم في كتابة الوصية، فأنهم ﷺ خافوا على صحة الرسول ﷺ فرأوا أن تؤجل الكتابة إلى أن تتحسن صحته ﷺ، لاعتقادهم أن الأمر بالكتابة كان على سبيل الاختيار وليس على الحتم والإلزام، كما حصل معهم في أمره ﷺ الصلاة في بني قريظة، ومما يرجح هذا التوجه أن رسول الله ﷺ عاش أياماً بعد ذلك ولم يأمرهم ثانية بالكتابة.

### الدليل الثالث / حديث المنزلة

أخرج الإمام مسلم عن سعد بن أبي وقاص<sup>رضي الله عنه</sup> أنه قال: "خَلَفَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تُخَلِّفُنِي فِي النَّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟ فَقَالَ: { أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونََ مِنْ مُوسَى، غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي }"<sup>(١١٦)</sup>.

قالوا: الحديث أفاد على أن سيدنا هارون كان خليفة لسيدنا موسى عليه السلام، فقول الرسول ﷺ ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى دليل على أن علياً هو خليفة رسول الله ﷺ <sup>(١١٧)</sup>.

ويمكن الإجابة عن استدلالهم هذا من وجوه عدة نذكرها كالاتي:

(١) لما استخلف الرسول ﷺ علياً على المدينة انتهز المنافقون هذه الفرصة، فأرادوا إحداث الفتنة بين المسلمين وخاصة بين آل البيت، فقالوا " ما ترك النبي ﷺ علياً في المدينة إلا لبغضه عليه ﷺ، فعندما بلغه ﷺ هذا الكلام تبع النبي ﷺ وهو خارج المدينة ﷺ، فقال يا رسول: "تُخَلِّفُنِي فِي النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟" فأراد النبي ﷺ أن يبين له ذلك، فذكر أن سبب استخلافه ليس لكره له كما يدعي المنافقون، وإنما هو لثقتة المطلقة به، فهو بمثابة ابنه، لأنه رباه صغيراً، إضافة إلى كونه ابن عمه وصهره، لذا يعد أقرب الناس إليه من ناحية القرابة، فقال له: { أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي } أي كما أبقى موسى أخاه هارون فأنا أبقىك في أهلي <sup>(١١٨)</sup>.

(٢) شعر علي بالنقص عندما سمع كلام المنافقين، فاشتكى إلى رسول الله ﷺ، لأن الولاية الذين كان النبي ﷺ يستخلفهم ما كان يتركهم مع النساء والصبيان فقط، بل كان يستخلفهم على الرجال، فعندما رأى ذلك علي وما أثاره المنافقون رأى الأمر كأن فيه منقصة، وأراد بذلك أن يعرف الحقيقة، فحلم النبي ﷺ بأصحابه ورفقه أراد أن يطيب خاطره فقال: "أنت بمنزلة هارون مني"

(٣) النبي ﷺ لم يبق علياً خليفة على أهل المدينة في تلك الغزوة، بل استخلفه على أهل بيته خاصة، حيث كان الوالي على المدينة في هذه الغزوة هو محمد بن مسلمة <sup>(١١٩)</sup>، فلا يدل الحديث على أن علياً هو أحق بالخلافة من غيره، لأنه لو

كانت العبرة بالاستخلاف لكان محمد بن مسلمة هو أحق بها، كما لا يدل هذا الترك من النبي ﷺ لعلي عليه السلام وصية له، فلو كان ترك النبي ﷺ له منقبة مجد ذاتها لما خرج خلفه (١٢٠).

(٤) سيدنا هارون لم يخلف سيدنا موسى عليه السلام، بل المشهور أن هارون عليه السلام توفي قبل النبي موسى عليه السلام، إضافة إلى أنه كان نبياً ولم يكن صحابياً (١٢١) كما يقول ابن حزم: "إن هارون لم يل أمر بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام، وإنما ولي الأمر بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون... ولم يكن علي نبياً، كما كان هارون نبياً، ولا كان هارون خليفة بعد موت موسى على بني إسرائيل، فقد صح أن كونه عليه السلام من رسول الله ﷺ بمنزلة هارون من موسى إنما هو في القرابة فقط، وأيضاً فإنما قال له رسول الله ﷺ هذا القول إذا استخلفه على المدينة في غزوة تبوك، فقال المنافقون استقله فخلفه، فلحق علي برسول الله ﷺ فشكى ذلك إليه، فقال له رسول الله ﷺ حيثئذ: { أنت مني بمنزلة هارون من موسى } يريد عليه السلام أنه استخلفه على المدينة مختاراً، كما استخلف موسى هارون (عليهما الصلاة والسلام)" (١٢٢).

(٥) استخلف النبي ﷺ غير علي بعده، فإنه بعد غزوة تبوك خرج إلى حجة الوداع، وكان علي في اليمن، ولم يتركه في المدينة، فلا يدل على أن الذين استخلفهم الرسول ﷺ خلفاء من بعده ﷺ (١٢٣).

قال ابن حزم: "ثم قد استخلف ﷺ قبل تبوك، وبعد تبوك، على المدينة في أسفاره رجالاً سوى علي، فصح أن هذا الاستخلاف لا يوجب لعلي فضلاً على غيره، ولا ولاية الأمر بعده، كما لم يوجب ذلك لغيره من المستخلفين" (١٢٤).

(٦) تشبيه علي عليه السلام بسيدنا هارون عليه السلام لا يدل على خلافته، فقد ثبت أنه شبه أبا بكر وعمر بأعظم من هارون عليه السلام، ففي غزوة بدر لما كانت قضية الأسرى

واستشار الصحابة، فرأى أبا بكر أن يعفو عنهم، وأن يفاديهم قومهم، ورأى عمر أن يقتلهم، فقال النبي ﷺ لأبي بكر إن مثلك كمثل إبراهيم يوم قال: ﴿ رَبِّ إِنَّمَنْ أَضَلَّنَا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٢٥) ومثلك كمثل عيسى إذ قال: ﴿ إِن تَعَدَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عِبَادُكُمْ وَإِن تَغْفِرَ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٢٦) ثم التفت إلى عمر فقال: يا عمر إن مثلك كمثل نوح لما قال: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ (١٢٧)، ومثلك مثل موسى، إذ قال: ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْتَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (١٢٨)، فشبّه أبا بكر بإبراهيم وعيسى، وشبّه عمر بنوح وموسى (عليهم السلام)، وأولئك من أولي العزم، وهم خير البشر بعد رسول الله ﷺ، وهم أفضل من هارون بدرجات، فليس تشبيه النبي ﷺ لعلي بهارون بأفضل أو أعظم من تشبيهه ﷺ لأبي بكر و عمر بسيدنا إبراهيم، وموسى، ونوح، وعيسى (عليهم الصلاة والسلام) (١٢٩).

قال ابن حزم: " أن رسول الله ﷺ مات وجمهور الصحابة ﷺ - حاشا من كان منهم في النواحي - يعلم الناس الدين، فما منهم أحد أشار إلى علي بكلمة يذكر فيها أن رسول الله ﷺ نص عليه، ولا أدعى ذلك علي قط، لا في ذلك الوقت ولا بعده... ومن المحال الممتنع الذي لا يمكن البتة اتفاق أكثر من عشرين ألف إنسان متنازلي الهمم والنيات والأنساب على طيِّ عهد عهده رسول الله ﷺ إليهم، وما وجدنا قط رواية عن أحد في النص المدعي إلا رواية واحدة واهية عن مجهولين إلى مجهول يكنى أبا الحمراء، لا يعرف من هو في الخلق " (١٣٠).

وقد اعترض علماء الشيعة هنا على أهل السنة، فقالوا: النبي ﷺ إذا ترك الساحة دون تخطيط لمصير الدعوة، فلا شك أن الأمة سوف تواجه مسؤولية التصرف بدون قائدها تجاه أخطر مشاكل الدعوة، وهي لا تمتلك أي مفهوم سابق بهذا الصدد، لأن خطورة الموقف بعد وفاة النبي ﷺ لم تكن شيئاً يمكن أن يخفى على أي قائد مارس العمل العقائدي فضلاً عن خاتم الأنبياء، وإضافة إلى ذلك إذا كان أبو بكر ﷺ لم يشأ أن يترك الساحة دون أن يتدخل تدخلاً إيجابياً في ضمان مستقبل الحكم بحجة الاحتياط للأمر، فإن الرسول ﷺ من باب أولى قد عين بعده خليفة للمسلمين<sup>(١٣١)</sup>.

ويمكن الإجابة عن هذا الاعتراض كالآتي:

(١) إن ترك النص على تسمية رئيس الدولة دليل على روعة النظام السياسي في الإسلام وكماله، إذ لو ثبت النص على شخص معين هل تكون الرئاسة في الدولة حقاً خالصاً له؟ هل يورث؟ وإذا كان كذلك، فعلى أية قاعدة من قواعد الإرث يوزع، للولد؟ أم للأخ؟ للكبير من هؤلاء أم لمن هو أصغر؟ ولو ترك بنتاً وأبناء عم من درجة واحدة، أو من درجات فلمن تكون الرئاسة؟<sup>(١٣٢)</sup>.

(٢) لو افترض إن رئيس الدولة الذي نص النبي ﷺ على شخص كان على جانب عظيم من الفضائل، وحسن السياسة، فهل يكون وارثه على شاكلته؟، فإذا وقع خلاف حول نقطة من تلك النقاط المثارة فمن يستطيع أن يتصور نتائجها الوخيمة التي قد تهدد كيان الأمة ووحدةها<sup>(١٣٣)</sup>.

الدليل الرابع / حديث: {عَلِيٌّ مِنِّي، وَأَنَا مِنْهُ} <sup>(١٣٤)</sup>

قالوا: أفاد الحديث على أن علياً هو الخليفة بعد الرسول ﷺ.

إن استدلالهم بهذا الحديث لا يدل على أحقيته علي بن أبي طالب ﷺ بالخلافة

وذلك للآتي:

(١) الحديث يدل على أن علياً عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله، والنبي منه في الإتيان والنصرة، لا أن يكون هو الخليفة بعده، وهذا مشابه لما قاله الرسول صلى الله عليه وآله عن جلييب (١٣٥)، وذلك لما فقد في غزوة أحد كما روي عن أبي برة أن النبي صلى الله عليه وآله كان في معزى له، فأفأ الله عليه، فقال لأصحابه: { هل تفقدون من أحد، قالوا نعم، فلأناً وفلأناً وفلأناً } ثم قال: هل تفقدون من أحد قالوا نعم، فلأناً وفلأناً وفلأناً، ثم قال هل تفقدون من أحد، قالوا لا، قال لكبي أفقد جلييباً فاطلبوه، فطلب في القتلى فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه فأبى النبي صلى الله عليه وآله فوقف عليه فقال: قتل سبعة ثم قتلوه، هذا مني وأنا منه، هذا مني، وأنا منه { (١٣٦).

وقال أيضا صلى الله عليه وآله عن الأشعريين لما روي عن أبي موسى الأشعري قال، قال النبي صلى الله عليه وآله { إن الأشعريين إذا أرملوا في العزو أو قل طعم عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في توب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم { (١٣٧).

فلا يلزم من قول النبي صلى الله عليه وآله عن علي عليه السلام أنه مني وأنا منه أنه هو الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، بل هذا للمبالغة في بيان اتحاد طريقة النبي صلى الله عليه وآله وعلي، والتزامه طاعة النبي صلى الله عليه وآله وله من النبي صلى الله عليه وآله النسب والمصاهرة والإتيان والنصرة والتأييد والقيام بحق الله تبارك وتعالى، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "علي مني، وأنا من علي عليه السلام" (١٣٨).

(٢) لما تولى علي الخلافة لم يدع نصاً، بل ذكر أنهم حملوه عليها، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: "أنا لكم وزير خير مني لكم أمير" (١٣٩)، فلو كان النص موجوداً في حقه لم يجز التنازل عنه، لأن ذلك يكون واجباً شرعياً، ولا يتصور بأبي الحسن أن يتهاون في تنفيذ أمر شرعي صادراً من الله تعالى، ومن أحب الناس إليه رسول الله صلى الله عليه وآله (١٤٠).

ومما يدل على عدم رغبته في الولاية حينما خطب طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة قوله: "والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتوني إليها، وحملتوني عليها" (١٤١).

قال ابن حجر: "هؤلاء تنقصوا علياً من حيث قصدوا تعظيمه، لأنهم نسبوه مع شجاعته العظمى، وصلابته في الدين، إلى المداهنة، والتقوية والإعراض عن طلب حقه مع قدرته على ذلك" (١٤٢).

**الدليل الخامس / حديث: { مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مَيْتَةً جَاهِلِيَّةً }.**

روى عبد الله بن عمَرَ (رضي الله عنهما) أنه قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: { مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةِ لِقِيَّ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مَيْتَةً جَاهِلِيَّةً } (١٤٣).

هذا الحديث استدل به الشيعة على أحقية آل البيت بالإمامة، وحجتهم في ذلك: أن الحديث رواه الفريقان، فيفيد العلم القطعي عن النبي ﷺ لأنه تواتر هذا الحديث عن رسول ﷺ يدل على أن الإمامة من الأصول وليس من الفروع، وهو دليل صريح على وجوب معرفة الإمام، وأن الجاهل به أو الجاحد المعاند له يموت على الكفر (١٤٤).

إن احتجاجهم بالحديث الشريف في غير محله، لأن الحديث دليل على أنه لا يجوز الخروج على ولاة أمور المسلمين بالسيف، وأن من لم يكن مطيعاً لولاة الأمور مات ميتة جاهلية، فالمراد بالميتة الجاهلية حالة الموت كموت أهل الجاهلية على ضلال، وليس له إمام مطاع، لأنهم كانوا لا يعرفون ذلك، وليس المراد أنه يموت كافراً، بل يموت عاصياً (١٤٥).

## المَبْحَثُ الثَّانِي

### مَوْقِفُ الْخَوَارِجِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنَ الْإِمَامَةِ

تباين موقف الخوارج وأهل السنة من موضوع الإمامة، وستتناول بيان آراء المذهبين نذكرها كالآتي:

#### المَطَّابُ الْأَوَّلُ

#### مَوْقِفُ الْخَوَارِجِ مِنَ الْإِمَامَةِ

لم يكن للخوارج في بداية ظهورهم نظرية صريحة بشأن الإمامة، ولكن أدركوا أن كل دعوة تستهدف الوصول إلى قيادة الأمة لا تستطيع الاستمرار والحياة إلا بالإمامة واختيار الأمير، وفي هذا الصدد حث سنان بن حمزة الأسدي<sup>(١٤٦)</sup> أتباعه على اختيار أمير لهم، فقال: "يا قوم إن الرأي ما رأيتم وإن الحق ما ذكرتم، فولوا أمركم رجلاً منكم، فإنه لا بد لكم من عماد، وسناد، ومن راية تحفون بها، وترجعون إليها"<sup>(١٤٧)</sup>، فاستجابة لهذه الدعوة اختاروا عبد الله بن وهب الراسبي أميراً لهم<sup>(١٤٨)</sup>، واعتبروه الإمام الشرعي والأمير المنتخب، وأنه رأس الدولة الإسلامية الذي يستحق الطاعة والولاء<sup>(١٤٩)</sup>.

فيتضح من قول سنان بن حمزة أن نصب الخليفة ليس بواجب شرعاً ولا عقلاً، ولكن لضرورة وحدة المسلمين رأوا اختيار خليفة لحراسة الدين، وتنفيذ الأحكام<sup>(١٥٠)</sup>.

أما فيما يتعلق بآلية اختيار الإمام، فقالوا: أنه يكون بالاختيار العام بين المسلمين وعلى أساس الشورى، ولا فرق بين الموالي والعرب، بشرط أن يكون قائماً بالعدل منفذاً لأحكام الشرع، مبتعداً عن الغلط والزيغ، فإن حاد عن الحق وجب عزله أو قتله، ولهذا قالوا بصحة خلافة الشيخين ﷺ لصحة اختيارهما<sup>(١٥١)</sup>.

وقالوا بصحة خلافة عثمان بن عفان قبل أن يغير ويبدل على سنة الله تعالى ورسوله ﷺ - على حسب زعمهم - فلما غير وبدل وجب قتاله، أما علي بن أبي طالب فكانت سيرته حسنة عندهم حتى نهاية معركة صفين، ولكنهم اعتقدوا أنه أخطأ في التحكيم، فحكموا بكفره والخروج عليه<sup>(١٥٢)</sup>.

وعلى هذا الاعتبار أجازوا الخروج عن طاعة الإمام، لأن الإمام بمثابة المثل الأعلى، فينبغي أن يتصف بالصفات الحميدة قولاً وفعلاً، وبمجرد تواجد أقل خطأ فيه يجب القيام في وجهه ومحاسبته، فإما أن يعتدل وإما أن يعتزل، ولأن كفر الإمام سببٌ في كفر رعيته، فإذا تركه رعيته دون إنكار فإنهم يكفرون أيضاً<sup>(١٥٣)</sup>.

وأدى هذا التطرف في الرأي مع أئمتهم إلى أن يعزلوا أميراً وينصبوا آخر لأقل الأسباب، لذلك لم يتنازعا في سبيل الإمارة إلا نادراً بين قادتهم، ولعل مسؤولياتها الجسام وحساسية العمل مع هؤلاء القوم جعل قادتهم يتجنبون الاندفاع نحو هذا المنصب<sup>(١٥٤)</sup>.

ومن الجدير بالذكر أن الخلافة لا تختص عندهم ببيت من بيوت، أو قبيلة من قبائل العرب، فلا فضل فيها لقرشي على عربي، ولا لعربي على أعجمي، بل يفضلون أن يكون الخليفة لا عصبه له، ليسهل عزله<sup>(١٥٥)</sup>، يقول الأشعري: "الخوارج... يرون أن الإمامة في قريش وغيرهم إذا كان القائم بها مستحقاً لذلك، ولا يرون إمامة الجائر، وحكى زرقان عن النجدات أنهم يقولون أنهم لا يحتاجون إلى إمام، وإنما عليهم أن يعلموا كتاب الله سبحانه فيما بينهم"<sup>(١٥٦)</sup>.

وبناء عليه فإنهم يرون أن المسلم الذي تجتمع فيه صفات العلم والزهد يستحق تلك الوظيفة، فالمعيار والميزان المعترف في اختيار الخليفة يكون على أساس الفضيلة والتقوى،

وليس القرابة والنسب، يقول معاذ بن جوين بن حصين<sup>(١٥٧)</sup>: "... وإنما ينبغي أن يلي على المسلمين إذا كانوا سواء في الفضل أبصرهم بالحرب، وأفقههم في الدين، وأشدهم اضطلاعاً بما حمل"<sup>(١٥٨)</sup>.

وقد استدلت أصحاب هذا المذهب - الخوارج - على جواز كون الخليفة من غير قریش بأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ومن المعقول نذكرها كالآتي:

### أولاً / القرآن الكريم

قالوا: لم يضع القرآن الكريم ولا السنة النبوية الشريفة شروطاً بالنسبة إلى صفة الخليفة الذي يخلف الرسول ﷺ، وإنما بيّنا أن أمرهم شورى بينهم كما في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾<sup>(١٥٩)</sup>، فأمر الله تعالى بالمساواة بين عباده، فالمسلمون تتكافأ دماؤهم، فلا خصوصية لقریش فيها، ولا مزية لهم عن سواهم، بل كل من صار أهلاً لها جاز توليته من دون النظر إلى نسبه، أو قبيلته التي ينتمي إليها، أو منصبه ووظيفته، فهذه الأمور ليست لها اعتبار في الإسلام<sup>(١٦٠)</sup>، يقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>(١٦١)</sup>.

كما أن الرسول الأكرم ﷺ قد أخبر في حُطْبَةٍ فِي وَسْطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ بقوله: { يا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَيْبَكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَائَكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَأَفْضَلُ لِعَرَبِيٍّ عَلَىٰ أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجْمِيٍّ عَلَىٰ عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرٍ عَلَىٰ أَسْوَدٍ، وَلَا لِأَسْوَدٍ عَلَىٰ أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَىٰ }<sup>(١٦٢)</sup>.

### ثانياً / السنة النبوية الشريفة

(١) روى أنس بن مالك<sup>رضي الله عنه</sup> قال، قال رسول الله ﷺ: { اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَانَ رَأْسُهُ زَبِيئَةً }<sup>(١٦٣)</sup>.

(٢) وروثُ أُمِّ الْحُصَيْنِ الْأَحْمَسِيَّةِ<sup>(١٦٤)</sup> أنها قالت: "حَجَّجْتُ مع رسول الله ﷺ حَجَّةَ الْوُدَاعِ، فقال رسول الله ﷺ قَوْلًا كَثِيرًا، ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: { إِنْ أَمَرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ مُجَدَّعٌ { حَسِبْتُهَا قَالَتْ أَسْوَدُ { يَفْقِدُكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ فَاسْمِعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا } (١٦٥).

ولكن أهل السنة رأوا أن الحديثين لا يدلان على جواز الإمامة في غير قريش، لأن وجوب السمع والطاعة لأمر وإن كان حبشياً لا إشكال فيه، وهذا لا يمنع اشتراط الإمامة في قريش، ويمكن بيان المراد بالحديثين كالآتي:

(أ) أن يكون العبد مستعملاً من جهة الإمام القرشي، وليس هو الإمام الأعظم<sup>(١٦٦)</sup> أو قد يكون العبد الحبشي على وجه ضرب المثل، وإن لم يتحقق وقوعه، كما قال ﷺ فيمن بنى مسجداً: { من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة ليبيضها بئى الله له بيتاً في الجنة }<sup>(١٦٧)</sup> وحمل أكثر العلماء ذلك على عدم النظر إلى حجم المسجد، بل وإن كان المسجد صغيراً وقصد رضاء الله بنى الله تعالى له بيتاً في الجنة، لأن المكان الذي تفحص القطاة عنه لتضع فيه بيضها وترقد عليه لا يكفي مقداره للصلاة فيه<sup>(١٦٨)</sup>.

(ب) إنه ﷺ أطلق على طرق المبالغة في وجوب السمع والطاعة، أو باعتبار ما كان قبل العتق<sup>(١٦٩)</sup>.

## المَطَابُ الثَّانِي

### مَوْقِفُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنَ الْإِمَامَةِ

مسألة الإمامة عند أهل السنة ليست من مسائل أصول الدين وأركانها، وإنما هي مسألة دنيوية، يختار الخليفة على أساس الشورى، ولأهمية هذا المنصب وضرورته الاجتماعية يتعين على الأمة أن تبادر إلى اختيار خليفة لأنفسهم، إذ لا يمكن أن ينعم الناس بالأمن وتستقر الحياة إلا بوجود حاكم، فيكون هو المرجع الأخير لحل الخلافات وحماية الأمة... ولهذا سارع الصحابة الكرام ﷺ إلى اختيار أبي بكر الصديق ﷺ خليفة لهم بعد وفاة رسول الله ﷺ مباشرة، يقول التفتازاني: "أنه لا بد للأمة من إمام يحبي الدين، ويقوم السنة، وينتصر للمظلومين، ويستوفي الحقوق ويضعها في موضعها"<sup>(١٧٠)</sup>.

وقد حصر أصحاب هذا الاتجاه الخلافة في قریش، فلا يجوز عندهم تولي غير قرشي هذه الوظيفة، وقد نقل ابن الحجر الإجماع على ذلك، فقال: "اشتراط كون الإمام قرشياً مذهب العلماء كافة، وقد عدوها في مسائل الإجماع، ولم ينقل عن أحد من السلف فيها خلاف، وكذلك من بعدهم في جميع الأعصار" (١٧١).

وفيما يأتي نعرض أهم أدلتهم ومن خلال مناقشتها يتضح الرأي الراجح نذكرها على النمط الآتي:

### أحاديث / الأئمة من قریش

ورد عن رسول الله ﷺ أحاديث عدة يفيد ظاهرها أن الخلافة يجب أن تكون في قریش إلى يوم القيامة، نذكر تلك الأحاديث مع مناقشتها كالاتي:

### الحديث الأول:

(١) روى عبدالله بن عمر (رضي الله عنهما) أن النبي ﷺ قال: { لَا يَزَالُ هَذَا الْأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْهُمْ اثْنَانِ } (١٧٢).

(٢) وروى الزهري: أن محمداً بن جبير بن مطعم يحدث أنه بلغ معاوية وهو عنده في وفد من قریش أن عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث أنه سيكون ملكاً من قحطان، فعضب معاوية، فقام فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد: فإنه بلغني أن رجلاً منكم يتحدثون أحاديث ليست في كتاب الله تعالى ولا تؤتروا عن رسول الله ﷺ، فأولئك جهالكم، فإياكم والأمانى التي تُضِلُّ أهلها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: { إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ، لَا يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ إِلَّا كَبَهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ مَا أَقَامُوا الدِّينَ } (١٧٣).

(٣) وروى عَبْدُ اللَّهِ بن أَبِي الْهَدَيْلِ رضي الله عنه <sup>(١٧٤)</sup>: كَانَ نَاسٌ مِنْ رَيْبَعَةَ عِنْدَ عَمْرٍو بنِ الْعَاصِ رضي الله عنه، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَكْرِ بنِ وَاثِلٍ: لَتَنْتَهَيْنَ قُرَيْشٌ أَوْ لَيَجْعَلَنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ فِي جُمُهورٍ مِنَ الْعَرَبِ غَيْرِهِمْ، فَقَالَ عَمْرُو بنِ الْعَاصِ: كَذَبْتَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: {قُرَيْشٌ وُلَاةُ النَّاسِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} <sup>(١٧٥)</sup>.

قال النووي: "هذه الأحاديث وأشباهاها دليل ظاهر على أن الخلافة مختصة بقريش لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم، وعلى هذا انعقد الإجماع في زمن الصحابة، فكذلك بعدهم، ومن خالف فيه من أهل البدع، أو عرض بخلاف من غيرهم، فهو محجوج بإجماع الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم بالأحاديث الصحيحة" <sup>(١٧٦)</sup>.

#### مناقشة الحديث:

استدل أصحاب هذا القول بالأحاديث المار ذكرها على أن رسول الله ﷺ جعل الولاية بيد قريش، ولكن عند مقارنة هذه الروايات بالروايات الأخرى يتضح أن المراد منها ليس الخلافة، وإنما سبقهم وقدمتهم للناس في الخير والشر، فأوائل الذين دخلوا في الإسلام وخدموه بأموالهم وأنفسهم كانوا من قريش، فلهم الفضل في ذلك على المسلمين، ولعل هذا هو المعنى المراد به في حديث عمرو بن العاص السابق، وهو ما يتوافق مع حديث يرويه أبو هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: {النَّاسُ تَبِعُوا لِقُرَيْشٍ فِي هَذَا الشَّأْنِ، مُسْلِمُهُمْ تَبِعُوا لِمُسْلِمِهِمْ، وَكَافِرُهُمْ تَبِعُوا لِكَافِرِهِمْ} <sup>(١٧٧)</sup>.

وقد يتجلى معنى الحديث أكثر في رواية علي بن أبي طالب رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ أَدْنَايَ وَوَعَاةَ قَلْبِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: {النَّاسُ تَبِعُوا لِقُرَيْشٍ، صَالِحُهُمْ تَبِعُوا لِصَالِحِهِمْ، وَشِرَارُهُمْ تَبِعُوا لِشِرَارِهِمْ} <sup>(١٧٨)</sup>.

### الحديث الثاني:

روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب البيت وكنس فيه فقال: { الأئمة من قريش، إن لهم عليكم حقاً، ولكم عليهم حقاً مثل ذلك، ما أن استرحموا فرحموا، وإن عاهدوا وفوا، وإن حكموا عدلوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين } (١٧٩).

وللحديث شواهد أخرى منها: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { إن لي على قريش حقاً، وإن لقريش عليكم حقاً، ما حكموا وعدلوا، وأتتمنوا فادؤوا، وأسترحموا فرحموا، فمن لم يفعل منهم فعليه لعنة الله } (١٨٠).

### مناقشة الحديث:

(١) الحديث الشريف قيد طاعة قريش بالشروط الثلاثة، فلو أخذنا بمفهوم المخالفة تكون طاعتهم غير واجبة، إذا ما اختلفوا بشرط منها وهي: إن استرحموا رحموا، وإن عاهدوا وفوا، وإن حكموا عدلوا، فلو كانت طاعتهم وولايتهم واجبة في كل الأحوال لما اشترط الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الشروط (١٨١)، وهذا معنى قد يتضح في حديث ثوبان رضي الله عنه أنه قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم: { استقيموا لقريش ما استقاموا لكم، فإن لم يفعلوا فضعوا سيوفكم على أعناقكم، فأيدوا خضراءهم، فإن لم تفعلوا فكونوا حرائين أشقياء، تأكلوا كد إيديكم } (١٨٢).

(٢) حديث { الأئمة من قريش } وإن كان قد أثنى عدد من العلماء على رجال بعض طرقه، إلا أنه لا يرقى إلى درجة الصحيح للاحتجاج به في أمر مهم كالخلافة، فالبخاري مثلاً أورده في تاريخه (١٨٣) ولم يخرج في صحيحه، ومسلم عنون باباً في صحيحه بعنوان "الناس تبع لقريش والخلافة في قريش" (١٨٤)، ولم يخرج الحديث بهذا اللفظ (١٨٥).

(٣) تقييده ﷺ بقاء ملك قريش بإقامة الدين دليلٌ على أنهم إذا لم يقيموا الدين فإنَّ الأمر يخرج عنهم إلى غيرهم، وهكذا وقع الأمر، فيستفاد من هذا الحديث أن ولايتهم على المسلمين مرتبطة بإقامة دين الإسلام، فمن أقامها ثبتت ولايته، ومن ضيعها خرج الأمر من يده (١٨٦).

(٤) الإسلام منذ دعوته الأولى ناهض الأنساب على أساس التفاضل والتفاخر دون العمل والتقوى، كما في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١٨٧).

#### الحديث الثالث:

روى سعد بن أبي وقاصٍ ﷺ أنه قال: كَتَبْتُ إِلَى جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ (١٨٨) أَنْ أَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: فَكَتَبَ إِلَيَّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: { لَا يَزَالُ الدِّينُ قَائِمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، أَوْ يَكُونَ عَلَيْكُمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ } (١٨٩).

وللحديث شواهد أخرى، ولكن لم يحصرها في قريش، روى سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ (١٩٠)، قال سمعت جابر بن سمرة ﷺ يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: { لَا يَزَالُ الْإِسْلَامُ عَزِيزًا إِلَى اثْنِي عَشَرَ خَلِيفَةً } ثُمَّ قَالَ كَلِمَةً لَمْ أَفْهَمَهَا فَقُلْتُ لِأَبِي مَا قَالَ، فَقَالَ: كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ (١٩١).

وروى جابر بن سمرة ﷺ قال: انْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعِيَ أَبِي فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: { لَا يَزَالُ هَذَا الدِّينُ عَزِيزًا مَنِيعًا إِلَى اثْنِي عَشَرَ خَلِيفَةً }، فَقَالَ كَلِمَةً صَمِنِيهَا النَّاسُ، فَقُلْتُ لِأَبِي مَا قَالَ، قَالَ: كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ (١٩٢).

### مناقشة الحديث:

(١) حصر الخلفاء { كلهم من قُرَيْشٍ } لم يرد في متن الحديث الثاني والثالث، وإنما هو من كلام الراوي واجتهاده، ومعلوم أن أمراً مهماً كالخلافة لا يجوز العمل به على اجتهاد راوي الحديث (١٩٣).

(٢) الحديث فيه إشارة بوجود اثني عشر خليفة عادل من قريش، وإن لم يوجدوا على الولاء، وإنما اتفق وقوع الخلافة المتتابعة بعد النبوة في ثلاثين سنة، ثم قد كان بعد ذلك خلفاء راشدون، منهم الحسن بن علي، وعمر بن عبد العزيز... (١٩٤).

(٣) ليس في الحديث دليل على عدم جواز الخلافة في غير قريش، بل مقتضاه إخبار على أنه سيكون في هذه الأمة خلفاء، ومن بينهم اثنا عشر قرشياً، وأن الإسلام في عهدهم سيكون في عزة ومنعة (١٩٥).

### الدليل الرابع:

ومن الأدلة التي استدلووا بها على كون الخليفة يجب أن يكون من قريش، أن المهاجرين لم يرضوا بأن تكون الخلافة من غيرهم، فلو كانت جائزة لما عارضوا الأنصار في مطالبتهم بها (١٩٦).

ويبدو أن هذه الحجة في غير محلها، لأنه لم ينتخب الصديق ﷺ من قبل المهاجرين على أساس أنه من قريش، وإن قريشاً أفضل القبائل، وإنما انتخب ﷺ لأنه كان أفضل مرشح على الإطلاق، فالنظام الذي تم ترشيح الخليفة عليه هي الفضل بالاختصاص والكفاءة، وقد احتج عمر بن الخطاب على الأنصار يوم السقيفة بأحقية الصديق ﷺ بالخلافة وتفضيله على غيره بإمامته في الصلاة أثناء مرض رسول الله ﷺ، وليس لكونه قرشياً (١٩٧).

وأما فيما يتعلق بحجة المهاجرين " أن العرب لا تدين بالولاء إلا لقريش " فكان ذلك معللاً بوقته، أما إذا تغير الحال، وانتفت العلة، انتفى الحكم الذي بني عليها، لأن الحكم يدور مع العلة وجوداً وعدمًا<sup>(١٩٨)</sup>.

وعليه فنقول:

(١) تكون الخلافة من قريش حسماً للأشكال والخلافات بشأنها إذا كان الخليفة أهلاً لها، مراعيًا لقراية الرسول ﷺ لهم.

(٢) إذا لم نجد أهل الكفاءة من قريش يقدم الأكفاء من غيرهم.

(٣) إذا تساوى في الفضل والكفاءة يقدم القرشي لقرايته للنبي ﷺ ولظواهر الأدلة، مع كفاءته.

قال أبو زهرة<sup>(١٩٩)</sup>: " وبذلك تنتهي إلى أن هذه النصوص والآثار لا تدل دلالة قطعية على أن الإمامة يجب أن تكون من قريش، وأن إمامة غيرهم لا تكون خلافة نبوية، وعلى فرض أن هذه الآثار تدل على طلب النبي ﷺ أن تكون الإمامة من قريش، فإنها لا تدل على طلب الوجوب، بل يصح أن يكون بياناً للأفضلية لا لأصل صحة الخلافة، وأن هذا متعين إذا فرضنا أن الآثار تفيد الطلب، فإنه يكون طلب أفضلية لا طلب صحة "<sup>(٢٠٠)</sup>.

### أهم نتائج البحث

وبعد جولتنا العلمية بين المصادر القيمة توصلنا إلى النتائج الآتية:

- (١) السياسة كانت من أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور مسألة الإمامة، وهى عمقت الخلاف والتفرقة بين صفوف المسلمين.
- (٢) عدّ الشيعة مسألة الإمامة ركناً من أركان الدين ومبادئه، وأنها منصب إلهي كالنبوة، فكما يصطفي الله تعالى من خلقه الأنبياء، كذلك يختار تعالى الأئمة، وينص عليهم، ويعلم الخلق بهم، ويقيم بهم الحجة، ويؤيدهم بالمعجزات، فلا يقولون أو يفعلون إلا بأمر الله تعالى ووحيه.
- (٣) لم يرد نص من المصدرين الشريفين على الطريقة التي يتم بها اختيار رئيس الدولة، فترك الشارع الحنيف أسلوب اختيار الخليفة إلى المسلمين، ليمارسوا بكل إرادتهم الطريقة التي يرونها محققة لمصلحتهم، على ألا يخالف ذلك مبادئ الإسلام وتعاليمه الجليلة.
- (٤) لم يثبت عن الرسول ﷺ وصية صريحة لأحد من أصحابه بالإمامة من بعده، فلو ورد نص لأحد بنص صريح لما اختلف المسلمون حول هذه المسألة.
- (٥) منصب الإمامة لا يفتقر إلى صحة النسب في معظم أحواله، فقد يعجز القرشي ويطبق غيره، ولكن حسماً للأشكال والنزاعات بشأنه يقدم قرشي إذا كان أهلاً له، مراعين قرابة الرسول ﷺ لهم، أمّا إذا لم يوجد أهل الكفاءة من قرشي فيقدم الأكفاء من غيرهم، وإذا تساوى في الفضل والكفاءة يقدم القرشي لقرابته للنبي ﷺ مع كفاءته.

(٦) إن ترك الرسول ﷺ النص على تسمية الإمام من بعده دليل على روعة النظام السياسي في الإسلام وكماله، ودليل على أن الإسلام دين الشورى، لا دين المحسوبة والعاطفة.

(٧) اعتبر أئمة الجرح والتعديل الروايات التي احتج بها الشيعة الإمامية على أحقية إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ بالإمامة روايات موضوعة لا يمكن الاعتماد عليها لعدم وجود سند صحيح لها، واضطراب متنها، ومخالفتها مع الروايات الصحيحة.

## الهوامش والتعليقات:

- (١) ينظر: تاج العروس: ٢٢٩/٣١، مادة: أمّ.
- (٢) هو: يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد، كنيته أبو زكريا، المعروف بالفراء، إمام الكوفيين بالنحو واللغة وفنون الأدب، ولد بالكوفة سنة ١٤٤ هـ، توفي في طريق مكة سنة ٢٠٧ هـ (ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٠/١١٨، برقم (١٢)).
- (٣) سورة البقرة: ٢١٣.
- (٤) ينظر: تاج العروس: ٢٢٩/٣١.
- (٥) ينظر: تهذيب اللغة: ٤٥٧/١٥ ومعجم الوسيط: ١ / ٢٧.
- (٦) ينظر: لسان العرب: ١٢ / ٢٦ وتاج العروس: ٢٢٩/٣١.
- (٧) سورة النحل: ١٢٠.
- (٨) هو: كثير بن عبد الرحمن بن الاسود بن عامر الخزاعي، أبو صخر: شاعر، متيم مشهور، من أهل المدينة، أكثر إقامته بمصر، وفد على عبد الملك بن مروان، فازدرى منظره، ولما عرف أدبه رفع مجلسه، توفي سنة ١٠٧ هـ (ينظر: وفيات الأعيان: ٤ / ٤ / ١٠٦).
- (٩) ديوانه: ٢١٣.
- (١٠) هو: علي بن حسين بن موسى، القرشي العلوي الحسيني الموسوي البغدادي، من ولد موسى الكاظم، كان يقول بالاعتزال، ولد ببغداد سنة ٣٥٥ هـ، وتوفي بها سنة ٤٣٦ هـ (ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٧ / ٥٨٨، برقم (٣٩٤)).
- (١١) رسائل المرتضى: ٢ / ٢٦٤.
- (١٢) الرسائل العشر: ١٠٣ وينظر: والصورم المهرقة: ٥١ وكشف الحجب والأسرار: ١٧٨.
- (١٣) هو: الحسن - ويقال: الحسين - بن يوسف ابن علي بن المطهر الحلبي، جمال الدين، من أئمة الشيعة، وأحد كبار العلماء، ولد سنة ٦٤٨ هـ، توفي سنة ٧٢٦ هـ (ينظر: الأعلام: ٢ / ٢٢٧).
- (١٤) الألفين ٣ نقلاً عن: الإمام علي: ٤٩٨.

(١٥) عقائد الإمامية: ٦٥.

(١٦) اتفق العلماء على جواز تسمية الإمام: خليفة، وأمير المؤمنين، فأما تسميته إماماً فتشبيهاً بإمام الصلاة في وجوب الإتياع والاختداء به فيما وافق الشرع، ولهذا سمي منصبه بالإمامة الكبرى (ينظر: الفصل في الملل والهواء والنحل: ٤ / ٧٤ وفتح الباري: ٢ / ١٥٤، برقم (٦٣٣) وعمدة القارئ: ١٨٩ / ٥ ومرفقة المفاتيح: ٢ / ٢٩٨، برقم (٦٢٣)). وأما تسميته خليفةً فلكونه يخلف النبي ﷺ في حراسة الدين وسياسة الدنيا في الأمة، فيقال خليفة بإطلاق، وخليفة رسول الله ﷺ، كما يقول ابن خلدون بقوله: "والخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدينية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به" (مقدمة ابن خلدون: ١٩١).

(١٧) شرح المقاصد في علم الكلام: ٢ / ٢٧٢ وينظر: الخلافة: ١٧ وحدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار: ٣٩٩ وحاشية الرملي: ٤ / ١٠٨ والفواكه الدواني: ١ / ١٠٦

(١٨) شرح المقاصد في علم الكلام: ٢ / ٢٧١.

(١٩) ينظر: السنة والشيعنة وحدة الدين: ٢٢ والتشيع نشأته، ومعالمه: ١٥٨ وبين الشيعة وأهل السنة: ١٨٩ والشيعة الاثنا عشرية: ٣٩٥ وتوثيق السنة بين الشيعة الإمامية وأهل السنة: ٦٤.

(٢٠) ينظر: الإمامة: عبد الحسين دستغيب: ٣ ودراسات في الفرق والعقائد الإسلامية: ٣٤.

(٢١) أصل الشيعة وأصولها: ١٣٤.

(٢٢) ينظر: عقائد الإمامية: ١٠٤ ونشأة الشيعة الإمامية: ٩٨ وبين الشيعة وأهل السنة: ١٩٢.

(٢٣) كيف يعقل أن يقول النبي ﷺ كلمة (أمير المؤمنين) في حين لم تطلق هذه الكلمة إلا في خلافة الفاروق عمر بن الخطاب، حيث كان يلقب بخليفة خليفة خليفة رسول الله ﷺ، فاجتهد أن يضع لقب (أمير المؤمنين) بدل الخليفة، فلقب به، ثم لقب به من بعده الخلفاء (ينظر: مقدمة ابن خلدون: ١٩١).

- (٢٤) الاعتقادات: باب: الاعتقاد في الظالمين: ١٠٤ وجمار الأنوار، باب (٢٧) اعتقادنا فيمن قاتل علياً عليه السلام: ٣٦٦/٨، برقم (٤١).
- (٢٥) هو: زرارة بن أعين الشيباني بالولاء، أبو الحسن: رأس الفرقة (الزرارية) من غلاة الشيعة، ونسبته إليه، كان متكلماً شاعراً، له علم بالأدب، وهو من أهل الكوفة، قيل: اسمه (عبد ربه) وزرارة لقبه، توفي سنة ١٥٠ هـ (رجال الكشي: ١٠٣ برقم (٦٢) والأعلام: ٤٣ / ٣).
- (٢٦) الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب دعائم الإسلام: ١٨/٢، برقم (٥) ومن لا يحضره الفقيه، كتاب الصوم، باب: فضل الصيام وما بني عليه السلام: ٧٤/٢، برقم (١٧٧٠) ووسائل الشيعة، أبواب مقدمة العبادات الخمس، الصلاة، والزكاة: ١٨/١، برقم (١٠) وجمار الأنوار، باب (٢٧) دعائم الإسلام والإيمان: ٣٢٩/٦٥، برقم (١) ومستدرک سفينة البحار: ٣٣/٦.
- (٢٧) الكافي: إن الله افترض على أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم خمس فرائض: ٢٧١/٨، برقم (٣٩٩) ومن لا يحضره الفقيه، باب: الصلاة على الميت: ٧٤/٢، برقم (٤٦٦).
- (٢٨) الاعتقادات: باب: الاعتقاد في الظالمين: ١٠٤ وينظر: الحدائق الناضرة: ٣ / ٤٠٦ وأوائل المقالات: ٤٤ والأمال: ٧٥٤ ووسائل الشيعة: ٣٠ / ٢٠٠ وبين الشيعة وأهل السنة: ١٩٥.
- (٢٩) أعيان الشيعة: ٦٩/١ نقلاً عن: أصل الشيعة وأصولها: ٩١.
- (٣٠) الشيعة والتصحيح: ١٧/١.
- (٣١) الولاية: من الولي وهو القرب، فهي قرابة حكومية حاصلة من العتق أو من الموالاتة (التعريفات: ٣٢٩/١، برقم (١٦٣٣)).
- (٣٢) سورة المائدة: ٥٥.
- (٣٣) هو: الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، أمين الدين، أبو علي: مفسر محقق لغوي، من أجلاء الامامية، نسبته إلى طبرستان، توفي سنة ٥٤٨ هـ (الأعلام: ٥ / ١٤٨).
- (٣٤) تفسير مجمع البيان: ٣ / ٣٦٣.
- (٣٥) الكافي: كتاب: الحججة، باب: ما نص الله عز وجل ورسوله على الأئمة واحداً فواحداً: ٢٨٨/١، برقم (٣).

- (٣٦) ينظر: الإمامة: ٥٧ والتشيع نشأته، معالمة: ١٨٢ والشيعنة الاثنا عشرية: ٤٣٠.
- (٣٧) ينظر: كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير: ٣٥٩/١٣ وتفسير القرآن العظيم: ٧٢/٢.
- (٣٨) ينظر: التفسير الكبير: ١٢ / ٢٢ ومنهاج السنة النبوية: ١٨/٧.
- (٣٩) ينظر: لسان العرب: ٤٠٥/١٥ مادة: ولي.
- (٤٠) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٣٤ / ٢ وحقبة من التاريخ: ١٦٧.
- (٤١) سورة الشورى: ٢٣.
- (٤٢) ينظر: الكافي: معنى ذوي القربى: ٩٣/٨، برقم (٦٦) والإمامة الكبرى والخلافة العظمى: ١٨٨/٢ وحقبة من التاريخ: ١٦٤ وأصول مذهب الشيعة: ٨٢٥/٢.
- (٤٣) الرسائل العشر: ٣١٨.
- (٤٤) هو: سعيد بن جبير الأسدي، بالولاء، الكوفي، كنيته أبو عبد الله، تابعي، الحبشي الأصل، ولد سنة ٤٥هـ، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر، وكان ابن عباس، إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، فيقول: أتسألونني وفيكم ابن أم دهماء؟ يعني سعيدا، قتله الحجاج سنة ٩٥هـ (ينظر: التاريخ الكبير: ٤٦١ / ٣، برقم (١٥٣٣)).
- (٤٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى: {إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} : ٨١٩/٤، برقم (٤٥٤١).
- (٤٦) منهاج السنة النبوية: ١٠٠/٧.
- (٤٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ١١٣/٤ وفكر الخوارج والشيعة: ١٨٥..
- (٤٨) هو: الحسين بن الحسن الأشقر الكوفي، قال البخاري فيه نظر، وقال أبو زرعة منكر الحديث وقال أبو حاتم ليس بقوي، وقال الجوزجاني قال شتام للخيرة، توفي سنه سنة ٢٠٨هـ (ينظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال: ٢ / ٢٨٥، برقم (٢٧٠٠)).
- (٤٩) تفسير القرآن العظيم: ١١٣/٤.
- (٥٠) سورة الزمر: ٦٥

- (٥١) تفسير القمي: ٢ / ٢٥١.
- (٥٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: العلم، باب: العلم والعضة بالليل: ١ / ٥٤، برقم (١١٤).
- (٥٣) سميت هذه الآية بالمباهلة، لأن كل محق يود لو أهلك الله الباطل المناظر له، ولا سيما إذا كان في ذلك حجة له في بيان حقه وظهوره، وكانت المباهلة بالموت، لأن الحياة عندهم عظيمة، لما يعلمون من سوء مآلهم بعد الموت (ينظر: فكر الخوارج والشيعة ١٨٠).
- (٥٤) سورة آل عمران: ٦١.
- (٥٥) سبب نزول هذه الآية الكريمة هو ما كان من وفد نصارى نجران عند قدومهم المدينة و محاجتهم رسول الله ﷺ بما يعتقدونه من الباطل في المسيح عيسى بن مريم عليه السلام. (ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٣ / ٢٩٧ وتفسير القرآن العظيم: ١ / ١٢٨).
- (٥٦) الإمامة الكبرى والخلافة العظمى: ٢ / ١٨٦ والشيعة الاثنا عشرية: ٤٤٢.
- (٥٧) ينظر: فكر الخوارج والشيعة: ١٨١.
- (٥٨) سورة النور: ٦١.
- (٥٩) سورة البقرة: ٥٤.
- (٦٠) سورة البقرة: ٨٤.
- (٦١) ينظر: منهاج السنة النبوية: ٤ / ٣٤.
- (٦٢) سورة التوبة: ١٢٨.
- (٦٣) فكر الخوارج والشيعة: ١٨٢.
- (٦٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ٤ / ٧٨.
- (٦٥) يقصد به أهل السنة، وكل من قال بخلافة أبي بكر وفضله على علي بن أبي طالب ﷺ.
- (٦٦) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١١ / ٤٩.
- (٦٧) غدِير خُم: موقع بين مكة والمدينة بالجحفة (ينظر: معجم البلدان: ٢ / ٣٨٩ و٤ / ١٨٨).
- (٦٨) أخرجه مسلم في كتاب: المناقب، باب: فضائل علي بن أبي طالب: ٤ / ١٨٧٣، برقم (٢٤٠٨).

- (٦٩) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسند، مسند علي بن أبي طالب: ١/ ٨٤، برقم (٦٤١) و(٦٤٢) وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب: المناقب، باب: مناقب علي بن أبي طالب: ٥/ ٦٣٣، برقم (٣٧١٣) قال أبو عيسى: "هذا حديثٌ = حَسَنٌ صحيح، وقد رَوَى شُعْبَةُ هذا الحديث عن مِثْمُونِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبْرَقَمَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبُو سَرِيحَةَ هُوَ حَدِيثُ بَنِ أَسِيدِ الْغِفَارِيِّ صَاحِبِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي السَّنَنِ الْكُبْرَى، كتاب المناقب، باب فضائل علي ﷺ: ٥/ ٤٥، برقم (٨١٤٨) وأخرجه الحاكم في كتاب معرفة الصحابة، مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: ٣/ ١١٨، برقم (٤٥٧٦)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".
- (٧٠) أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب: معرفة الصحابة، مناقب أمير المؤمنين ﷺ: ٣/ ١١٩، برقم (٤٥٧٩).
- (٧١) ينظر: الإمامة: مرتضى المطهري: ٨٤ ونشأة التشيع والشيعة: ٨٤ ونشأة الشيعة الإمامية: ١٣٤.
- (٧٢) معاني الأخبار: باب: معنى الآل والأهل والعترة والأمة: ٩٢.
- (٧٣) سورة المائدة: ٦٧.
- (٧٤) فقه الحياة: ٢٧٩.
- (٧٥) سورة المائدة: ٦٧.
- (٧٦) تفسير القرآن العظيم: ٢/ ٨٠.
- (٧٧) روح المعاني: ٦/ ١٩٩.
- (٧٨) ينظر: توثيق السنة بين الشيعة الإمامية وأهل السنة: ٣٨٣.
- (٧٩) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٦/ ٣٠٧.
- (٨٠) ينظر: حقبة من التاريخ: ١٥٦ وفكر الخوارج والشيعة: ١٩١.
- (٨١) البداية والنهاية: ٥/ ١٠٦.

- (٨٢) ينظر: فكر الخوارج والشيعة: ١٨٩ وحقبة من التاريخ: ١٥٦ وتوثيق السنة بين الشيعة الإمامية وأهل السنة: ٤٤٠.
- (٨٣) فتح الباري: ٧ / ٧٤.
- (٨٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ٤ / ١١٦.
- (٨٥) منهاج السنة النبوية: ٧ / ٥٥.
- (٨٦) قال الجرجاني: {من كنت مولاه، فعلي مولاه} زاد الكذابون بالكوفة {ووال من والاه، وعاد من عاداه} (الكامل في ضعفاء الرجال ٣ / ٨٠). وذهب ابن حجر العسقلاني إلى أن: "الأحاديث وإن كانت رويت من طريق غير هذه، فإنها بهذا = الإسناد مختلفة، وما أدري هي من صنعة الحسين، أو شيخه، أو شيخ شيخه، وذكره بن أبي طي في رجال الشيعة (لسان الميزان: ٣١٢ / ٢) وينظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال: ٤ / ٣٧٩).
- (٨٧) ينظر: سنن الترمذي: كتاب: المناقب، باب: مناقب علي بن أبي طالب: ٥ / ٦٣٣، برقم (٣٧١٤).
- (٨٨) ينظر: النهاية في غريب الحديث الأثر: ٥ / ٢٢٧ وفكر الخوارج والشيعة: ١٨٧.
- (٨٩) ينظر: العين: ٤ / ٢١٦ والإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: ١٦٨ والمفردات في غريب القرآن: ١ / ٥٣٣ وتمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: ٤٥٤ ولسان العرب ١ / ٤٠٠ والمصباح المنير: ٢ / ٦٧٢ وتذكرة الأريب في تفسير الغريب: ١ / ٢٩٤ وتاج العروس: ٢ / ٤٦٠.
- (٩٠) ينظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: ١٦٨ والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٥ / ٢٢٨ وحقبة من التاريخ: ١٥٥ وفكر الخوارج والشيعة: ١٩٠.
- (٩١) ينظر: توثيق السنة بين الشيعة الإمامية وأهل السنة: ٣٨٨ وحقبة من التاريخ: ١٧٢.
- (٩٢) الرزية: بفتح الراء وكسر الزاي، أي المصيبة الموجهة (ينظر: لسان العرب: ٨ / ٢٤٥، مادة: رزي).
- (٩٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: المرضى، باب: قول المريض قوموا عني: ٥ / ٢١٤٦، برقم (٥٣٤٥) وأخرجه مسلم في كتاب: الوصية، باب: ترك الوصية: ٣ / ١٢٥٩، برقم (١٦٣٧).

- (٩٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: العلم، باب: جوائز الوفد: ٣ / ١١١١، برقم (٢٨٨٨).
- (٩٥) شرح النووي على صحيح مسلم: ١١ / ٩٠.
- (٩٦) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: ٧ / ٧٦، برقم (١٣٢٢١).
- (٩٧) ينظر: مرقاة المفاتيح: ١١٣ / ١١.
- (٩٨) سورة المائدة: ٣.
- (٩٩) سورة المائدة: ٦٧.
- (١٠٠) مرقاة المفاتيح: ١١٢ / ١١.
- (١٠١) أخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه: ٤ / ١٨٥٧، برقم (٢٣٨٧).
- (١٠٢) شرح النووي على صحيح مسلم: ١١ / ٩٠.
- (١٠٣) منهاج السنة النبوية: ٦ / ٣١٥.
- (١٠٤) فتح الباري: ١ / ٢٠٨.
- (١٠٥) ينظر: منهاج السنة النبوية: ٦ / ٣١٥ وشرح النووي على صحيح مسلم: ١١ / ٩٠ وفتح الباري: ١ / ٢٠٨.
- (١٠٦) مرقاة المفاتيح: ١١ / ١١٢.
- (١٠٧) شرح النووي على صحيح مسلم: ١١ / ٩٠.
- (١٠٨) سورة المائدة: ٦٧.
- (١٠٩) دلائل النبوة: ٧ / ١٨٤.
- (١١٠) منهاج السنة النبوية: ٦ / ٣١٥ وينظر: شرح النووي على صحيح مسلم: ١١ / ٩٠.
- (١١١) ينظر: فتح الباري: ١ / ٢٠٨ وشرح الفقه الأكبر: ١٣٦.
- (١١٢) فتح الباري: ٨ / ١٣٤.

- (١١٣) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم: ٩٢/١١ وعمدة القارئ: ١١ / ٧٥ ومرفقة المفاتيح: ١١٧/١١.
- (١١٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: المغازي، باب: مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة: ٤/ ١٥١٠، برقم (٣٨٩٣) وأخرجه مسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: المبادرة بالغزو: ٣ / ١٣٩١، برقم (١٧٧٠).
- (١١٥) ينظر: فتح الباري: ١/ ٢٠٨.
- (١١٦) أخرجه مسلم في كتاب: المناقب، باب: فضائل علي ﷺ: ٤/ ١٨٧١ برقم (٢٤٠٤).
- (١١٧) ينظر: الإمامة الكبرى والخلافة العظمى: ٢ / ٢٠٠ ونشأة التشيع والشيعة: ١٠٩.
- (١١٨) ينظر: تاريخ الأمم والملوك: ٢/ ٢٦٨ والفصل في الملل والأهواء والنحل: ٤/ ٧٨ والإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: ١٦٨ والبداية والنهاية: ٧/ ٥.
- (١١٩) هو: محمد بن سلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة، أبو عبد الله، من نجباء الصحابة، شهد بدرًا والمشاهد، أسلم على يد مصعب بن عمير، قبل، وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي عبيدة، واستخلفه على المدينة عام تبوك، توفي سنة ٤٣ هـ عن عمر ناهز ٧٧ سنة (ينظر: سير أعلام النبلاء: ٢ / ٣٦٩، برقم (٧٧)).
- (١٢٠) ينظر: حقبة من التاريخ: ١٦٩.
- (١٢١) ينظر: أصول مذهب الشيعة: ٢ / ٨٣٠ وحقبة من التاريخ: ١٦٩.
- (١٢٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ٤/ ٧٨ وفتح الباري: ٧/ ٧٤ وفكر الخوارج والشيعة: ١٩٦.
- (١٢٣) ينظر: حقبة من التاريخ: ١٦٩ وفكر الخوارج والشيعة: ١٩٧.
- (١٢٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ٤/ ٧٨.
- (١٢٥) سورة إبراهيم: ٣٦.
- (١٢٦) سورة المائدة: ١١٨.
- (١٢٧) سورة نوح: ٢٦.

- (١٢٨) سورة يونس: ٨٨.
- (١٢٩) ينظر: حقبة من التاريخ: ١٧٠.
- (١٣٠) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ٨٠ / ٤.
- (١٣١) ينظر: نشأة التشيع والشيعة: ٢٤ والإمامة الكبرى والخلافة العظمى: ٣٢ / ٢.
- (١٣٢) دراسات في منهج الإسلام السياسي: ٢١٠ نقلاً عن: توثيق السنة بين الشيعة الإمامية وأهل السنة: ٤١٩.
- (١٣٣) توثيق السنة بين الشيعة الإمامية وأهل السنة: ٤١٩.
- (١٣٤) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب: المناقب، باب: فضائل علي عليه السلام: ٤٥ / ٥، برقم (٨١٤٧).
- (١٣٥) هو: جليبيب الأنصاري، له ذكر في حديث أبي برزة الأسلمي في إنكاح رسول الله صلى الله عليه وآله ابنة رجل من الأنصار، وكان قصيراً دميماً، فكان من أكثر الأنصار نفقة ومالا (ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة: ١ / ٤٩٥، برقم (١١٨١) وأسد الغابة: ١ / ١٨٥).
- (١٣٦) أخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل جليبيب عليه السلام: ٤ / ١٩١٨، برقم (٢٤٧٢).
- (١٣٧) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الشُّرْكَة، باب: باب الشُّرْكَة في الطَّعَامِ وَالنَّهْدِ وَالْعُرُوض: ٢ / ٨٨٠، برقم (٢٣٥٤) وأخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل الأشعريين: ٤ / ٨٧٩ برقم (٢٥٠٠).
- (١٣٨) ينظر: حقبة من التاريخ: ١٧٥.
- (١٣٩) أنساب الأشراف: ٢٠٩ وذخائر العقبى: ١١١ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي: ٢٩٣ / ١.
- (١٤٠) ينظر: حقيقة الشيعة: محمد بيومي: ٥١.
- (١٤١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي حديد: ١١ / ٧.
- (١٤٢) فتح الباري: ٥ / ٣٦٢.

(١٤٣) أخرجه مسلم في كتاب: الإمامة، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن: ٣/١٤٧٨، برقم (١٨٥١) وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، حديث معاوية بن أبي سفيان: ٤/٩٦، برقم (١٦٩٢٢).

(١٤٤) ينظر: الإمامة: مرتضى المطهري: ٥٤ والإمامة الكبرى والخلافة العظمى: ٢/٢٠.

(١٤٥) ينظر: منهاج السنة النبوية: ١/١١٠ وصحيح ابن حبان: ١٠/٤٣٤ وفتح الباري: ١٣/٧.

(١٤٦) هو: سنان بن حمزة الأسدي، من أمراء الخوارج (البداية والنهاية: ٧/٢٨٦).

(١٤٧) الإمامة والسياسة: ١١٤ وتاريخ الأمم والملوك: ٣/١١٥ والمنتظم: ٥/١٣٠.

(١٤٨) هو: عبدالله بن وهب الراسبي من بني راسب، كان أمير الخوارج بالنهروان، وقتل في المعركة، ليس له رواية، وذكر اسمه في كتب الضعفاء (ينظر: ميزان الاعتدال: ٢/٤٢٠).

(١٤٩) ينظر: الخوارج: ١٩١.

(١٥٠) ينظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: ١٦٣ ولباب المحصل في أصول الدين: ٣٥٥ ورسالة في التوحيد والفرق المعاصرة: ٧٦.

(١٥١) ينظر: فتح الباري: ١٣/١١٨ البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان: ١١ والخوارج: ١٩٠.

(١٥٢) ينظر: أصول الدين الإسلامي: ٢٨٦ تاريخ المذاهب الإسلامية: ٦٠ وفكر الخوارج والشيعة: ٥٩.

(١٥٣) ينظر: توحيد الألوهية: ٤/٤٤٣ ومنهاج السنة النبوية: ٣/٣٨٧ ومعارج القبول: ٣/١١٨٧ شرح المقاصد في علم الكلام: ٢/٢٧٢ وأصول وتاريخ الفرق الإسلامية: ١٣٨.

(١٥٤) ينظر: الخوارج: ١٩٣.

(١٥٥) ينظر: فتح الباري: ١٣/١١٨ والتبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية: ٢٠.

(١٥٦) مقالات الإسلاميين: ١/١٢٥.

(١٥٧) هو: معاذ بن جوين بن حصين الطائي السنبسي، شاعر من الخوارج، هو ممن ارتشوا يوم النهروان، ثم ندم على خذلانه لعبد الله بن وهب الراسبي، وخاض معركة النخيلة وسلم،

وعاش في الكوفة أثناء ولاية المغيرة، واتفق على الخروج مع حيان والمستورد وغيرهما، فحبس على ذلك، ولما أخرجه المغيرة من الحبس أقنعه حيان بن ظبيان بالخروج، فأرسل إليه المغيرة جيشا قتله وأصحابه (ينظر: تاريخ الأمم والملوك: ١٧٥/٣).

(١٥٨) تاريخ الأمم والملوك: ١٧٥/٣ والمنتظم: ١٩٠/٥ وجمهرة خطب العرب: ٢/٤٣٨.

(١٥٩) سورة الشورى: ٣٨.

(١٦٠) ينظر: فتح الباري: ١٣/١١٩ وفكر الخوارج والشيعة: ٥٩.

(١٦١) سورة الحجرات: ١٣.

(١٦٢) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ: ٥/٤١١، برقم (٢٣٥٣٦).

(١٦٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الأحكام، باب: أجر من قضى بالحكمة: ٦/٢٦١٢، برقم (٦٧٢٣) وأخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء: ٣/١٤٦٧، برقم (١٨٣٧).

(١٦٤) هي: أم الحصين بنت إسحاق الأحمسية، جدة يحيى بن الحصين، روت عن رسول الله ﷺ، وشهدت معه حجة الوداع (ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة: ٨/١٩٠، برقم (١١٩٧٠) وأسد الغابة: ١/١٤٣٣ وتهذيب الكمال: ٣٥/٣٤٥).

(١٦٥) أخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء: ٣/١٤٦٨، برقم (١٨٣٨).

(١٦٦) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: ٦٣٤.

(١٦٧) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، مسند عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: ١/٢٤١، برقم (٢١٥٧) وأخرجه ابن حبان في صحيحه، باب: المساجد: ٤/٤٩٠ برقم (١٦١٠).

(١٦٨) فتح الباري: ١/٥٤٥.

(١٦٩) فكر الخوارج والشيعة: ٦٢.

(١٧٠) شرح المقاصد في علم الكلام: ٢/٢٧١.

- (١٧١) فتح الباري: ١١٩/١٣ وينظر: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: ٤٧١/١.
- (١٧٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: المناقب، باب: مناقب القریش: ١٢٩٠/٣ برقم (٣٣١٠) وأخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: الناس تبع لقریش: ١٤٥٢/٣، برقم (١٨٢٠).
- (١٧٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: المناقب، باب: مناقب القریش: ١٢٨٩/٣، برقم (٣٣٠٩).
- (١٧٤) هو: عبدالله بن أبي الهذيل العنزي تابعي، كنيته أبو المغيرة، روى عن أبي الأحوص في الفضائل، وروى عنه إسماعيل بن رجاء (ينظر: رجال مسلم: ١ / ٣٩٨).
- (١٧٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، بقية حديث عمرو بن العاص: ٢٠٣/٤، برقم (١٧٨٤١) وأخرجه الترمذي في كتاب: الفتن، باب: ما جاء أن الخلفاء من قریش: ٥٠٣/٤، برقم (٢٢٢٧) قال أبو عيسى: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ".
- (١٧٦) شرح النووي على صحيح مسلم: ٢٠٠/١٢.
- (١٧٧) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: المناقب، باب: قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى }: ٣ / ١٢٨٨ برقم (٣٣٠٥) وأخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: الناس تبع لقریش: ١٤٥١/٣، برقم (١٨١٨).
- (١٧٨) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، مسند علي بن أبي طالب: ١٠١/١، برقم (٧٩٠) وكنز العمال، الناس تبع للقریش: ١٥/١٢، برقم (٣٣٨٣٨) ومسند البزار: ١٤٩/٢، برقم (٥١٢) ومجمع الزوائد، كتاب: الخلافة، باب: الخلافة في قریش والناس تبع لهم: ١٩١/٥، قال الهيثمي: "الحديث في سننه محمد بن جابر اليمامي، وهو ضعيف عند الجمهور، وقد وثق".
- (١٧٩) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، مسند أبي سعيد الخدري: ١٢٩/٣، برقم (١٢٣٢٩) وأخرجه النسائي في سننه الكبرى، كتاب: القضاء، باب: الأئمة من قریش: ٣/٤٦٧، برقم (٥٩٤٢) وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى، كتاب: قتال أهل البغي، باب: الأئمة في قریش: ٨ / ١٤٣، برقم (١٦٣١٨).

- (١٨٠) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه، كتاب: الجامع للإمام معمر بن راشد الأزدي، باب: فضائل قريش: ٥٧/١، برقم (١٩٩٠٢) وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة رضي الله عنه: ٢٧٠/٢، برقم (٧٦٤٠) وأخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب: السير، باب: طاعة الأئمة: ٤٤٢/١٠، برقم (٤٥٨١) وأخرجه الطبراني في الأوسط: ٣/٢٢٥ = برقم (٢٩٨٨) ومجمع الزوائد، كتاب: الخلافة، باب: الخلافة في قريش والناس تبع لهم ١٩٣/٥، قال الهيثمي: "ورجال أحمد رجال الصحيح خلا سكين بن عبد العزيز وهو ثقة".
- (١٨١) ينظر: الفتن في عهد الشيخين: ٤٩.
- (١٨٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط: ٨/١٥، برقم (٧٨١٥) وأخرجه في المعجم الصغير: ١٣٤/١، برقم (٢٠١) ومجمع الزوائد، كتاب: الخلافة، باب: الخلافة في قريش والناس تبع لهم ١٩٥/٥، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجال الصغير ثقات، وقال ابن حجر: "ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعاً لأن راويه سالم بن أبي الجعد لم يسمع من ثوبان" (ينظر: فتح الباري: ١٣/١١٦) وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، حديث ثوبان رضي الله عنه: ٢٧٧/٥، برقم (٢٢٤٤٢) واللفظ عنده {اسْتَقِيمُوا لِقُرَيْشٍ مَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ}.
- (١٨٣) ينظر: التاريخ الكبير: ٢/١١٢، برقم (١٨٧٥) والتاريخ الأوسط: ١/١٣٨، برقم (٦١٣).
- (١٨٤) ينظر: صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب: الناس تبع لقريش: ٣/١٤٥١.
- (١٨٥) ينظر: الفتن في عهد الشيخين: ٤٩.
- (١٨٦) ينظر: منهاج السنة: ٤/٢١٠ وأبو بكر الصديق: ١١٤.
- (١٨٧) سورة الحجرات: ١٣.
- (١٨٨) هو: جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب بن صعصعة العامري ثم السوائي، ابن أخت سعد بن أبي وقاص، روي عن رضي الله عنه أحاديث كثيرة، توفي سنة ٦٦ هـ (ينظر: أسد الغابة: ٤/١٦٠).
- (١٨٩) أخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: الناس تبع لقريش: ٣/١٤٥٢، برقم (١٨٢٢).
- (١٩٠) هو: سماك بن حرب ابن أوس بن خالد بن نزار بن معاوية بن حارثة الذهلي البكري، روى عنه أنه قال: أدركت ثمانين من أصحاب النبي ﷺ، وكان قد ذهب بصري، فدعوت الله تعالى، فرد علي بصري، توفي سنة ١٢٣ هـ (ينظر: سير أعلام النبلاء: ٥/٢٤٧، برقم (١٠٩)).

- (١٩١) أخرجه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: كراهية تأخير الصلاة ١/٤٤٨، برقم (٦٤٨) واللفظ عنده { إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأَطِيعَ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ } وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الجهاد، باب: ما جاء في طاعة الإمام: ٤/٢٠٩، برقم (١٧٠٦) قال أبو عيسى: "وفي الباب عن أبي هريرة وعرباض بن سارية وهذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن أم حُصَيْن".
- (١٩٢) أخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: الناس تبع لقريش: ٣/١٤٥٣، برقم (١٨٢١).
- (١٩٣) ينظر: توثيق السنة بين الشيعة الإمامية وأهل السنة: ٣٩٢.
- (١٩٤) عمدة القارئ: ١٦/٧٤.
- (١٩٥) ينظر: توثيق السنة بين الشيعة الإمامية وأهل السنة: ٣٩١.
- (١٩٦) ينظر: تاريخ الأمم والملوك: ٢/٢٤٣.
- (١٩٧) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، الإمامة والجماعة، باب: ذكر الإمامة والجماعة: ١/٢٧٩، برقم (٨٥٣) وأخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب: معرفة الصحابة، أبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه: ٣/٧٠، برقم (٤٤٢٣) وينظر: فتح الباري: ١٢/٥٣.
- (١٩٨) ينظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: ٢/١٤١ والفتن في عهد الشيخين: ٥٢.
- (١٩٩) هو: محمد بن أحمد أبو زهرة، ولد بمدينة المحلة الكبرى بمصر سنة ١٨٩٨م، أصدر ٤٠ كتاباً، توفي سنة ١٩٧٤م (ينظر: الأعلام: ٦ / ٢٥).
- (٢٠٠) تاريخ المذاهب الإسلامية: ٨٠ وينظر: مقدمة ابن خلدون ١٩٦.

## قائمة المصادر والمراجع

أولاً / مصادر أهل السنة والجماعة بعد القرآن الكريم:

- (١) أبو بكر الصديق شخصيته وعصره: علي محمد محمد الصلابي، ط (٢) دار ابن كثير، دمشق ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- (٢) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: عبد الملك بن عبد الله الجويني (ت ٤٧٨ هـ) تعليق: زكريا عميرات، ط (١) دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- (٣) إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) تحقيق: محمد سعيد البدري أبو مصعب، ط (١) دار الفكر، بيروت ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- (٤) أسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠ هـ) تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، ط (١) دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- (٥) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: علي محمد محمد الصلابي، ط (٢) دار ابن كثير، دمشق ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- (٦) الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي، ط (١) دار الجيل، بيروت ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- (٧) أصول الدين: عبد القاهر بن طاهر التميمي (ت ٤٢٩ هـ) تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، ط (١) دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- (٨) أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنية عشرية: ناصر بن عبد الله بن علي الففاري، ط (٣) دار الرضا، الجيزة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- (٩) أصول وتاريخ الفرق الإسلامية: مصطفى محمد مصطفى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- (١٠) الأعلام: خير الدين الزركلي، ط (٥)، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠ م.

- (١١) الإمامة والسياسة: أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- (١٢) أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ) محمد باقر المحمودي، ط (١) مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٣٩٤هـ.
- (١٣) البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء (ت ٧٧٤هـ) دار المعارف، بيروت.
- (١٤) البرهان في معرفة عقائد الأديان: أبي الفضل عباس بن منصور السكسكي (ت ٦٨٣هـ) ط (١) دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- (١٥) بين الشيعة وأهل السنة: إحسان إلهي ظهير (ت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) تقديم: سيد بن حسين الغفاني، ط (١) دار ابن حزم، القاهرة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- (١٦) تاريخ الأمم والملوك: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.
- (١٧) التاريخ الصغير (الأوسط): محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (٢٥٦) تحقيق: محمود إبراهيم زايد، ط (١) مكتبة دار التراث، القاهرة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- (١٨) التاريخ الكبير محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ) تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر.
- (١٩) تاريخ المذاهب الإسلامية: محمد أبو زهرة (١٩٧٤م) دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٦م.
- (٢٠) تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٦هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- (٢١) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين: طاهر بن محمد أبو المظفر الإسفراييني (٤٧١هـ) تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط (١) دار عالم الكتب، لبنان ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- (٢٢) تذكرة الأريب في تفسير الغريب: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ).

- (٢٣) التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني الحنفي (ت ٨١٦ هـ) تحقيق: إبراهيم الأنباري، ط (١) دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥ هـ.
- (٢٤) تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء (ت ٧٧٤ هـ) دار الفكر، بيروت ١٤٠١ هـ.
- (٢٥) التفسير الكبير: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت ٦٠٦ هـ) ط (١) دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- (٢٦) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: أبو بكر محمد بن الطيب بن جعفر بن القاسم أبو بكر الباقلائي (ت ٤٠٣ هـ) تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، ط (١) مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٩٨٧ م.
- (٢٧) تهذيب الكمال في أسماء الرجال: يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي (ت ٧٤٢ هـ) تحقيق: بشار عواد معروف، ط (١) مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- (٢٨) تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٢٧٠ هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب، ط (١)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠١ م.
- (٢٩) توثيق السنة بين الشيعة الإمامية وأهل السنة في أحكام الإمامة ونكاح المتعة: أحمد حارس سحيمي، ط (٢) دار السلام، القاهرة ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- (٣٠) توحيد الألوهية، ضمن (كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية): أحمد عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) مكتبة ابن تيمية تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، ط (٢).
- (٣١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر (ت ٣١٠ هـ) دار الفكر، بيروت ١٤٠٥ هـ.
- (٣٢) الجامع الصحيح المختصر: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦ هـ) تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط (٣) دار ابن كثير، بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- (٣٣) جمهرة خطب العرب: أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت.

- (٣٤) جواهر المطالب في مناقب الإمام الجليل علي بن أبي طالب: محمد بن أحمد الدمشقي (ت ٨٧١هـ) تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط (١) مجمع أحياء الثقافة الإسلامية، قم ١٤١٥هـ.
- (٣٥) حاشية الرملي: شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (ت ١٠٠٤هـ).
- (٣٦) حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار: محمد بن عمر مجرق الحضرمي الشافعي (ت ٩٣٠هـ) تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول، ط (١) دار الحاوي، بيروت ١٩٩٨م.
- (٣٧) حقبة من التأريخ: عثمان بن محمد الخميس، ط (٢) المكتبة المنهجية الأثرية ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- (٣٨) حقيقة الشيعة وهل يمكن تقاربهم مع أهل السنة: محمد بيومي، ط (١) دار الغد الجديد، القاهرة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- (٣٩) الخلافة والملك: تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) تحقيق: عبد الرحمن محمد قاسم النجدي، مكتبة ابن تيمية.
- (٤٠) الخوارج، تاريخهم، فرقهم، وعقائدهم: أحمد عوض أبو الشباب، ط (١) دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- (٤١) دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية: عرفان عبد الحميد، ط (١) مطبعة الإرشاد، بغداد ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- (٤٢) دلائل النبوة: إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني (ت ٥٣٥هـ) تحقيق: محمد محمد الحداد، ط (١) دار طيبة، الرياض ١٤٠٩هـ.
- (٤٣) ديوان كثير عزة.
- (٤٤) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري (ت ٦٩٤هـ) دار الكتب المصرية، مصر.
- (٤٥) رجال صحيح مسلم: أحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني أبو بكر (ت ٤٢٨هـ) تحقيق: عبد الله الليثي، ط (١) دار المعرفة، بيروت ١٤٠٧هـ.

- (٤٦) رسالة في التوحيد والفرق المعاصرة: كمال الدين الطائي، مطبعة سلمان العظمي بغداد ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.
- (٤٧) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- (٤٨) سنن البيهقي الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- (٤٩) سنن الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (ت ٢٨٩ هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- (٥٠) السنن النسائي الكبرى: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي (٣٠٣ هـ) تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، ط (١) دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- (٥١) سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله (ت ٧٤٨ هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط (٩) مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٣ هـ.
- (٥٢) شرح الفقه الأكبر (لأبي حنيفة النعمان): علي بن سلطان محمد القاري (ت ١٠١٤ هـ) تحقيق: مروان محمد الشعار، ط (١) دار النفائس، بيروت ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- (٥٣) شرح المقاصد في علم الكلام: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (ت ٧٩١ هـ) ط (١) دار المعارف النعمانية، باكستان ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- (٥٤) الشيعة الاثنا عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن الكريم: محمد محمد إبراهيم العسال، تقديم: أحمد بن سعد حمدان الغامدي، ط (١) ١٤٢٧ هـ.
- (٥٥) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت ٣٥٤ هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط (٢) مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- (٥٦) صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- (٥٧) صحيح مسلم بشرح النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (ت ٦٧٧هـ) ط (٢) دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٢هـ.
- (٥٨) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- (٥٩) العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال.
- (٦٠) فتح الباري شرح صحيح البخاري أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ) تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.
- (٦١) الفتن في عهد الشيخين - أبي بكر وعمر- وأثرها في الفكر الإسلامي (رسالة الماجستير): محمد شريف محمد عثمان، جامعة صلاح الدين، كلية الآداب، أربيل ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- (٦٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد (ت ٤٥٦هـ) مكتبة الخانجي، القاهرة.
- (٦٣) فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة: علي محمد الصلابي، ط (١) دار ابن الجوزي، القاهرة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.
- (٦٤) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني: أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي المالكي (ت ١١٢٦هـ) دار الفكر، بيروت ١٤١٥هـ.
- (٦٥) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس (٧٢٨هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي ط (٢) مكتبة ابن تيمية.
- (٦٦) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي (ت ٩٧٥هـ) تحقيق: محمود عمر الدمياطي، ط (١) دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- (٦٧) لباب المحصل في أصول الدين: عبدالرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ) تحقيق: أحمد فريد المزدي، ط (١) دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

- (٦٨) لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١ هـ) ط (١) دار صادر، بيروت.
- (٦٩) لسان الميزان أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ) تحقيق: دائرة المعارف النظامية، ط (٣) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- (٧٠) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ) دار الريان للتراث، القاهرة ١٤٠٧ هـ.
- (٧١) مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي بن سلطان محمد القاري (ت ١٠١٤ هـ) تحقيق: جمال عيتاني، ط (١) دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- (٧٢) المستدرک علی الصحیحین: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط (١) دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
- (٧٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني (ت ٢٤١ هـ) دار قرطبة، مصر.
- (٧٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (ت ٧٧٠ هـ) دار المكتبة العلمية، بيروت.
- (٧٥) مصنف عبدالرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١ هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط (٢) المكتبة الإسلامية، بيروت ١٤٠٣ هـ.
- (٧٦) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول: حافظ بن أحمد حكيمي (ت ١٣٧٧ هـ) تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- (٧٧) المعجم الأوسط: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) تحقيق: طارق بن عوض الله، دار الحرمين، القاهرة ١٤١٥ هـ.
- (٧٨) معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ)، دار الفكر، بيروت.
- (٧٩) معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، ط (١) مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- (٨٠) معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ)، دار الفكر، بيروت.

- (٨١) المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.
- (٨٢) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن (ت ٣٣٠هـ) ط (٣) تحقيق: هلموت ريتز، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- (٨٣) المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢ هـ) تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان.
- (٨٤) مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت ٨٠٨هـ) ط (٥) دار القلم، بيروت ١٩٨٤م.
- (٨٥) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ) ط (١) دار صادر، بيروت ١٣٥٨هـ.
- (٨٦) منهاج السنة النبوية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس (ت ٧٢٨هـ) تحقيق: محمد رشاد سالم، ط (١) دار النشر: مؤسسة قرطبة ١٤٠٦هـ.
- (٨٧) ميزان الاعتدال في نقد الرجال: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، ط (١) دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥م.
- (٨٨) نشأة الشيعة الإمامية: نبيلة عبد المنعم داود، ط (١) دار المؤرخ العربي، بيروت ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.
- (٨٩) النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، المكتبة العلمية، بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
- (٩٠) وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١هـ) تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان.

### ثانياً: مصادر الشيعة

- (٩١) أصل الشيعة وأصولها: محمد حسين كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣هـ) ط (٩) المكتبة الحيدرية ١٣٨١هـ ١٩٦٢م.
- (٩٢) الاعتقادات: محمد بن علي بن حسين بن بابوية القمي الصدوق (ت ٣٨١هـ) تحقيق: عصام عبد السيد.

- (٩٣) الأمالي: محمد بن محمد بن النعمان بن المعلم العكبري البغدادي، الشيخ مفيد (ت ٤١٣ هـ) تحقيق: إبراهيم الأنصاري، ط (٢) دار مفيد، بيروت ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م.
- (٩٤) الإمامة: عبد الحسين دستغيب، ترجمة: أحمد القباني، سلسلة أصول الدين (٤) دار الكتاب الإسلامي، قم، إيران.
- (٩٥) الإمامة: مرتضى المطهري، ترجمة: جواد علي كسار، ط (٢) مؤسسة أم القرى، بيروت ١٤٢٢ هـ.
- (٩٦) الإمامة الكبرى والخلافة العظمى: محمد حسن القزويني (ت ١٣٨٠ هـ) توثيق وتعليق: جعفر القزويني، ط (١) دار المجتبى ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٦ م.
- (٩٧) الإمام علي: أحمد الرحماني الهمداني، ط (١) مطبعة: أفست فتاحي، طهران ١٤١٧ هـ.
- (٩٨) أوائل المقالات: محمد بن محمد بن النعمان بن المعلم العكبري البغدادي، الشيخ مفيد (ت ٤١٣ هـ) تحقيق: إبراهيم الأنصاري، ط (٢) دار مفيد، بيروت ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م.
- (٩٩) مجار الأنوار: محمد باقر بن محمد تقي بن المجلسي (ت ١١١١ هـ) ط (٢) مؤسسة الوفاء، بيروت ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.
- (١٠٠) التشيع نشأته معاملة: هاشم الموسوي، ط (١) مركز الغدير، مطبعة مهر، ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م.
- (١٠١) تفسير القمي: أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي (ت ٣٢٩ هـ) تصحيح: طيب الجزائري، ط (٣) مطبعة النجف، مؤسسة دار الكتب، قم ١٤٠٤ هـ.
- (١٠٢) تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٦٠ هـ) تحقيق: لجنة من العلماء، ط (١) مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٤١٥ هـ.
- (١٠٣) تفسير الميزان (الميزان في تفسير القرآن): محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ) مؤسسة النشر الإسلامي، قم.
- (١٠٤) الحدائق الناظرة: يوسف البحراني (ت ١١٨٦ هـ) تحقيق: محمد تقي الإيرواني، الناشر جماعة المدرسين، قم.

- (١٠٥) رجال الكشي: أبي عمرو محمد بن عمر بن عبدالعزيز الكشي (ت ٣٧٥ هـ) تقديم: أحمد الحسيني، ط (١) مؤسسة العلمي للمطبوعات، بيروت ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩ م.
- (١٠٦) الرسائل العشر: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) تحقيق: واعظ زاده، الناشر جماعة المدرسين، قم ١٤٠٤ هـ.
- (١٠٧) رسائل المرتضى: الشريف المرتضى (٤٣٦ هـ) تحقيق: مهدي رجائي، دار القرآن ١٤٠٥ هـ.
- (١٠٨) السنة والشيعة وحدة الدين خلاف السياسة والتأريخ: أحمد الكاتب، ط (١) الدار العربية للعلوم، بيروت ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧ م.
- (١٠٩) شرح نهج البلاغة: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (ت ٦٥٦ هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية.
- (١١٠) الشيعة والتصحيح: موسى الموسوي.
- (١١١) الصوارم المهرقة في نقد الصواعق المحرقة: القاضي نور الله التستري (ت ١٠١٩ هـ) تحقيق: جلال الدين المحدث، مطبعة نهضة ١٣٦٧ هـ.
- (١١٢) عقائد الإمامية: محمد رضا المظفر، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق ١٣٧٠ هـ.
- (١١٣) فقه الحياة: محمد حسين فضل الله، أجراه: أحمد أحمد، ط (٢) مؤسسة العارف، بيروت ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م.
- (١١٤) الكافي: أبو جعفر محمد ابن يعقوب الرازي الكليني (ت ٣٢٩ هـ) تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط (٤) دار الكتب الإسلامية ١٣٦٥ هـ.
- (١١٥) كشف الحجب والأستار عن أسماء الكتب والمنقار: إعجاز حسين النيسابوري الكنتوري (ت ١٢٨٦ هـ) ط (٢) مكتبة آية الله العظمى المرعشي، قم ١٤٠٩ هـ.
- (١١٦) مستدرک سفينة البحار: علي النمازي الشهارودي (ت ١٤٠٥ هـ) تحقيق: حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤١٩ هـ.
- (١١٧) معاني الأخبار: أبو جعفر محمد بن علي بن بابوية القمي الصدوق (ت ٣٨١ هـ) تصحيح: علي أكبر الغفاري، دار النشر: انتشارات إسلامي، قم ١٣٦١ هـ.

(١١٨) من لا يحضره الفقيه: محمد بن علي بن حسين بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١هـ) تحقيق:

علي أكبر الغفاري، ط (٢) جامعة المدرسين ١٤٠٤ هـ.

(١١٩) وسائل الشيعة: محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ) تحقيق: مؤسسة آل البيت

لأحياء التراث، ط (٢) مطبعة مهر، قم ١٤١٤ هـ.

**ثانياً: الحديث**



# التدبير النبوي في التعليم

وأثره في نماء علم الحديث

إعداد

د. عبد الرحمن بن نويفع بن فالح السلمي

الأستاذ المساعد بقسم الكتاب والسنة

جامعة أم القرى



## التدبير النبوي في التعليم

### وأثره في نماء علم الحديث

#### د. عبد الرحمن بن نويفع بن فالح السلمي

#### المقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه واتبع هداه إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد أرسل الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربه، بالتعليم، والتزكية، وإقامة دين الله في أرضه، ومقارعة الباطل والهيمنة عليه. فاستلزم ذلك أعمالاً كثيرة، بدءاً من إزالة القناعات والعقائد الباطلة، وإحلال القناعات والعقائد الصحيحة محلها، ثم بناء الشخصية الإنسانية بتكميل صفات الخير والجمال فيها، ثم بناء الجماعة المسلمة المتعاونة المتكافلة، وانهاءً إلى إقامة دنيا الناس على وفق عقائدهم الصحيحة وأخلاقهم الفاضلة الحسنة = فأيده بوحيه، ووفقه للنجاح وبلغه إياه، واختصه بصفات الكمال البشري الذي لم يجتمع في غيره، فكان نتاج عمله البرّ الدعوى أن حَرَفَ مسار البشرية من الظلمة إلى النور، فلا تزال في ضياء ما سارت على نهجه، ولن يزال على نهجه أقوام في كل زمن يقلون ويكثرون.. يقيم الله بهم الحجة على البشر، ليبليغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار.

فعلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه، ثم قُطفت ثمرات تعليمه في أمته: هيمنة عالمية عادلة، وريادة طويلة.. في سائر الشئون الإنسانية، وعبر قرون عديدة.

والتأمل لحال التعليم في زماننا في سائر مؤسساته، وهو في كل زمان حجر الزاوية في صرح حضارة الأمم = يجد أنه قد أحاطت به مشكلاتٌ عدة تسببت في تأخير نهوض الأمة وتقدمها لمكائنها اللائقة بها، مشكلاتٌ تتمثل ملخصةً في ضعف: أهلية المدرس، أو المنهج الدراسي، أو المهمة عند الطالب، أو أدوات التعلم، أو كلها مجتمعةً.

ومحور هذه العناصر وأهمها على أهميتها كلها هو (المعلم)، فالمعلم القدير يجب عليه أن يتغلب على كافة الصعوبات، فيكتملُ نقص المنهج الدراسي، ويبعث المهمة عند الطالب، ويحقق أعلى النتائج بأقل الأدوات.

ولكن الشأن كلّ الشأن هو أن المعلم المتمكن من علمه، والذي يبذل كل جهده في قاعة الدرس ويوصل بالطلاب إلى قمة التفاعل والفهم، صار يأتي في موعد الدرس (القادم) فلا يجد في معقول طلابه من ذلك العلم الذي تحصلوا عليه شيئاً يذكر!

لقد أصبح العلم بمعزل عن حياة الناس، إذا سألت عنه قالوا لك إنه هناك! دونه تلك الأسوار العالية، أسوار الجامعات والمعاهد والمدارس!

لقد أصبح العلم مسجوناً في قاعات الدراسة.

فإذا أردت أن توجد البديل فُتلقِيَ علماً في المسجد (مثلاً) أو في مكان آخر؛ لم يتوفر لك من النظم المساعدة والطلاب المتفرغون المواظبون ما يتوفر لأولئك المختبئون وراء تلك الأسوار العالية!

فما هو الحل إذن؟

أُكْتَبَ على العلم أن يكون حبيس تلك الأسوار؟ يولد فيها ويزهو ويتزين ثم يذبل وينقص وينتهي.

ثم كيف لنا أن نصل إلى مرحلة نجد فيها المعرفة التي أوصلناها للطالب معه متى ما سألناه؟

وكيف لنا أن نصل إلى طريقة نطلق فيها سراح العلم ليخرج إلى المجتمع من وراء تلك الأسوار العالية؟

وكيف لنا أن ننهض ببرامج تنمية المعرفة والمهارات لدى طلابنا بطرقٍ سهلة لا تكلف كثيراً، ولكنها تحقق أعلى ما يمكن تحقيقه منها؟

وكيف حقق رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك في زمنٍ قصير؟

كانت هذه التساؤلات سبب كتابة هذا البحث، وفق الهيكلية التالية:

- المقدمة.

- تمهيد: التدبير النبوي وأهميته.

- المبحث الأول: التدبير النبوي في التعليم، وبه مطالب.

- المبحث الثاني: أثر التدبير النبوي في التعليم على نماء علم الحديث.

- المبحث الثالث: أوجه الاستفادة العلمية المعاصرة من التدبير النبوي.

- الخاتمة.

- الفهارس.

ونحن إنما نتوجه للسنة النبوية بحثاً عن حلول المشكلات التربوية؛ لأننا على يقين بأن السنة قد حوت أصول طرائق الهداية في شتى المجالات الإنسانية، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقام في أمته زمناً كافياً لتركهم في كل زمان على البيضاء الواضحة، وأنه كان حريصاً عليهم رؤوفاً بهم رحيمًا. فلا أقل من استفادة طريقته في تعليم العلوم الإسلامية خاصة، فهو مصدر هذه العلوم بالنسبة لنا، القرآن هو بلغه

وهو أعرف به، والسنة سنته، وتغير الظروف والأحوال على مستمر الزمان قد راعاه عليه الصلاة والسلام؛ فأسس لدينه الخاتم ليبقى إلى آخر الزمن. فلا بد أن يكون في السنة حلٌ لمشكلات التعليم في زماننا.

وقد جعلت منهجي في هذا البحث استخراج الطريقة التي اعتمدها النبي صلى الله عليه وسلم من جملة مواقفه التعليمية التي حوتها الأحاديث الصحيحة في كتب الصحاح والسنن<sup>(١)</sup>، من خلال التحليل والربط والاستنباط.

واخترت له عنوان: "التدبير النبوي في التعليم وأثره في نماء علم الحديث".

والتدبير هو: فعل الشيء عن فكرٍ وروية<sup>(٢)</sup>، فتجتمع فيها الرؤية والأهداف والطريق والطريقة ومراعاة الواقع والمصاعب والفرص واستثمار كافة الإمكانيات، والتي تسمى (الاستراتيجية).

فالبحث يعتني باستخراج هذه (الاستراتيجية) واستخراج تأثيرها على ممارسات المحدثين التي أدت إلى نماء علم الحديث وتطوره وكثرة علومه ومصنفاته والمشتغلين به.

هذا.. وأسأل الله عز وجل لهذا البحث التوفيق والسداد، وأن ينفع به، إنه

قريب سميع مجيب.

### تمهيد: التدبير النبوي وأهميته.

كان النبي صلى الله عليه وسلم هو معلم الأمة الأول، ولا شك أن التعليم لم يكن همّة الوحيد، ولم يكن يستولي على كل اهتمامه، فقد كان مُعلِّمًا مربيًا قائدًا ومشرفًا؛ يتولى إدارة جميع العمليات الإصلاحية في الأمة؛ في جميع المناحي الفكرية والثقافية والسلوكية الفردية والجماعية، لجميع الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وغيرها. بدءً من التخطيط لها فالتنفيذ ثم متابعة العمل على ما تقتضيه فنون الإدارة (المقدمة).

إذا عُلم ذلك، مع ما سبق من عظم المسؤولية في التعليم وحده، فلنعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد حقق أعلى النتائج الممكنة للعملية التعليمية، وأن المخرجات المعرفية والمهارية قد وصلت في تجربته العظيمة من الجودة والإتقان إلى الحدود العليا الممكنة للبشر.

يشهد التاريخ أنه جاء إلى أمة أمّية لا تضع التعليم في قائمة أولوياتها، ولا تملك من وسائل التعلّم إلا الوسائل البدائية، وأنها أمة كانت تُعشش فيها الضلالات والخرافات، وأنها كانت تُلْفُها العادات المقاومة للتقدم والحضارة؛ من الحمية القبلية والتميز بين العناصر والفئات والقبائل والثرات والغارات الدائمة والحروب الطاحنات. وأن حياتها كانت محكومة بمنظومة ضيقة من القيم الأصيلة التي تستولي عليها استيلاءً كاملاً، كالكرم والشجاعة والوفاء والنجدة، فقيمة الفرد فيها بشجاعته وكرمه لا بما حصّل من علم ومعرفة، ومع كل ذلك فقد كان الشعب العربي الذي بُعث فيه النبي عليه الصلاة والسلام يريزحُ تحت تسلط دولتين عظيمتين مجاورتين؛ تستحوذ على مقومات التنمية المحيطة، وتستبد بمقدرات العرب، الذين يعيشون على ما تنقله قوافلهم من فئات حواضر تلك الدول التي تحتل أطراف ديارهم.

ثم ما لبث بعد أن خاض تجربته التعليمية حتى حرّر العقول من الأوهام والقلوب من الضلال والمبادئ والقيم من كل ما يعارض الرقي الإنساني أو يقف في طريقه؛ بتصحيح التصورات وغرس الإيمان وتتميم مكارم الأخلاق، وفتح أوجه التعاون الإيجابي بين أفراد الأمة؛ لتعمل كلها بروح الفريق الواحد.

وقد قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ الأحزاب: ٢١. فهو القدوة العليا في التعليم بناء على عموم هذه الآية، وكونه القدوة العليا يعني أننا لن نجد من يتقدم عليه أبداً في ذلك؛ وإلا لاستحق أن يشاركه في المرجعية والتأسي، ويعني أيضاً أننا لن نجد تجربةً هي أفضل وأزكى من تجربته وإلا لكانت حجةً على الناس كما كانت السنة النبوية حجة.

وقال عز وجل ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُدْرُسُونَ﴾ آل عمران: ٧٩، فلا يمكن أن نتصور أن يمثل هذا الأمر أحد أكثر من رسول الله، ولا أن يكون ربانياً بحق؛ يصل إلى أقصى درجات الاستفادة من عمليات التعلم واستثمارها: غيره.

هذا السبب هو الذي أوقفني أمام استخراج طريقة النبي صلى الله عليه وسلم التعليمية.

فلا شك أننا نحتاج إلى استخراج الإستراتيجية النبوية في التعليم والطرق التي نفذ بها تلك الاستراتيجية<sup>(٣)</sup>، لكي نبني بها مشروعنا العلمي الذي ترتبه الأمة لنهضتها ورفعتها.

**المبحث الأول: التدبير النبوي في التعليم.****وبه مطالب:****المطلب الأول: أنواع العلم التي تولى النبي صلى الله عليه وسلم تبليغها للأمة.****المطلب الثاني: تدبيره للعلوم المعرفية الثقافية التي يحتاجها جميع أفراد الأمة.****المطلب الثالث: تدبيره للعلوم الشرعية التخصصية.****المطلب الرابع: تدبيره للعلوم الشرعية العملية.****المبحث الثاني: أثر التدبير النبوي في التعليم في نماء علم الحديث****المبحث الثالث: أوجه الاستفادة العلمية المعاصرة من التدبير النبوي.****المطلب الأول: أنواع العلم التي تولى النبي صلى الله عليه وسلم تبليغها للأمة.**

جاء النبي صلى الله عليه وسلم بعلوم جمّة إلى أمته، ولا شك أن تصنيف العلوم التي نقلها النبي صلى الله عليه وسلم للأمة مهمٌ في استخراج التدابير التي أدار بها عملية التعليم، حيث يتوقع أن يكون لكل نوع من العلم تدبيرٌ يناسبه.

وبعد تحليل المواقف التعليمية التي وردتنا في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، والنظر في أنواع العلم التي تولى نقلها للأمة، واحتساب توقع التصنيف المنطقي الممكن، وجدنا أنه يمكن أن تصنف هذه العلوم إلى الأنواع الآتية:

- علوم معرفية ثقافية يحتاجها جميع أفراد الأمة، وهي تتمثل في المعارف التي تولى بها إصلاح العقيدة، والفكر، والأخلاق، ورفع بها مستوى الوعي الثقافي الفردي والجماعي في الأمة، وتلقى هذه العلوم عادة في الخطب والمناسبات، وفي مثل هذه العلوم كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "ليبلغ الشاهد الغائب"<sup>(٤)</sup>.

- علوم شرعية تخصصية، تحتاجها الأمة ويكفي أن تكون معرفتها عند بعض أفرادها دون مجموعها، وهي تتمثل في التخصصات الشرعية: كقراءات القرآن، وفرائض الموارث، وتفاصيل الفقه، وتأويل القرآن، وفي هذه العلوم اختص بعض أصحابه بعلوم لم يطلع عليها آخرون، ودعا لعبد الله بن عباس فيها بقوله: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"<sup>(٥)</sup>، وهو دعاء خاص.
- علوم دينية تطبيقية، تحتاجها الأمة كلها أو عامتها، اتبع فيها النبي صلى الله عليه وسلم طريقة المحاكاة العملية، وفي مثلها قال النبي صلى الله عليه وسلم: "صلوا كما رأيتموني أصلي"<sup>(٦)</sup>.
- علوم إضافية، تدعو إليها الحاجة، ولها قدرٌ من الأهمية، كجملة من المعارف الطبية، والمعارف الغيبية عن المستقبل، وأخبار الفتن وأشراط الساعة، وبعض المعارف المفيدة في المواعظ والإصلاح، وهذه كان يثبثها في المواقف المختلفة حسب مقتضى الحاجة، وفي مثلها قال النبي صلى الله عليه وسلم: "الشفاء في ثلاثة: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار. وأنهى أمتي عن الكي"<sup>(٧)</sup> الحديث.
- المهارات العلمية والشخصية اللازمة لإعداد الفرد إعدادًا متكاملًا لبلوغ الإعداد الكافي للإتقان في العمل الفردي والجماعي، وهذه المهارات كان يجري تنميتها في أثناء التعليم في سائر أصنافه، وفي سائر المواقف التطبيقية للتعليم، حيث كانت الفلسفة الإسلامية توجب العمل بالعلم، وتربط القول بالعمل، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ الصف: ٢. ويدل عليها الحديث النبوي الشريف: "اللهم فقهه في الدين"<sup>(٨)</sup> وهذا يتضمن مهارات التعامل مع النصوص الشريفة بالتحليل والربط والاستنباط، والقدرة على الترجيح.

هذه هي أبرز أصناف العلوم التي علّمها النبي صلى الله عليه وسلم للأمم، والتي اشتمل عليها الكتاب والسنة.

وتقتضي الحالة المعروفة عن المفردات العلمية بعامّة أن تتمايز بعض مفردات هذه العلوم حتى يكون من السهل تصنيفها، وقد يكون في بعض المفردات تداخلا في صفاتها بحيث يتنازعها صنفان أو أكثر.

لذلك فإن الدقة في استخراج التدابير النبوية في التعليم مهمٌ للغاية، ومما يسهم في تحقيق الدقة ما سبق لنا في هذا المطلب من تصنيف أنواع المعارف؛ بناءً على تحليل ما اشتمل عليه القرآن والسنة من علوم، وتحليل المواقف التعليمية الساكنة في روايات الأحاديث الصحيحة. ولا بد لتحقيق الدقة في استخراج التدبير النبوي في التعليم من الوقوف على التدبير النبوي لأهم أصناف العلم التي ظهرت في هذا المطلب، وهذا ما ستفي به المطالب اللاحقة إن شاء الله تعالى.

#### المطلب الثاني: تدبيره للعلوم المعرفية الثقافية التي يحتاجها جميع أفراد الأمة.

سبق أن هذا النوع من العلم يتمثل في المعارف التي تولى بها إصلاح العقيدة، والفكر، والأخلاق، ورفع بها مستوى الوعي الثقافي الفردي والجماعي في الأمة، وهي في عامتها معارف تنسجم جداً مع فطرة البشر، وكثيراً منها من قبيل الحكمة التي تقبلها النفوس الإنسانية بلا برهنة ولا استدلال، ويحتاجها الجميع بلا استثناء.

ومن أمثلتها قوله عليه الصلاة والسلام: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى" الحديث<sup>(٩)</sup>، ومثل قوله عليه الصلاة والسلام: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"<sup>(١٠)</sup>، ومثل قوله عليه الصلاة والسلام: "من غش فليس منا"<sup>(١١)</sup>، ومثل قوله: "لا ضرر ولا ضرار"<sup>(١٢)</sup>، وغيرها.

ففي سائر هذه الأحاديث نلاحظ قوة البيان واختصار العبارة والقابلية الشديدة للحفظ والاستثمار بالتدبر والتطبيق، وكأنها رسائل مختصرة ينبغي على جميع من بلغته أن يسعى في نشرها في جنبات الأمة، لترتفع الثقافة وتصلح العقائد والأخلاق.

وقد وجدنا في التراث المنقول عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يقدم (المعرفة) في أتم تلخيص وأحسن عرض (ولا يطيل الكلام) لكي يسهل ضبطها ونقلها والتفقه فيها، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم: "كان يحدث حديثاً لو عدّه العادُّ لأحصاه"<sup>(١٣)</sup>. تأتي هذا الممارسة النبوية كجزء من التدبير النبوي في التعليم، فقد كان يتقصد تلخيص المعلومة لأنه يعمل وفق خطة محكمة.

ويأتي وصف عائشة رضي الله عنها لطريقة تحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم رداً على ما كان فعله بعض المعلمين بعده من سرد الحديث والإكثار منه في المجلس الواحد، ففي رواية من روايات هذا الحديث تقول رضي الله عنها لابن أختها عروة بن الزبير راوي هذا الحديث: "ألا يُعجبك أبو هريرة جاء فجلس إلى جانب حجرتي يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسمعي ذلك وكنت أُسبح فقام قبل ان أقضي سُبْحتي ولو أدركته لرددت عليه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث كسردكم"<sup>(١٤)</sup>.

ويأتي في بعض الروايات بيان العلة التي لأجلها أقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلام، فتقول: "إنما كان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلاً تفهمه القلوب"<sup>(١٥)</sup>.

فكان هذا مقصده عليه السلام من تلخيص المعرفة: أن يسهل حفظها وضبطها، وأن يستمر استثمارها والتفقه فيها، وأن تبقى في الأمة جيلاً بعد جيل.

وفي بعض الروايات أنه بلغ من تلخيصه وحسنه إلى درجة أن يحفظه كل من سمعه: "كان كلامة فصلاً يُبينه؛ يحفظه كل من سمعه"<sup>(١٦)</sup>.

فهذا الأسلوب في تقديم المعلومة هو الأسلوب الذي اتبعه النبي صلى الله عليه وسلم في دروسه العلمية؛ أن يقدم للسامع مادة علمية ملخصة قابلة للضبط، وقابلة للتمدد والاستطالة بالفهم والتفكير عند السامع، مهما كان حاله، وقابلة للبقاء في أجيال الأمة المتلاحقة.

فإذا أضفنا إلى ذلك أنه كان بعد أن يشعر عليه الصلاة والسلام أنهم قد وعوا ما أراد؛ يخاطبهم بقوله: "ليبلغ الشاهد الغائب"<sup>(١٧)</sup>.

لذا فإن درسه عليه الصلاة والسلام الذي يهم الأمة لم يكن ينتهي في دائرة إلقائه، ولكن كانت تلك الدائرة هي وسيلة التفجير المعرفي في الأمة، ليتقل العلم بعد إلقائه فيها إلى جهات عديدة متباينة لا يمكن حصرها ولا التضييق عليها، بحيث تأمن الحقيقة بعدها من: الضياع، أو من تحولها إلى خطأ مستمر لا يوجد ما يدل على صوابه.

وكان ذلك من خلال اتباعه تديراً عظيماً يتمثل ملخصاً في أمره عليه الصلاة والسلام: "أن يبلغ الشاهد الغائب".

إذن كان هذا النوع من المعرفة يلقي هذا النوع من التدبير.

وبين يدينا قصة حديث آخر، أراد النبي صلى الله عليه وسلم فيها لجميع أفراد الأمة أن تبلغهم معرفة مهمة يحتاجها الجميع، فكان من تدبيره فيها ما يؤكد أن سياسة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا النوع من المعرفة: أنه كان يختصر العبارة ويصوغها صياغة قابلة للفهم والاستثمار والانتقال في الأمة، ثم يجند من سمعها ليحدث بها من لم يسمعها، فيتحوّل من سامع إلى مبلغ، رجاء أن تبلغ الجميع.

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يبلغ من حج معه من العرب الذين دخلوا في الدين أنه يجب عليهم حفظ دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فألقى فيهم خطبة جاء فيها أنه قال لهم كما يقول الراوي: "أي شهر هذا؟" قلنا الله ورسوله أعلم قال فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال (أليس ذا الحجة؟) قلنا بلى قال (فأي بلد هذا؟) قلنا الله ورسوله أعلم قال فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال (أليس البلدة؟) قلنا بلى قال (فأي يوم هذا؟) قلنا الله ورسوله أعلم قال فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال (أليس يوم النحر؟) قلنا بلى يا رسول الله قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم: حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم؛ فلا ترجعن بعدي كفارا (أو ضلالا) يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ليلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه) ثم قال (ألا هل بلغت؟)<sup>(١٨)</sup>.

فتأمل هذه الأسئلة التي يراد منها جذب الانتباه وزرع المعرفة في قلوب السامعين؛ ثلاثة أسئلة ترتبط بها ثلاث معارف، ويبنى عليها المعنى بناء محكمًا قوي الارتباط: أي شهر هذا؟ أي يوم هذا؟ أي بلد هذا؟ يقابلها: إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم، ويؤكد حرمتها تشبيه حرمتها بحرمة البلد واليوم والشهر التي تقرر عندهم أصلا أنها حرمة عظيمة.

وتأتي تلك السكتات الرائعة (فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه) لتحضّر كل حواس السامعين، فيضبطوا عنه ويفقهوا قوله عليه الصلاة والسلام. هذا كان جزءً مهمًا من التدبير النبوي، ثم يأتي جزءً مهمًا آخر في قوله: "إلا ليلغ الشاهد الغائب"، ثم يتطور هذا الجزء حتى يكون الغائب الذي تبلغه هذه المعلومة مسئولاً عنها وخادمًا لها بدرجة تكون أحيانًا أكثر من السامع الأول (فلعل بعض من بلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه).

فإذا ما حَلَّلنا هذا التدبير النبوي، وجدناه يعتمد مبدأ المشاركة بين المعلم والمتعلم في مراحل يمكن تقسيمها إلى ما يلي:

- حسن أداء من المعلم للمعرفة ملخصة قابلة للحفظ والفهم.
- يرافقه حسن استماع وتلقي من الطالب، يكون للمعلم فيه دور باففعال ما يجذب حواس السامعين.
- ثم حفظ، وتفكر ووعي، من الطالب، يكون للمعلم فيه دور في التحفيز.
- ثم حسن أداء من الطالب؛ يُبلِّغ (الغائب). وهذا التبليغ كفيلاً بتحقيق إنتماء الطالب لعلمه وحميته له، وبثبيت المعرفة واستثمارها لديه، وبفتح أوجه فقهها من خلال إثارة التفكير فيها والنقاشات حولها.

ولكي تُفعَّل هذه الطريقة على أعلى مستوى، فإنه ينبغي على السامع أن يكون شريكاً فيها بأن يعي ويحفظ، ثم يحافظ على ما سمع؛ ليقوم بتبليغه ملخصاً من غير تغيير، ومقروناً بتوضيحه قدر استطاعته؛ وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على هذا فقال: نُضِرَ الله امرأً سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها؛ فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه<sup>(١٩)</sup>.

وهذا مبنيٌ أساساً على جودة المادة العلمية المنقولة، والتي قد يقف المنقولة إليه منها على ما لم يدركه السامع الأول من فهمها، فهي رسالة العلم البيّنة.

وفي جعل رسائل العلم على هذا النحو تحفيزاً لعموم الناس بالتفقه في النص النبوي واستخراج فوائده وأحكامه، قال عليه الصلاة والسلام: "لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ"<sup>(٢٠)</sup>، وفي طلب التبليغ إشارةٌ إلى عظم المعاني الموجودة في النص، والتي ينبغي أن تُستخرج، وأن تتناولها العقول بالبحث

والنظر، أَلَا لِيُبْلَغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يَبْلُغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ<sup>(٢١)</sup>.

وهذا التصورُ الواضح تجاه عملية التعلم، بأنه لا يكون التعليم إيجابياً حتى يُستفاد من المتلقي؛ إما بأن يعي العلم وعياً كاملاً فيصبح من العلماء به الذين يُرجع إليهم فيه، وإلا فلا أقل من أن يحفظ العلم وينقله لغيره، وبغيرهما فإن عملية التعلم ستكون سلبية لا محالة = هو الحق، وهو ما كان يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن مثل ما بعثني الله به عز وجل من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منه طائفة طيبة قبلت الماء فأبنتت الكلاً والعشب الكثير، وكان منها أجادب<sup>(٢٢)</sup> أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان<sup>(٢٣)</sup> لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به<sup>(٢٤)</sup>."

وبين الوعي الكامل والفهم التام للعلم وبين حفظه دون فهم: مراتب كثيرة في درجات الفهم يتفاوت فيها المتعلمون، (فلعلَّ بعضَ مَنْ يبلُغُه أن يكونَ أوعى له من بعض من سمعَهُ). والوعي به نسبي يتفاوت، ولكن درجات الوعي المتفاوتة هذه كفيلة بتحرير المراد على صورته النهائية، إذا ما تداولتها تلك العقول على اختلافها وتدرجها في الفهم.

إذن نحن أمام استراتيجية نبوية متكاملة لهذا الصنف من العلم.

ولكي يضمن النبي صلى الله عليه وسلم نجاح هذه الاستراتيجية التي تعتمد على التلاميذ في تنفيذها؛ فإنه قد قدم للتلاميذ من التحفيز ما هو فوق القدر الأعلى الكافي على القيام بالمهمة. فقال عليه الصلاة والسلام: (بلغوا عني) الحديث، بصيغة

الأمر الصريح الذي يوجب التبليغ، وقال: (ليبلغ الشاهد الغائب)، فبين المسئول عن التبليغ وبين حق الغائب على الشاهد، وفضل الشاهد على الغائب. وفي هذا تحفيزٌ لشهود مجالس العلم، ولمن شهدها على إبلاغه من غاب عنها. وقال عليه الصلاة والسلام: "نضر الله امرءً سمع مقالتي فوعاها ثم أداها لمن لم يسمعها"<sup>(٢٥)</sup> الحديث، وفيه تحفيزٌ كبيرٌ للتلاميذ. من خلال ارتقابهم تحقق (النضارة) التي وعدهم بها<sup>(٢٦)</sup>، والتي تستغرق نضارة الوجوه في الدنيا وفي جنة الآخرة.

وقال: "لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمُر النَّعَم"<sup>(٢٧)</sup>. فَحَفَزَ عَلَى العمل ببيان عظيم أجر المبلِّغ الذي يهدف إلى هداية الناس؛ فلا يقدم لهم إلا ما يناسب نفعهم، وفي هذا مراعاةٌ لحاجة الناس؛ فإن أنفع ما يكون للمرء من العلم ما اشتدت إليه حاجته، وما اشتدت إليه حاجته فإنه يكون أقرب ما يكون إلى حفظه ووعيه.

وبهذا ضمن النبي صلى الله عليه وسلم اهتمام تلاميذه بالأهم ثم الأهم من العلم الذي يبثه فيهم، وبأنه سينال اهتمامهم أيضاً في تبليغه ونشره.

وقال: "من دلَّ على خيرٍ فله مثل أجر فاعله"<sup>(٢٨)</sup>، فكثُرَ به فعل الخير والدلالة عليه، وقال: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً"<sup>(٢٩)</sup>. فإن الخير لا يدوم إلا بمحاربة الشر، وروي عنه أنه قال: "إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في حجرها وحتى الحوت: ليصلون على معلم الناس الخير"<sup>(٣٠)</sup>

وبهذا ضمن عليه الصلاة والسلام أن يُسهمَ التعليم في تعاون المجتمع على الخير حتى يوجدوه وقيموه وتعاونهم على الشر حتى يضعفوه ويستأصلوه.

فكان هذا القدرُ الهائلُ من التحفيز كافيًا لتحويل أولئك التلاميذ إلى معلمين على طبقات متفاوتة الأهلية، أقلهم من نقل المعرفة كما هي إلى غيره، وأكثرهم من نقلها بفقها وفوائدها.

وهكذا تعلم أصحاب رسول الله منه، وعلموا قومهم ممن لا يمكنه الحضور إلى مجالسه، أو المواضبة عليها، فتناوبوا في التلقي والأداء<sup>(٣١)</sup>.

فكان المجتمع (الواعي) يتعاهد المبلغين الذين يُكثرُونَ من لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لديهم من جديد عنه، مما يزيد أولئك المبلغين تحفيزًا للوفاء بمهامهم، وكان أفراد المجتمع يهتمون بشأن الجديد من العلم، فيقسمون وقتهم بين التعلم والتكسب للمعاش، وما كانوا يكتفون بذلك، ولكنهم كانوا يتناوبون مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "كان لي جار من الأنصار، فكنا نتناوب النزول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فينزل يومًا وأنزل يومًا، فيأتيني بخبر الوحي وغيره وآتية يمثل ذلك"<sup>(٣٢)</sup>.

فبهذه الاستراتيجية يكون شأن التعلم شأن الأمة بأجمعها.

وبهذه الاستراتيجية جند النبي صلى الله عليه وسلم وسائل نقل (عاقلة)، تنقل أمره ونهيه وإرشاده في جنبات الأمة بأجمعها.

وبهذه الاستراتيجية ضمن النبي صلى الله عليه وسلم استثمارًا كاملاً لعملية التعلم، من ضبط المعرفة، وتنمية المهارات، والعمل بالعلم، وانتشاره في الأمة، وحفظه من الضياع، وبقاء الصواب، وبقاء أدلته التي تدل على رجحانه.

وبهذه الاستراتيجية نمت مهارات الاتصال لدى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، من خلال الممارسة العملية لمهام اتصال مستمرة، فيها التدريب المستمر على: تلخيص الرسالة، وحسن العرض، وتنمية مهارات الإلقاء، وحسن التلقى، وتنمية مهارات الاستماع، ومهارات الحوار والإقناع، ومهارات التحليل والربط والاستنباط، وغيرها.

فكفلت هذه الاستراتيجية تنمية مهارات الطالب ومهارات المعلم (معاً) في التلاميذ، وجعلت في التلاميذ تدرجات علمية يجول العلم خلالها، ويمنحها قدرًا جيدًا من المذاكرة والحوار والترجيح والمناظرة، وهذا ما لم نجده في أي طريقة تعليمية أخرى؛ حيث تهتم أجودها بتنمية مهارات الطالب فقط في التلاميذ.

ولو ذهبنا ننظر في الجهات المنتفعة بهذه الطريقة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم؛ فسيتبين أثر هذه الاستراتيجية القوية التي تبعها النبي صلى الله عليه وسلم في تعليمه في كافة المحاور المهمة في العملية التعليمية.

**فأولاً: المعرفة،** ضمنت المعرفة بهذه الطريقة الانتشار الواسع في فئات المجتمع وطبقاته، وبلا حدود، مما يكفل وصولها إلى أعداد غير محدودة ولا متوقعة، وفي هذا ضماناً لحفظ هذه المعرفة من الضياع، وفيه أيضاً حفظها من الاحتكار الذي قد يفضي في بعض الظروف إلى الكتمان أو التحريف، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعي أثر هذه الاستراتيجية في حفظ دينه ونشره وبقائه صافياً نقياً إلى أن يأذن الله برفعه في آخر الزمن.

**ثانياً: المجتمع،** فقد وجد المجتمع في هذه الاستراتيجية أعلى درجات الخدمة التي يمكن أن توفرها له طرق التعليم الأخرى؛ ولو كانت مجتمعة، فالمقصود بالتعلم أساساً في هذه الاستراتيجية هو المجتمع، وليس بين المجتمع وأي معرفة جديدة إلا أن يلقيها

المصدر الأساس (المعلم) لجماعة من الطلاب حتى يتحولوا إلى وسائل فاعلة تنقلها بكفاءة للمجتمع، مباشرة وبلا كلل، وينشأ لها نقلةً آخرون من الدرجة الثانية ممن سمع من الطلاب الأول؛ فتتفجر فيه المعارف من كل صوب وحذب، مما يرفع من مستوى وعيه وثقافته وتلاحمه وتماسكه.

**ثالثًا: المعلم،** الذي أصبح يخطط لما يريد أن يلقيه من علم على طلابه، ويجرر عباراته، ويلخص مقصوده، ويسعى لإشراك هؤلاء الطلاب معه في عمل جماعي مثمر لخدمة المعرفة والمجتمع. فتتطور معه مهارات التخطيط والبحث والإلقاء والعرض والحوار والإقناع والرعاية والإدارة المعرفية.

**رابعًا: الطالب،** الذي علت همته فأصبح شريكا في التعلم والتعليم بعد أن كان في كثير من طرق التدريس مجرد متلق محايد للمعرفة لا ينتمي لها ولا يشعر بها ولا يتحمل مسئوليتها ولا يابه لأمرها، ونمت فيه المعارف ومهارات التعلم المتمثلة في مهارات الاتصال والمهارات الإدراكية والمهارات النفسية الحركية. ولم يكتف بنمائها فقط ولكن نمت بجوارها مهارات (المعلم) من وقت مبكر؛ لما تولى نقل العلم (للغائب)، فأصبح له معلماً، ومهارات المعلم أعلى في المستوى من مهارات الطالب.

وبسبب كل هذا النماء المبني على هذه الطريقة الرائدة في التعليم تمكن جيل الصحابة من إصلاح نفوسهم، ومجتمعهم، وتوحيده، ثم نقلوا هذا الصلاح لغيرهم، فصلحت الأمم بدخولها الإسلام، وصلح العالم بهيمنة نظام الإسلام العادل الرحيم، مما أثر إيجابياً في إنتاج التقدم والحضارة التي يعيش في كنفها عالم اليوم.

وفي ختام هذا المطلب يتبين أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن:

- يحفظ هذا العلم من الضياع.
- وأن يعلم به أمته التي كانت في عهده.

- وأن يرفع من مستوى ثقافتها وتفكيرها من خلال هذا الحراك العلمي الثقافي.
- وأن يرفع المستوى المهاري للأمة من خلال تنشيط عملية التعليم هذه.
- وأن تتوثق علاقات أفراد المجتمع من خلال العملية التعليمية والمشاركة فيها.
- وأن يضمن لمن غاب عنه في المكان من أصحابه وأهل جيله أو الزمان من الطبقات التي ستأتي من بعده: وجود من يبلغه هذا العلم.

وأنة لتحقيق مراده هذا قد اتبع أسلوب: الوكالة التعليمية المفتوحة<sup>(٣٣)</sup>، في طريقة "ليبلغ الشاهد الغائب"، وأنه قد وفى بكل ما تتطلبه هذه الطريقة، من: تلخيص المعلومة، وصياغتها بأسلوب يضمن ضبطها ويفتح باب التفقه فيها، وحسن إلقائها وعرضها، والتأكد من ضبط السامعين لها، وتحفيزهم على نقلها لغيرهم، وتحفيز غيرهم على التلقي عنهم، وتقرير أن المبلِّغ بها قد يكون أوعى لها من سامعها الأول الذي بلغه أيها، وفي هذا البيان تحفيز كبير للسامعين والمبلِّغين على حد سواء.

وأنة قد حذر الناقلين عنه من الكذب عليه وطالبهم بالاحتياط، وفتح للعارفين بحديثه باب النقد فيما يرويه عنه الرواة، وذلك احتياطاً عن ما يمكن أن تتسبب به هذه الطريقة من دخول بعض الروايات المكذوبة أو المغلوطة فيما ينقله عنه الناقلون، وأراد للتدافع المعرفي أن يكون هو حافظ هذا العلم، حيث تدفع الروايات الصواب الروايات الخاطئة.

هذه كانت بلا شك طريقته التي أجرى تدبيره التعليم عليها، ولو شاء لأشاع في الأمة أن لا يأخذن أحد العلم إلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو لأشاع أن لا يؤخذن العلم إلا عن رسول الله وكبار أصحابه: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وفلان وفلان، أما وقد فتح أخذ العلم عن كل أحد سمع منه ولو مقالة واحدة، بل رغب فيه، وحفز الأخذ والمأخوذ عنه على التلقي والأداء، فإنه قد اختار هذه الطريقة لتدبير هذا النوع من العلم.

هنا نكون قد وصلنا إلى نتيجة هذا المطلب، وسنرى في المطلب الآتي تديره عليه الصلاة والسلام لنوع آخر من العلم.

### المطلب الثالث: تديره في تعليم العلوم الشرعية التخصصية.

وصلنا في المطلب السابق إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد اتبع في تديره تعليم العلوم المعرفية الثقافية التي يحتاجها جميع أفراد الأمة طريقة: الوكالة التعليمية المفتوحة. فهل تصلح تلك الطريقة لتدبير العلوم التخصصية أيضاً؟

وهل وكّل النبي صلى الله عليه وسلم أحداً في زمانه ليكون معلماً متخصصاً يرجع إليه الناس؟

وما هو دور النبي صلى الله عليه وسلم في التعليم التخصصي؟

وكيف كانت الطريقة التي اتبعها في تديره لهذا النوع من المعلومات؟

الجواب عن هذه التساؤلات يكون من خلال تحليل المواقف التعليمية الواردة في الأحاديث النبوية الصحيحة، ومن خلال النظر في الحقائق التي أحاطت بالتعليم النبوي، والفوارق الرئيسة بين المعرفة الثقافية الإجمالية والمعرفة التخصصية التفصيلية.

فكثرة مهام النبي صلى الله عليه وسلم، والمتمثلة في تدير كل ما يحتاجه المجتمع المسلم في شتى المجالات: تستدعي أن يكون قد استعان بوكلاء في التعليم من خاصة أصحابه ممن تعلموا قديماً، ليقوموا بجزء كبير من المهمة التعليمية لهذا النوع؛ ويتولى النبي الكريم عليه الصلاة والسلام الأشراف على تنفيذها، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصَرِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ الأنفال: ٦٢ الآية. وتأيدهم له عام يشمل التعليم أيضاً.

كما أن استعانة النبي صلى الله عليه وسلم بالشاهد ليعلم الغائب في النوع السابق من أنواع العلوم التي اشتملت عليها الشريعة، والتي ينبغي أن تكون علومًا ثقافية مجتمعة يحتاجها الجميع، يدل أيضًا على أنه ينبغي أن يستعين بوكلاء خاصين لتعليم العلوم الشرعية التخصصية التفصيلية التي لا يمكن للجميع أن يعلّمها.

**على ذلك فإننا أمام فرضية؛** يمكن أن نبني البحث في هذا المطلب عليها، وهي: أن النبي صلى الله عليه وسلم قد استعان بوكلاء خاصين من أصحابه تولوا بعد أن تعلموا العلوم الشرعية التخصصية على يديه: تعليم بقية أصحابه تحت إشرافه.

واختبار هذه الفرضية يكون بعرضها على المواقف التعليمية التي اشتملت عليها الأحاديث الصحيحة، ثم الخروج بالنتيجة التي تدل عليها تلك المواقف بعد تحليلها، إما أثبتت صحة هذه الفرضية أو أثبتت خطأها.

وأول ما نبدأ به من تلك المواقف حديث أنس بن مالك قال: "جاء ناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا أن ابعث معنا رجالا يعلمونا القرآن والسنة فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم القراء فيهم خالي حرام؛ يقرؤون القرآن ويتدارسون بالليل يتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة والفقراء، فبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم إليهم، فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان، فقالوا اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا، قال وأتى رجلٌ حراماً خال أنس من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه؛ فقال حرام: فزت ورب الكعبة، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لأصحابه: إن إخوانكم قد قتلوا! وإنهم قالوا اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا<sup>(٣٤)</sup>.

وتحليل هذا الحديث وقصته يدل على ما يلي:

- أن الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يرون أن المسئول عن تعليم الناس الكتاب والسنة هو النبي صلى الله عليه وسلم.
  - ويرون أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أعدّ من طلابه من يصلح لأن يكون معلماً للمبتدئين.
  - ويرون أن تعليمهم خاضعٌ لإشراف النبي صلى الله عليه وسلم.
  - وبدل تحليل الحديث على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُمكن أصحابه من تعليم بعضهم بعضاً بشكل واسع، وأنه يندب من أتقن شيئاً إلى تعليمه لمن لم يتقنه. وذلك مأخوذاً من هذا العدد الكبير (سبعين) الذي أرسله مع هؤلاء الناس وحدهم، ولم يكن في هؤلاء السبعين كبار أصحابه. فلم يكن تدبيره وفق هذا الحديث يدل على أنه احتكر التعليم في طائفة خاصة، ولكنه مفتوح لكل من أتقن شيئاً من العلم. فهؤلاء القراء كانوا يتذاكرون ويتدارسون. فعلم بعضهم بعضاً، ثم أرسلهم جميعاً لتعليم آخرين.
  - العلم الذي كان عند هؤلاء القراء علمٌ تخصصي، من جهة شموله، ومن جهة نوعه، فتعليمٌ شموليٌ ثقافي، أو تعليمٌ تفصيليٌ تخصصي، كلاهما علمٌ تخصصي.
- كانت نتيجة تحليل هذا الخبر الصحيح الذي حوى مواقف تعليمية، ووضح الحالة الثقافية في زمن النبي صلى الله عليه وسلم: هي تأكيد الفرضية، فالذي وصلنا إليه مع تحليل هذا الخبر يؤيد الفرضية في أصلها، لكنه يزيد في تخصيصها من جانب، يتبين من الإجابة على السؤال الآتي:
- سلمنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد اتخذ طريقة التوكيل الخاص في التعليم التخصصي، لكن كيف كان هذا التوكيل الخاص:

هل أعدّ النبي صلى الله عليه وسلم من أصحابه علماء بالشريعة ثمّ حكر التعليم عليهم؟ حفاظاً على العلم من الخطأ.

أم أنه ندب كلّ من تعلم شيئاً وأتقنه إلى أن يعلمه من لا يعلمه؟ حفاظاً على العلم من الكتمان.

الخبر السابق يميل جداً إلى ترجيح الثاني، لأن هؤلاء السبعين كما ذكرنا هم أقرب إلى أن يكونوا درجات متفاوتة في العلم؛ من المتعلمين الذين تخصصوا في علم الكتاب والسنة، يرجع بعضهم إلى بعض ويستفيد بعضهم من بعض. أقرب أن يكونوا كذلك من أن يكون كل واحدٍ منهم عالم بالكتاب والسنة، مكتمل المعرفة بها أو بأغلبها.

فالحديث يدل على أن التوكيل الخاص في العلوم التخصصية هو: لكل من أتقن شيئاً في العلم بلا احتكار.

ويمكن أن يُستدل على أن طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في التعليم هي تفويض كل من أتقن شيئاً من العلم بأن يعلمه من يحتاجه: بالأحاديث الآمرة بالتبليغ مطلقاً، كقول النبي صلى الله عليه وسلم: "بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"<sup>(٣٥)</sup>.

حيث يشمل كلّ من أتقن شيئاً من العلم ولو آية واحدة، قراءتها وفهمها والعمل بها. كما أن في قوله: (وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) ما يدعم هذا الفهم من جهة كون هذا الخطاب يفتح الأحاديث العلمية في المجتمع ولا يحتكرها، الأمر الذي تقتضيه هذه الطريقة في التوكيل العلمي، وأيضاً يدل قوله (ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) على أن النبي صلى الله عليه وسلم خشي من الكذب عليه بسبب هذه الوكالة العلمية المفتوحة لكل من أتقن شيئاً من العلم، وإلا

لاكتفى بقوله: ولا تأخذوا العلم إلا من العلماء إبي بكر وعمر وعثمان وعلي وفلان وفلان، بعد توجيه النهي عن الكذب عليه إلى هؤلاء الخاصة.

وقد جاء في أخبار السنة أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً نحو اليمن قال له: "إنك تقدم على قوم أهل الكتاب؛ فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم"<sup>(٣٦)</sup>.

فالحديث هنا عن مُعَلِّمٍ واحد، هو معاذ؛ على سعة رقعة اليمن، وما ذاك إلا لأن معاذاً عالمٌ مكتمل العلم بالدين الإسلامي حينها، ليس مثل أولئك القراء الذين يُعدون طلبة علم على مستويات علمية متفاوتة.

والدليل من الحديث نفسه أن النبي صلى الله عليه وسلم أرشده ووصاه بترتيب الأولويات، ولم يُدكِّرهُ بالتفاصيل العلمية لأنه يعرفها، فهو يعرف التوحيد وما يضاده أو ينقصه، ويعرف الصلوات وشروطها وأركانها وأحكامها، ويعرف الزكاة وأحكامها وما يتعلق بها. وكان قد بعث معه أيضاً إلى اليمن أبا موسى الأشعري معلماً ومرشداً، ليعضد أحدهما الآخر، وليفوا بحاجة تلك البلاد الواسعة<sup>(٣٧)</sup>.

وقد سبق مصعب بن عمير إلى المدينة يُعَلِّمُ أهلها التوحيد والصلاة ويقرؤهم القرآن، قال البراء بن عازب رضى الله عنه: "أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، قال فجعلنا يقرئان الناس القرآن، ثم جاء عمار وبلال وسعد، قال ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء قط فرحهم به؛ حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء، قال فما قدم حتى قرأت سبح اسم ربك الأعلى في سور من المفصل"<sup>(٣٨)</sup>.

والبراء بن عازب كان في نحو الحادية عشرة من عمره وقتها، وهذا يعني أن تعليمًا مُنظَّمًا قد سبق مجيء النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، تولاه مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ومن لحق بهما من الصحابة.

وهذا يؤكد أن سياسة النبي صلى الله عليه وسلم هي فتح آفاق التعلم والتعليم في المجتمع، بحيث يُعلِّم أصحابه، ثم يتعلم بعضهم من بعض.

ولا شك أن السؤالات والاستشكالات في تفاصيل المعارف الشرعية كان مرجعها النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن تشهد الروايات أن الصحابة رضوان الله عليهم كان علماءهم يجيبون على سؤالات واستشكالات المجتمع فيما يعلمون، وفي وجود النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يُنكر عليهم ذلك.

فعن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني أنهما قالوا: إن رجلا من الأعراب أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال يا رسول الله أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله، فقال الخصم الآخر وهو أفته منه نعم فاقض بيننا بكتاب الله وائذن لي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل، قال إن ابني كان عسيفاً على هذا فزني بامرأته، وإنني أخبرت أن على ابني الرجم فافتديت منه بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم فأخبروني أنما على ابني جلد مائة وتغريب عام وأن على امرأة هذا الرجم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله، الوليدة والغنم رد، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، واغد يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها). قال فغدا عليها فاعترفت، فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرُجمت<sup>(٣٩)</sup>.

فهذه الإشكالية التفصيلية في الحدود تكلم فيها هنا بعض المسلمين وأخطأ، واستفتى فيها أهل العلم من الصحابة فقالوا بما علموا، والنبي صلى الله عليه وسلم

موجودٌ بين القوم، ولم يستنكفوا عن ذلك لوجوده، وترافع الخصمان أمام النبي صلى الله عليه وسلم، فقضى بما أفتى به أهل العلم، ولم يثرب عليهم، ولم يثرب على من قال في المسألة قبلهم فأخطأ! لأن المخطئ ظن أنه يتكلم بعلم ولكنه التبس عليه التفريق بين البكر والثيب فقضى بالرجم للبكر أيضاً. وهذا ممكن الحصول في مسائل العلم بعامة.

الشاهد في هذه الرواية الصحيحة هي أن الأجوبة على الاستشكالات كانت تروج في أوساط الصحابة، ولم يكونوا يمتنعون عن سؤال غير النبي صلى الله عليه وسلم من أهل العلم من أصحابه، ولم يكن المسئولون منهم يمتنعون عن الجواب بما يعلمون، فلم يكن العلم يُحتكر، ولا كانت الأسئلة تقتصر على طائفة من الناس معلومة دون البقية، لكن كان السائل يتحرى أهل العلم ممن حوله.

والمزية الكبيرة لهذه الطريقة أنها تخلق أجواءً علمية ثقافية في المجتمع، وتحول دون اندثار العلم، وتترك تصفية صواب العلم عن خطئه للمدافعة العلمية.

وبذلك تكون نتيجة المطلب قد تبينت، ويكون التدبير النبوي في بث العلم التخصصي عن طريق اتباع طريقة التوكيل الخاص في نشر العلم، وتبين أن التوكيل يشمل كل من أتقن من العلم شيئاً.

وتبين أن الفارق بين التدبير النبوي في بث العلم التخصصي التفصيلي والعلم الثقافي الإجمالي، هو في أن العلم الثقافي الإجمالي كان يلقي للعموم بصورة يستوعبها العموم، ويطلب من العموم أن يبلغوه، على طريقة "ليبلغ الشاهد الغائب". أما العلم التخصصي التفصيلي فكان يُلقى للخصوص، ويُطلب ممن أتقنه أن يبلغه، على طريقة (ليعلم العالم الجاهل).

وهذا النوع من العلم التخصصي يشمل معارف نظرية وإجراءات عملية، وقد اتبع النبي صلى الله عليه وسلم في الإجراءات العملية طريقة خاصة سيأتي الحديث عنها في المطلب التالي، وبالله التوفيق.

#### المطلب الرابع: التدبير النبوي في التعليم العملي.

سبق أن النبي صلى الله عليه وسلم قد اتبع طريقة التوكيل التعليمي في المطلبين السابقين، وأنه في العلم التخصصي التفصيلي قد اتبع طريقة التوكيل التعليمي الخاص، على طريقة: "ليعلم العالم الجاهل".

والتعليم العملي هو نوع من التعليم التخصصي التفصيلي، كمثال تعليم الناس الوضوء، والصلاة، والحج ونحوها.

ولا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن له بمقتضى بشريته أن يتولى تعليم كل مسلم كيف يتوضأ! ولا كيف يصلي! فلا شك أن كثيراً من المسلمين في زمنه قد استفادوا من طريقته في التوكيل التعليمي، فعلم الأب أبناءه وأهل بيته، وعلم من يتمكن من حضور مجالسه من لا يتمكن من حضورها من صحبه وجيرانه وأقاربه.

وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم طريقة خاصة في هذه المعارف العملية، وهي أنه كان يباشر تعليمها بشكل عملي، ثم يأمر من تعلمها أن يُعلمها من وراءه.

فعن مالك بن الحويرث قال: "أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة؛ فظن أنا قد اشتقنا إلى أهلينا، سألنا عمن تركنا في أهلنا فأخبرنا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيماً رفيقاً، فقال: ارجعوا إلى أهلِكُم فَعَلِمُوهُم ومروهم، وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكبركم"<sup>(٤٠)</sup>.

والعلم هنا قد تلقاه مالك بن الحويرث ورفاقه رضي الله عنهم في عشرين ليلة، كان منه الصلاة وقد تلقوها عنه عملياً على حدّ قوله: (صلوا كما رأيتموني أصلي)، وقد شملت صلاته الأركان والواجبات والمستحبات، ولا دليل على أنهم قد أدركوا بدقة الفيصل بين هذه الأعمال المتنوعة في الصلاة ما كان منها واجباً وما كان مستحباً<sup>(٤١)</sup>؛ وهو قدرٌ من العلم زائدٌ على مجرد ملاحظة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، فالوكيل التعليمي هنا مسئولٌ عن نقل صلاة صحيحة مكتملة، يُعلّمها الناس، ولو كان يجهل الفارق بين واجباتها ومستحباتها، ولو لم يكن قادراً على الإجابة على استشكالات المخلين في تطبيق ما أمرهم به من أحكام الصلاة.

وهذا التخفيف في شرط المعلم: تيسيراً من النبي صلى الله عليه وسلم، ومراعاة لحاجة الناس ومصلحتهم، فالهدف من تعليم الناس الصلاة هنا هو أن يصلوا صلاة صحيحة، لا أن يكونوا فقهاء في الصلاة، وهو يتحقق بالنقل التصوري العملي لصلاة النبي صلى الله عليه وسلم، أما تعليم فقهاء الصحابة أحكام الصلاة، فكان علماً تفصيلياً، يبلغهم بالتنوع في طريقة الصلاة من قبل النبي صلى الله عليه وسلم، وبالخطاب الدال على التفريق بين أعمال الصلاة، وقد بلغه النبي صلى الله عليه وسلم فقهاء الصحابة بلاغاً خاصاً.

ومثل الصلاة كانت الزكاة.

فقد أرسل النبي صلى الله عليه وسلم المزكين من أصحابه، وعلمهم أنصبة الزكاة وأحكامها، وطلب منهم أن يأخذوا من الناس ما وجب عليهم، فكان يأتي المزكي إلى صاحب الماشية عنده خمسين من الغنم فيبلغه بفرض الله عليه في الزكاة، وأنها شاة، ويكتفي بأخذ زكاته، سواءً حفظ صاحب الزكاة نصابه أو نسيه؛ لأنه إذا زكى ماله تحقق المقصود، ولا يجب أن ينشغل أصحاب الأموال بتعلم تفاصيل الزكاة

وأنصبتها، لأن هذا العلم التفصيلي يخص المتفهمة في الزكاة، ولا شأن للناس به، وسيحظى المهتمون به بمجالس علمية خاصة، أو أنهم سيسألون عنه أسئلة خاصة، أو يستخرجونه من أدلة القرآن والسنة على طريقة فقهية تخصصية.

فعن جرير بن عبدالله قال: "جاء ناسٌ من الأعراب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إن ناساً من المصدقين يأتوننا فيظلموننا، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرضوا مصدقكم، قال جرير: ما صدر عنى مصدقٌ منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو عني راضٍ"<sup>(٤٢)</sup>.

ففي قوله: (أرضوا مصدقكم) ما يدل على أنه ترك شرح الفارق بين العدل والظلم لهؤلاء الناس، وأنه اكتفى بتفويضه المصدقين وثقته بهم.

ولكن هل كان هؤلاء المصدقين فقهاء في الزكاة؟ أم أنهم كانوا عالمين بالمسائل الخاصة التي وجههم لها النبي صلى الله عليه وسلم، فمن أرسل لأخذ زكاة الماشية علمه أنصبتها وما يجب فيها، واكتفى بهذه المعرفة التي يتحقق بها المقصود.

وقد نقل أهل السير أنه لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هلال المحرم سنة تسع من مهاجره، بعث المصدقين يصدقون العرب فبعث عيينة بن حصن إلى بني تميم يصدقهم وبعث بريدة بن الحصيب إلى أسلم وغفار يصدقهم، ويقال كعب بن مالك، وبعث عباد بن بشر الأشهلي إلى سليم ومزينة، وبعث رافع بن مكيث إلى جهينة، وبعث عمرو بن العاص إلى بني فزارة، وبعث الضحاك بن سفيان الكلابي إلى بني كلاب، وبعث بسر بن سفيان الكعبي إلى بني كعب، وبعث ابن اللثبية الأزدي إلى بني ذبيان، وبعث رجلاً من سعد هذيم على صدقاتهم، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقيه أن يأخذوا العفو منهم ويتوقوا كرائم أموالهم"<sup>(٤٣)</sup>.

وهؤلاء المسمين في هذا السياق ليسوا جميعاً من العلماء بالزكاة، ولكنهم علموا من أحكام الزكاة ما يتمكنون به من أخذ الزكاة من الناس في أموالهم. وبهذا يتحقق المقصود.

وكذلك الأمر في الحج، فمن المشهور أن النبي صلى الله عليه وسلم حج، وقال للناس: "يا أيها الناس خذوا مناسككم فإنني لا أدري لعلي لا أحج بعد عامي هذا"<sup>(٤٤)</sup>. ولا شك أن قدرًا من أعمال الحجيج قد وقع فيها الخلل أو الشك جراء هذه الطريقة، ولا أدل على ذلك من السؤالات التي أجاب عنها النبي صلى الله عليه وسلم في حجه، والتي تدل على قدر من الشك وقع للناس في مناسكهم.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما: "وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس بمنى والناس يسألونه، فجاءه رجل فقال له يا رسول الله لم اشعر فحلقت قبل ان انحر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انحر ولا حرج، ثم جاءه آخر فقال يا رسول الله لم اشعر فنحرت قبل ان ارمي؟ قال ارم ولا حرج، قال فما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء قدم ولا أخر الا قال افعل ولا حرج"<sup>(٤٥)</sup>.

والتعليم على هذا النحو تميّز بأنه قد سمح ببروز كافة الإشكالات المحتملة في الحج، والتي تواجه الحجيج في تلك الحجة، فبعد أن علّمهم النبي صلى الله عليه وسلم مجمل المناسك، ترك لهم أن يباشروا التطبيق، ثم تلقى الأسئلة وأجاب عليها.

وبهذا بقي للناس تراثٌ علميٌّ كافٍ لإقامة شريعة الحج، وواف بالتنوع المسموح به في المناسك، وضامنٌ لقدرٍ من الاختلاف يبقي حموة الحراك العلمي بين العلماء وطلاب العلم في مسائل الحج وأحكامه، مما يؤدي إلى تراكم الإرث العلمي

في هذه المسائل عبر الأجيال، فيحفظ الحق من الضياع من خلال عظم التراث وتنوعه.

وبهذا يتبين أن النبي صلى الله عليه وسلم قد طلب ممن مارس معه شيئاً من العلم العملي وضبطه؛ طلب منهم أن ينقلوه إلى من لا يعلمه، ولو فات الناقلين شيئاً من فقهه وتفصيلاته، وهذه الطريقة مطابقة تماماً لتدبيره في العلم التخصصي، لكنها تعتمد على طريقة عملية في التعليم، والله أعلم.

### خاتمة المبحث الأول:

من خلال المطالب السابقة تبين أن النبي صلى الله عليه وسلم قد اتبع طريقة التوكيل التعليمي، على درجات متفاوتة:

- فوكل كل الحاضرين ببلاغ الغائبين حكم العلم ومجملاته وما يتهيأ للعموم لضبطه ونقله.
- ووكل من علم مسألة من الدين أن يعلمها من يحتاج إليها.
- ووكل من تدرّب على شيء من أعمال الدين كالصلاة أن يتولى تدريب من لا يتمكن من عملها على النحو الذي رأى النبي صلى الله عليه وسلم يعملها عليها.
- ودرّب علماء ليكونوا مرجعاً للناس في عامة مسائل الدين، وراعى أنهم لن يحيطوا بعلمه.
- وأشرف على سائر هذه العمليات، التي أدت إلى نشر العلم في جنات الأمة، وحالت دون احتكار طائفة له، وحفّزت الحراك العلمي والثقافي في المجتمع.

### المبحث الثاني: أثر التدبير النبوي في التعليم على نماء علم الحديث.

من المتوقع بادي الرأي أن يكون ما فعله المحدثون هو امتداد للتعليم النبوي، فالقوم كانوا أهل اتباع، لا يبتدعون. كما أن أول جيل في المحدثين هو جيل الصحابة،

عنهم أخذ التابعون العلم والأسلوب. فلا شك أن التدبير النبوي (يحتمل جداً) أن يكون له أثر كبير في علم الحديث، في انتشاره، ونمائه، واكتمال علومه.

وسوف أسوق هنا تحليلاً لتاريخ علم الحديث وجهود المحدثين في تكميل علومهم، لنقف على مداخل التدبير النبوي في نماء علم الحديث، فنجد أنه يمكن تقسيمه إلى مراحل:

**أول هذه المراحل مرحلة (نشر الروايات)،** وتكثير الوثائق والشهود، بحيث يُحفظ التاريخ من الضياع، والاحتكار. وقد ابتدأ النبي صلى الله عليه وسلم وضع هذه المرحلة، وسار المحدثون على طريقته في التعليم ونشر العلم وحفظه، حتى بنوا تاريخاً ثرياً بالروايات، التي وزعت بطريقة تسمح بتتبع الطرق، وإجراء المقارنات بينها، وتحرير وجه الصواب، وكشف الأوجه الخاطئة، والحكم على الرواة والروايات بما يستحقونه في مجال القبول والرد.

والاستراتيجية التي اتبعها المحدثون في هذه المرحلة تضمنها حديث النبي صلى الله عليه وسلم: **لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ**، فوصلت رسالته إلى أصحابه فمن بعدهم من المحدثين فامتثلوها، ووعوا إستراتيجيته في التعليم، وفي الحفاظ على الدين (القرآن والسنة)، وأنه يقوم أساساً على تكثيف نشره وبطريقة سهلة مُحَكَمَةٌ تكفل تدفق المعلومات إلى جهات متباينة متباعدة تضمن وصول الحقيقة للجميع، وتحويل دون كتمان الحقيقة أو احتكارها.

وما زالت تلك طريقة المحدثين من الصحابة فمن بعدهم رضوان الله عليهم؛ حتى شهد بها البخاري رحمه الله (١٩٤-٢٥٦هـ) فبوّب في كتاب العلم من صحيحه: **باب: لِيُبَلِّغَ الْعِلْمَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ**، قاله ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٤٦)</sup>، ويسجل رأي المحدثين في توزيع العلم ونشره وأنه: واجب، ويسجل للتاريخ أنهم قد امتثلوا أمره عليه الصلاة والسلام، وساروا على خطته، وامتثلوا طريقته.

وقد عملوا على هذه الاستراتيجية بصورة موسعة حتى كثرت طرق الحديث وتنوعت مخرجها، وانتشرت في البلدان، وأصبحت السنة في مأمن من الضياع، وتوفرت المادة الأساسية من الروايات، والتي تمثل (وثائق) تاريخهم، والتي هيأت فيما بعد لاستعمالها في النقد التفصيلي الدقيق. فنشر الروايات بتلك الطريقة المفتوحة سوف يوجد من خلاله: أوهام، ودخلٌ كثيرٌ في العلم! لكن سيبقى له ما يدفعه وينفيه من الروايات الصحيحة.

**وهنا تأتي المرحلة الثانية المهمة، وهي مرحلة تتبع طرق الحديث التي انتشرت في البلدان وجمعها واعتبارها، ليصفو صوابها ويستبين خطؤها، وهنا استعمل المحدثون استراتيجية أخرى محكمة، غرضها جمع المحدث (أو طالب الحديث) أكبر قدر ممكن من الروايات؛ ليتمكن من اعتبار الروايات ومقارنتها؛ وهذه الخطوة متمثلة عندهم في: **الرحلة في طلب الحديث**، ويبدأ الطالب عندهم السماع من أكابر شيوخ بلده، ثم يرحل للسماع من شيوخ البلدان الأخرى، مقدماً السماع من الشيوخ الكبار في المعرفة والوثاقة، وغالباً ما يكونون من قديمي السماع؛ فيدرك بهم الأسانيد العالية.**

ولذلك فإنهم لما احتاجوا إلى مقارنة المرويات في النقد وجدوا أمامهم تراثاً غنياً من الروايات استطاعوا من خلال استقراءها ومقارنتها: تحرير الرواية من زيادات الرواة وأوهامهم، واستطاعوا رصد موافقات الرواة ومخالفاتهم، وتحديد ثقاتهم من ضعفاتهم، واصطادوا الكذبة وسراق الحديث، مما مكّنهم من النقد الدقيق.

قال أبو حاتم الرازي أحد النقاد الكبار في المحدثين: "لو لم نكتب الحديث من ستين وجهاً ما عقلناه"<sup>(٤٧)</sup>.

قال ابن المديني إمام العلل: "الباب إذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه"<sup>(٤٨)</sup>.

وقال الإمام أحمد: الحديث إذا لم تجمع طرقه لم تفهمه، والحديث يُفسر بعضه بعضاً"<sup>(٤٩)</sup>.

فالاستقراء في جمع الطرق التي سبق نشرها على طريقة (ليبلغ الشاهد الغائب)، ومقارنتها، مع المعرفة بأحوال روايتها، كان سبيلهم في نقد الحديث، وفي ترتيب طبقات الرواة، كما أنه كان سبيلهم في أمورٍ أخرى متعلقة بتحرير ألفاظ الحديث ومعانيه. وهذا كله لولا توزيع العلم في جنبات الأمة على وفق طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في التبليغ؛ ما كان ليوجد، إذ لم يكن لوجوده سبب.

وقد كانوا أثناء الرحلة يسلكون في بداية الأمر السماع باستقصاء (أو الكتابة على الوجه)، ثم بعد أن يصلوا إلى درجة عالية من المعرفة يتخففون في السماع ليكتفوا بانتقاء الأحاديث المهمة من الرواة، وقد كانوا يتفاوتون في معرفتهم بالروايات وطرقها، فإذا اجتمع كبارهم في رحلة لسماع أحاديث منتخبة من شيوخ بلدان لم يكتبوا عنهم من قبل؛ كانوا يطلبون من أكثرهم معرفة بالروايات ومخارجها وانفاقها واختلافها أن ينتخب لهم من روايات أولئك الشيوخ ما يشتمل على (فائدة) جديدة، سواء كانت قيمته في علو سنده، أو في غرابته، أو في تأثيره على الموازنة والمقارنات، وهذه أمورٌ كانوا يدركونها تماماً في وقتهم<sup>(٥٠)</sup>.

قال الإمام الحاكم رحمه الله: "وسمعت جعفر بن محمد بن الحارث يقول: سمعت مأمون المصري الحافظ، يقول: خرجنا مع أبي عبد الرحمن إلى طرسوس سنة الفداء، فاجتمع جماعة من مشايخ الإسلام، واجتمع من الحفاظ: عبد الله بن أحمد بن حنبل، ومحمد بن إبراهيم مرتب، وأبو الأذان، وكيلجة، وغيرهم. فتشاوروا من ينتقى لهم على الشيوخ، فاجتمعوا على أبي عبد الرحمن النسائي، وكتبوا كلهم بانتخابه"<sup>(٥١)</sup>.

والجدير بالذكر أن الرحلة ابتدأت في عصر الصحابة رضي الله عنهم، وهو زمن متقدم<sup>(٥٢)</sup>، وفي وقته المناسب جداً، والجدير بالذكر وبالتأكيد أيضاً: أنه لولا طريقة (ليبلغ الشاهد الغائب) لما وجد الراحلون في العلم من يحدثهم على ذلك النحو الواسع الذي وجدوه.

وبعد أن رحل المحدثون إلى الآفاق ليسمعوا الأحاديث؛ أتت مرحلة استعمل فيها المحدثون استراتيجية محكمة جداً؛ من آثارها الكبرى استثمار المقدار الذي سمعه طلاب الحديث في كل طبقة من شيوخهم في بلدانهم وفي رحلاتهم: في تكوين أساس من الروايات المشهورة التي هي عند كل من كتب الحديث، وبناء الروايات الغريبة التي انفرد في الوصول إليها أهل المعرفة والدراية بعد ذلك، ثم استثمر كل ذلك في مجال النقد، من خلال عملية الموازنة والمقارنة، وعملية ضبط التفرد وقياس أهلية المتفرد به؛ هذه الاستراتيجية هي: المذاكرة<sup>(٥٣)</sup>.

والمذاكرة يستعملها الرواة لغرضين أساسيين: تذكُّر ما عندهم من الروايات وإحيائها حتى لا تُنسى، واستفادة ما ليس عندهم مما هو عند أقرانهم؛ قال الخليل بن أحمد: "ذاكر بعلمك تذكر ما عندك، وتستفد ما ليس عندك"<sup>(٥٤)</sup>.

والمذاكرة كانت تُعرف من زمن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وكان معناها في وقتهم: "تذكر الحديث والتفكر في معنى الحديث وفقهه" أي مذاكرة متن الحديث وما اشتمل عليه من فوائد.

ومما روي عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك:

- عن علي رضي الله تعالى عنه قال: "تذاكروا الحديث فإنكم ألا تفعلوا يندرس"<sup>(٥٥)</sup>.
- وعن عبد الله بن مسعود قال: "تذاكروا الحديث فإن ذكر الحديث حياته"<sup>(٥٦)</sup>.
- وعن أبي سعيد الخدري قال: "تذاكروا الحديث فإن مذاكرة الحديث تهيج الحديث"<sup>(٥٧)</sup>.

ثم انتقلت المذاكرة إلى التابعين بهذا المعنى، وزاد من معانيها عند التابعين أيضاً: "النظر في مَنْ روى الحديث من الصحابة والتابعين"، وفي زمن أتباع التابعين صارت المذاكرة تتوجه عند المحدثين (أولية) إلى: "النظر في طرق رواية الحديث ومخارجه، وضبط ألفاظ متنه" مع العناية بفقه الحديث.

وفي الطبقات التي تليها أصبحت المذاكرة عند المحدثين: قليلة العناية بفقهِ الحديث، تتوجه إلى حصر الروايات المسندة، ثم الموقوفة والمقطوعة لأنها تخدم المسندة؛ ثم استثمار هذا الحصر في تكميل أدلة الباب، ومقارنتها، وما يترتب على ذلك من معرفة: المشهور من الغريب، والصحيح من الضعيف، ومعرفة العدول من المجروحين من الرواة.

وفي هذه المرحلة صارت كثيرٌ من المذكرات تقوم على هيئة التحدي بين المحدثين، في من يغرب على صاحبه بما لا يعرفه من الروايات، وهذا مؤشّرٌ مهمٌ جداً على بلوغ أهل هذه الطبقة درجة التأهل التام لعقد المقارنات الكافية بين الروايات واستثمارها في نقد الحديث.

قال علي بن المديني: أعلمُ الناس بالحديث عبدُ الرحمن بن مهدي.. (قال): وقلت له: قد كتبت حديث الأعمش، وكنت عند نفسي أني قد بلغت فيها؛ فقلت: ومن يفيدنا عن الأعمش؟! (قال) فقال لي: من يُفيدك عن الأعمش! قلت: نعم. قال: فاطرق، ثم ذكر ثلاثين حديثاً ليست عندي! (٥٨).

وعن ابن المديني أيضاً قال: قيل لنا إن جماعة من أصحابنا الكوفيين يقدمون، فأتاني سليمان الشاذكوني يوماً في الصيف قبل نصف النهار في يوم صائف فدق عليّ الباب، فخرجت إليه، فقلت له: في هذا الوقت يا أبا أيوب؟! فقال: نعم، امض بنا إلى عبد الرحمن بن مهدي فإن أصحابنا هؤلاء الكوفيين قادمين علينا، والساعة يلقون علينا ما (..) نعهده للمذاكرة، فامض حتى نذهب إلى عبد الرحمن؛ فنسأله أن يحدثنا بما نرى أنه ليس عندهم، وبما نغرب به عليهم.

قال: فأتيناه فدققنا عليه الباب، فخرج علينا في ملحفة حمراء يمسخُ عينيه من النوم، فقال: في هذا الوقت! فأخبرناه بما قصدنا له، فقال: اكتبوا، فأملى علينا منها

مائة حديث، فنظرت أنا وسليمان فإذا ليس عندنا منها خمسة أحاديث! والباقي كلها نستفيدها!

ثم قام، فقال: الساعة تفوتنا الظهر، فلما جزنا باب عبدالرحمن، قال لي سليمان: لعن الله مهدياً! فقلت: من مهدي؟ قال: أبو هذا الشيطان! كما خرج هذا من صلبه، ترى أنه لو كان قد نظر في كتبنا زاد على هذا!<sup>(٥٩)</sup>.

وبتلمذ ابن المديني على ابن مهدي وأمثاله من النقاد أصبح هو المقدم في علل الحديث بين المحدثين في عصره، وعن ابن المديني أخذ البخاري رحمه الله، وفي هذه الحقة راج النقد التفصيلي للأحاديث، وألفت الكتب الصحاح المعتمدة عند المحدثين رحمهم الله.

قال الحاكم رحمه الله (٤٠٥هـ): "إن الصحيح لا يعرف بروايته فقط، وإنما يعرف بالفهم والحفظ وكثرة السماع، وليس لهذا النوع من العلم عون أكثر من مذاكرة أهل الفهم والمعرفة ليظهر ما يخفى من علة الحديث"<sup>(٦٠)</sup>.

وقد كان كبار الأئمة والحفاظ يجدون في المذاكرة حوافز نفسية كبيرة؛ عندما يُقَرُّ لهم أهل المعرفة والاختصاص بالفضل والتقدم.

قال أبو الحسين بن فارس (٣٩٥هـ): "سمعت الأستاذ ابن العميد يقول: ما كنت أظن أن في الدنيا حلاوة ألد من الرئاسة والوزارة التي أنا فيها؛ حتى شاهدت مذاكرة سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠هـ) وأبي بكر الجعابي (٣٥٥هـ)، بحضرتي، فكان الطبراني يغلب الجعابي بكثرة حفظه، وكان الجعابي يغلب الطبراني بفطنته وذكاء أهل بغداد، حتى ارتفعت أصواتهما ولا يكاد أحدهما يغلب صاحبه، فقال الجعابي: عندي حديث ليس في الدنيا إلا عندي! فقال: هاته. فقال: نا أبو خليفة نا سليمان بن أيوب وحدث بالحديث.

فقال الطبراني: أنا سليمان بن أيوب، ومني سمع أبو خليفة، فاسمع مني حتى يعلو إسنادك؛ فإنك تروي عن أبي خليفة عني، فحجل الجعابي وغلبه الطبراني!

قال ابن العميد: فوددت في مكاني أن الوزارة والرئاسة ليتها لم تكن لي؛ وكنت الطبراني، وفرحت مثل الفرخ الذي فرح به الطبراني لأجل الحديث، أو كما قال<sup>(٦١)</sup>.

والسبب في توجه غالب همتهم في هذه الطبقات إلى الأسانيد ومعرفة مخارج الحديث وضبط ألفاظ متن كل رواية واختلاف الرواة في المتون والأسانيد: هو طول الأسانيد وتشعبها، مما حدا برواة الحديث إلى توجيه العناية إلى ضبط الأسانيد والألفاظ، وترك المبالغة في التفقه في معانيها لأولي الأهلية منهم؛ ممن جمع بين رواية الحديث والفقه فيه<sup>(٦٢)</sup>، ولغير المحدثين ممن يملك فقها ومعرفة. فهذا قدرٌ يمكن لغيرهم ممن عنايته الفقه أن يخدمه، أما ما توجهوا لخدمته من ضبط طرق الحديث ومخارجه وألفاظ رواياته؛ فليس يمكن لغيرهم أن يسدّ بابه أبداً، فرحمهم الله.

وكان للمذاكرة آثارٌ مهمة على منهج المحدثين النقدي متعلقة: بضبط الأحاديث، والاستقصاء في جمع طرقها، ومقارنة الروايات، ومعرفة المشهور من الغريب، والصحيح من السقيم، وضبط الرواة، وما يتعلق بجرحهم وتعديلهم، وأصح الأسانيد، وأوهاها، وعواليها، وما تفرد به راو، أو أهل بلد دون سائر البلاد، وهكذا<sup>(٦٣)</sup>.

وبهذا نعلم أن سير المحدثين وفق تلك المراحل كان له أبعد الأثر على تكوين علم الحديث ونمائه واكتماله.

فنشر السنة على طريقة "ليبلغ الشاهد الغائب"، ثم تتبع تلك الروايات وجمعها من خلال "الرحلة في طلب الحديث"، ثم الاستقراء والمقارنة والموازنة من خلال "المذاكرة" = هي التي أنضجت منهج النقد، وأكملت علوم الحديث، وجعلت من علم الحديث علم تزول الراسيات ولا يزول.

وبهذا نصل إلى أن التدبير النبوي في التعليم هو الذي أنشأ علم الحديث على هذا الوجه التي طوره بعده (المحدثون) عبر قرون، حتى اكتمل من خلال تكامل جهودهم، فتولى أتباعهم في كل عصر نقل علمهم وتداوله وخدمته.

المبحث الثالث: أوجه الاستفادة العلمية المعاصرة من التدبير النبوي.

إن الاستفادة من التجارب الناجحة أيًا كان مصدرها مطلب فطري، وهو توجيه إسلامي أصيل، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها. فما عسى المسلمون أن يكون موقفهم حيال تجربة نبيهم الكريم في التعليم إلا التوجه التام إلى الاستفادة منها ومحاولة تطبيقها والاستفادة منها بحسب ظروف زمانهم.

وقد قمت بتحليل العملية التعليمية في زماننا، والتنظيم المؤسسي الذي حظيت به، واستقرت الأدوات التي يمكن توظيفها لخدمة العملية التعليمية، وأعاني على ذلك تجربتي التعليمية المتنوعة في المراحل الدراسية المختلفة والمهام الإشرافية والإدارية التي أوكلت إلي<sup>(٦٤)</sup>، فظهر لي جوانب عدة يمكن أن تُفَعَّل فيها هذه الاستراتيجية، فتحقق نتائج عالية، ومن ذلك:

**أولاً:** لا بد وأن يشتمل كل درس علمي مهما كان تخصصياً على حكمة توعوية ثقافية ترفع من أهلية المجتمع الثقافية، هكذا كل العلوم، وغالبًا ما تكون هذه الحكم متمثلة في الجانب التطبيقي الذي يحتاجه المجتمع من (الدرس)، فاستخلاص هذه الحكم، وبنها في المجتمع واجبٌ على المؤسسات العلمية.

**مثال ذلك:** في درس تعريف الحديث الصحيح من مادة "علوم الحديث"، يمكن استخلاص عدة رسائل اجتماعية مهمة، على النحو الآتي:

- ليس كل خبر صحيح، فينبغي التوقف عن نشر ما لم تثبت صحته من الشائعات.

- قد يكون راوي الخبر ثقة لكننا يجب أن نحتاط فإنه يمكن أن يكون قد أخذه عن غير ثقة.
- أئمة الحديث قد بذلوا قصارى جهدهم لتبقى سنة النبي صلى الله عليه وسلم نقية محفوظة من الضياع أو التحريف.
- السنة النبوية محفوظة باقية في الأمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

**ثانياً:** كل درس علمي يمكن تلخيصه بحيث يتمكن الطالب من نقله إلى (الغائب) ملخصاً، وهذا مبني على تفاوت مستوى الغائب ومؤهلاته، فالعامي البسيط يكفي أن ننقل له من التخصصات العلمية الحِكَمَ التي تناسب المجتمع بأكمله (كما سبق في الأمثلة). أما القريب من التخصص أو المبتدئ فيه فإنه من المناسب جداً أن نقدم له ملخص الدرس عن طريق استراتيجية إبلاغ الغائب، مهما كان هذا الملخص متخصصاً.

**مثال ذلك:** "في درس تعريف الحديث الصحيح ومحترزات التعريف من مقرر علوم الحديث"، فإنه يمكن تلخيص الدرس وإبلاغه لأصحاب العناية مكتملاً. على نحو من العبارات التالية: "لكي يضمن المحدثون صحة الحديث فإنهم اشترطوا في راوي الخبر أن يكون معروفاً بالعدالة وبالضبط في سائر طبقات السند ليضمنوا درجة عالية من غلبة الظن بصحة روايتهم، وأضافوا وسيلتين إضافيتين للتحرز من أوهام الثقات وأخطائهم أو تدليسهم هي اشتراط السلامة من الشذوذ والعلة، وهم بهذه الشروط الخمسة يُخرجون الحديث الذي في إسناده انقطاع أو في راويه جرح أو تين فيه خلل خفي يقدر في صحته".

**ثالثاً:** يشتمل القرآن والسنة على رسائل ثقافية في غاية القوة، ينبغي ربط الدروس العلمية بها، ونشرها للمجتمع على صيغة رسائل محددة، ليسهل على كل من بلغته أن يسهم في إبلاغها (الغائب)، ومن رعاية الله تعالى للأمة وعناية الرسول الكريم بها فإن في نصوص القرآن والسنة ما يكفي الأمة من رسائل التوعية والتثقيف والإصلاح.

## فمثلاً:

- "إن الله على كل شيء قدير" رسالة في غاية القوة تبني الثقة بالله في قلب المؤمن.
- "ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره." رسالة قوية لضبط النفس ومحاسبتها.
- "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" رسالة قوية في وجوب العدل والإنصاف ومعاملة الناس بما ترضاه لنفسك، وأن تكف عنهم ما تحب أن يكفه غيرك عنك.
- "إنما الأعمال بالنيات"، رسالة قوية في تعاهد النية وإصلاحها، وفي إصلاح سائر الأعمال.
- "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"، رسالة قوية لنشر الأمن في المجتمع.
- "إن دماءكم وأعراضكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا"، رسالة قوية للتشديد على وجوب إعطاء الناس حقوقهم وتحريم الاعتداء عليها.

رابعاً: وسائل الإعلام بمعزل عن نشر رسائل التعليم، وهي تنشر كل شيء إلا أن نشرها لرسائل الإصلاح ليس منظماً ولا مدروساً؛ بحيث تبلغ به الحد الكافي لنشر الوعي الاجتماعي، فلو أن مؤسسات التعليم قدمت لوسائل الإعلام رسائل تثقيفية جاهزة للبحث الإعلامي، وتولته الأخيرة من خلال برامج مشاركة مدروسة، لقدمت خدمة جليلة للمجتمع بسبب المساحات المفتوحة لها في المجتمع، سواء كانت وسائل الإعلام مقروءة أو مسموعة أو مرئية، وسواء كانت إعلاماً منظماً تقوم عليه مؤسسات أو ما يسمى (الإعلام الحر).

خامساً: تتنوع الواجبات والتكاليف الدراسية، فلماذا لا تكون هذه الاستراتيجية جزءاً من هذه التكاليف، بحيث يتولى الطلاب أو بعضهم تعليم (الغائب)، وبالإمكان

أن يعد الطالب تقريراً مختصراً وفق نموذج معد سلفاً لهذا الغرض، يبين فيه تجربته في إبلاغ الغائب وعائدها عليه واستفادة (الغائب منها). سواء كان هذا الغائب ممن سيلقاه وجهاً لوجه أو سيتواصل معه عبر أي من قنوات التواصل، فالأجهزة الذكية (مثلاً) يمكن أن تُفَعَّل بها هذه الطريقة إلى أقصى حدود، وبلا تكلفة.

**سادساً:** يمكن أن يعتمد المدرس طريقة التدريس هذه في القاعة، بحيث يُعطي الفكرة ويطلب من الطلاب نقلها فيما بينهم وكأنَّ بعضهم حاضراً والبعض الآخر غائب، ثم يعكسون الاتجاه، ليتمكنوا من هذه الطريقة وينمو فهمهم ومهاراتهم، ويتعودوا على نقل الفائدة (للغائب).

**سابعاً:** ينبغي للمدرس أن يعتمد استراتيجية تعليمية متكاملة تهدف لنشر العلم في المجتمع. وأن لا يكتفي بإيصال العلم للطلاب الذين سيتلقون الدرس فقط.

**ثامناً:** يمكن أن توجَّه منتديات المؤسسات التعليمية على الشبكة (الانترنت) إلى أن تكون ميداناً لتبليغ (الغائب)، وفتح التساؤلات والحوارات حول ما يُلقى بقاعات الدرس، بحيث يورد الملخص ليتناوله الطلاب المنتظمون والمستفيدون من خارج المؤسسة التعليمية لنشر المعرفة وتنمية مهارات: التفكير والنقد وصياغة الكتابة الهادفة والتلخيص والحوار والاستدراك وغيرها.

والمجال يظل مفتوحاً لاستثمار هذه الطريقة بأي وجه من الوجوه الصحيحة في التعليم، فلربما فرض الواقع على بعض التجارب إتجاهاً مختلفاً. ولربما كانت بعض البرامج والمقررات الدراسية أصلح لتطبيق هذه الطريقة من بعض. فكل وجه من وجوه تطوير التدريس بالاستفادة من الطريقة النبوية سيكون مقبولاً ما حافظ على روح هذه الطريقة: وهي أن يعلم الناس من الحق ما يناسب مستواهم.

## الخاتمة

### أهم النتائج:

- اعتمد النبي صلى الله عليه وسلم على استراتيجيات تعليمية مختلفة عن استراتيجيات التدريس المشهورة.
- تضمنت هذه الاستراتيجيات عدداً من الطرق التعليمية المعروفة.
- تقوم هذه الاستراتيجيات على أن يستهدف المعلم المجتمع كله بالدرس، ويستهدف الحاضرون له ليكونوا وسيلة نقله لمن غاب عنه، ويستهدف المجتمع كله من خلال كل من تعلم شيئاً أن يعلمه لمن جهله. "إبلاغ الشاهد الغائب، وتعليم العالم الجاهل".
- يمكن أن نقول إن النبي صلى الله عليه وسلم قد (فوّض) بشكل واسع، وفي مهمة صعبة، هي التعليم.
- من أبرز أغراض النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الطريقة: نشر العلم في المجتمع، والمحافظة على العلم من الاندثار، ومن الاحتكار، وتفعيل عناصر الأمة في العمل لأجل مصلحتها، كفريق واحد.
- تتطلب هذه الطريقة أن تكون المعرفة صحيحة ومناسبة لحال المعنيين بها ومستواهم الثقافي.
- تتطلب هذه الطريقة أن يقدم المعلم المعرفة ملخصة بعبارات مناسبة للحفظ والفهم.
- تتطلب هذه الطريقة محفزات كافية للوصول بالطلاب إلى حدود التفاعل الكافي لنجاحها.
- تتطلب هذه الطريقة أن تكون المعرفة المقدمة للطلاب منظمة ومرتبطة بطريقة علمية منطقية.

### أهم التوصيات:

- يوصي الباحث بالاستفادة من الإستراتيجية النبوية في التعليم في جميع التخصصات التعليمية. وفي تدريس العلوم الإسلامية على وجه الخصوص.

- ويوصي بإقامة حلقات نقاش للمختصين في التربية والتعليم للوصول إلى نموذج تعليمي يعتمد إستراتيجية النبي صلى الله عليه وسلم في التعليم ويوافق طبيعة عصرنا، ثم يعمم ويدرب المدرسون عليه.
- ويوصي باستخراج مكنون السنة في مجال التدابير النبوية، حيث حوت كثيراً من الاختصارات في مجال الإنتاج والجودة، والنبي صلى الله عليه وسلم يعدُّ القائد القدوة، والمدير القدوة، والمشرف القدوة. وسيجني المسلمون من استخراج تدابير ما يحقق لهم طفرات هائلة في مجال التدابير.

**الهوامش والتعليقات:**

- (١) هي: صحيح البخاري ومسلم وابن خزيمة وابن حبان وسنن أبي داود والترمذي والنسائي، ولا يكاد يفوت هذه الكتب من الأحاديث الصحيحة شيءٌ يؤثر على نتائج هذا البحث.
- (٢) المصباح المنير للفيومي (١/١٨٩).
- (٣) يفرق التربويون بين استراتيجيات التعليم وطرق التدريس:
- فالإستراتيجية: هي خطة تبين كيفية الوصول إلى هدف محدد. وتشير إلى شبكة معقدة من الأفكار والتجارب والتوقعات والأهداف والخبرة والذاكرة التي تمثل هذه الخطة بحيث تقدم إطار عام لمجموعة من الأفعال التي توصل إلى هدف محدد.
- الطريقة: آلية وكيفية تنفيذ كل فعل من الأفعال المطلوبة لتطبيق الإستراتيجية بالإعتماد على مجموعة من المصادر والأدوات.
- فعلى ذلك فإن استراتيجيات التعليم هي التي تحدد طرق التدريس المناسبة لتحقيق أهداف تلك الاستراتيجيات. (كتاب: التدريس طرائق واستراتيجيات)، وينظر أيضاً: (استراتيجيات التدريس والتعليم) جابر عبد الحميد جابر، و(استراتيجيات التدريس) حسن حسين زيتون.
- (٤) جملة قالها النبي صلى الله عليه وسلم في عدد من المناسبات، وهي جزء من حديث أبي بكر في وصف خطبة حجة الوداع، أخرجه البخاري في الصحيح (٦٧، وغيره) ومسلم (١٦٧٩)، وغيرهما، وعلق البخاري في صحيحه (١٠٣) عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ليبلغ العلم الشاهد الغائب".
- (٥) حديث صحيح أخرجه أحمد في المسند (١/٢٦٦)، وغيره، وابن حبان في صحيحه (٧٠٥٥)، والحاكم في المستدرک (٦٢٨٠)، وغيرهم.
- (٦) جزء من حديث مالك بن الحويرث، أخرجه البخاري في الصحيح (٦٣١)، وله أطراف، وابن حبان في صحيحه (١٦٥٨)، وغيره، وغيرهما.

- (٧) أخرجه البخاري في الصحيح (٥٦٨٠)، وابن ماجة في السنن (٣٤٩١)، وغيرهما من حديث ابن عباس.
- (٨) حديث صحيح سبق تخريجه ص ١١
- (٩) جزء من حديث أخرجه البخاري في مواضع (١، وغيره)، ومسلم (١٩٠٧)، وأبو داود في السنن (٢٢٠٣)، وابن خزيمة في الصحيح (١٩٣٤)، وابن حبان في الصحيح (٢٨٨)، وغيرهم.
- (١٠) أخرجه البخاري في الصحيح معلقاً (٢١٤٢)، ومسلم في الصحيح (١٧١٨)، وغيرهما.
- (١١) أخرجه مسلم في الصحيح (١٠١)، والترمذي في الجامع (١٣١٥)، وابن حبان في الصحيح (٤٩٠٥)، وغيرهم.
- (١٢) حديث صحيح أخرجه الإمام مالك في الموطأ (١٤٢٩)، والإمام أحمد في المسند (٣١٣/١)، والحاكم في المستدرک (٢٣٤٥) وقال على شرط مسلم، وغيرهم.
- (١٣) أخرجه البخاري في الصحيح (٣٥٦٧)، ومسلم في الصحيح (٢٤٩٣)، وغيرهما.
- (١٤) أخرجه البخاري (٣٥٦٨)، ومسلم (٢٤٩٣)
- (١٥) طريق صحيح، أخرجه أبو يعلى في المسند (٤٣٩٣).
- (١٦) طريق صحيح، أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٢٤٤)، والبيهقي في الكبرى (٥٩٦٧).
- (١٧) سبق تخريجه ص ١١.
- (١٨) أخرجه البخاري في الصحيح (٦٧)، وله أطراف، ومسلم في الصحيح (١٦٧٩)، وغيرهما.
- (١٩) صحيح، جزء من حديث أخرجه الترمذي في الجامع ٢٦٥٨
- (٢٠) أخرجه البخاري في الصحيح (٦٧) وله أطراف، وابن حبان في الصحيح (٣٨٤٨).
- (٢١) أخرجه البخاري (٤٤٠٦)، وغيره.
- (٢٢) الأجَادِب: صِلَابُ الْأَرْضِ الَّتِي تُمَسِّكُ الْمَاءَ فَلَا تَشْرُبُهُ سَرِيعًا. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٦٩٨/١).

- (٢٣) قيعان: جمع قاعٍ والقاعُ أرضٌ حرّةٌ لا رَمَلٌ فيها ولا يُثْبِتُ فيها الماء لاستوائها ولا غُدْرٌ فيها تمسك الماء فهي لا تُثْبِتُ الكلاً ولا تُمْسِكُ الماء. غريب الحديث لابن الجوزي (٢٧٤/٢).
- (٢٤) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢)، وغيرهما.
- (٢٥) حديث صحيح، أخرجه أبو داود في السنن (٣٦٦٢)، والترمذي في الجامع (٢٦٥٧)، وأحمد في المسند (٤٣٦/١)، وابن حبان في الصحيح (٦٦)، من حديث ابن مسعود، وفي الباب عن غير ابن مسعود أيضاً.
- (٢٦) وقد كان المحدثون يرتقبونها ويفرحون بها، حتى قال سفيان بن عيينة (١٩٨هـ): "ما من أحد يطلب الحديث إلا وفي وجهه نضرة"، شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي رقم (٢٢).
- (٢٧) أخرجه البخاري في الصحيح (٢٩٤٢) وغيره، ومسلم في الصحيح (٢٤٠٦)، وغيرهما.
- (٢٨) أخرجه مسلم في الصحيح (١٨٩٣)، وغيره.
- (٢٩) أخرجه مسلم في الصحيح (٢٦٧٤)، وغيره.
- (٣٠) حديث صحيح، أخرجه الترمذي في الجامع (٢٦٨٥)، وغيره.
- (٣١) وقد ورث المحدثون ذلك عنهم، فكان علمهم تلقياً وأداءً كعلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- (٣٢) قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري في الصحيح (٥١٩١)، ومسلم في الصحيح (١٤٧٩)، وغيرهما.
- (٣٣) هكذا أسميتها بناء على أقرب وصف لها.
- (٣٤) أخرجه البخاري في الصحيح (١٠٠١) وله أطراف، ومسلم في الصحيح (٦٧٧) وهذا لفظه، وغيرهم.
- (٣٥) أخرجه البخاري في الصحيح (٣٤٦١)، والترمذي في الجامع (٢٦٦٩) وقال حسن صحيح، وأحمد في المسند (١٥٩/٢) وغيره، وابن حبان في الصحيح (٦٢٥٦)، وغيرهم.

- (٣٦) الحديث أخرجه البخاري في مواضع من الصحيح (١٣٩٥، وله أطراف)، ومسلم في الصحيح (١٩)، وغيرهما.
- (٣٧) أخرج البخاري في صحيحه (٢٢٦١) وغيره، ومسلم في صحيحه (١٧٣٣)، من حديث أبي موسى أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه ومعاذًا إلى اليمن فقال: "يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطوعا ولا تحتلفا".
- (٣٨) أخرج البخاري في صحيحه (٣٩٢٥) وغيره، وأحمد في مسنده في مسنده (٢٨٤/٤) وغيره، وابن حبان في صحيحه (٦٢٨١) وغيره، وغيرهم .
- (٣٩) أخرج البخاري في صحيحه (٢٣١٥) وله أطراف، ومسلم في صحيحه (١٦٩٧)، وغيرهم.
- (٤٠) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٢٨) وله أطراف، ومسلم في صحيحه (٦٧٤)، وغيرهم.
- (٤١) وقد نص على ذلك ابن حبان في صحيحه (١٦٥٨).
- (٤٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٩٨٩)، وأبو داود في السنن (١٥٩١)، والنسائي في المجتبى (٢٤٦٠)، وغيرهم.
- (٤٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (١٦٠/٢).
- (٤٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١٢٩٧)، وأبو داود في السنن (١٩٧٢)، والنسائي في المجتبى (٣٠٦٢)، وغيرهم.
- (٤٥) أخرجه البخاري في صحيحه (١٢٤) وله أطراف، ومسلم في صحيحه (١٣٠٦)، وغيرهم.
- (٤٦) الجامع الصحيح للإمام البخاري (١٠٤).
- (٤٧) الشذا الفياح للأبناسي (٤٠٩/١)، فتح المغيث للسخاوي (٣٧٠/٢) الكتب العلمية، وتدريب الراوي للسيوطي (١٤٩/٢).
- (٤٨) معرفة أنواع علم الحديث لابن الصلاح، نوع معرفة المعلن (ص ٢٦٠)، وأسند نحو هذه العبارة عن ابن المديني ابن حبان في مقدمة المجروحين (٣٣/١).
- (٤٩) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب (٢١٢/٢).

- (٥٠) ينظر: الرحلة في طلب الحديث، للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى.
- (٥١) معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٢٨١.
- (٥٢) الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي (١/١٠٩).
- (٥٣) ينظر بحث أنواع المذاكرة عند المحدثين آثارها والفوائد المترتبة عليها للدكتور: عبد الرزاق موسى أبو البصل، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢١، العدد الأول، عام ٢٠٠٥م.
- (٥٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١٨٤٦).
- (٥٥) إسناده صحيح، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/١٨٩)، والحاكم في المستدرک (٣٢٣)، وقال على شرط الشيخين.
- (٥٦) إسناده صحيح، أخرجه الدارمي في مسنده (٦٠٣)، والحاكم في المستدرک (٣٢٤)، وقال على شرط الشيخين، وغيرهما.
- (٥٧) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٢٢).
- (٥٨) سير أعلام النبلاء للذهبي (٩/١٩٤).
- (٥٩) التاريخ وأسماء المحدثين وكناهم للمقدمي (٢٠٧).
- (٦٠) معرفة علوم الحديث، النوع (١٩) معرفة الصحيح والسقيم.
- (٦١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١٨٥٠).
- (٦٢) وهم قلة من المحدثين، ومن مشاهيرهم: أحمد، وابن المديني، والبخاري، وأبو داود، والنسائي، في آخرين، رحمهم الله.
- (٦٣) منهج المحدثين في النقد وعلاقته بالمنهج النقدية التاريخية، تأليف الدكتور عبد الرحمن بن نويّف السُّلمي ص ١٠٠
- (٦٤) حيث درّستُ بحمد الله في: المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية والجامعية ومرحلة الماجستير، وخارج المؤسسات التعليمية النظامية (في المسجد)، وتوليت مهام إشرافية وإدارية وتطويرية للعملية التعليمية، فالحمد لله على ما يسّر من خبرة.

### قائمة المصادر والمراجع:

- ١- القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم، طبع مجمع الملك فهد بالمدينة النبوية.
- ٢- استراتيجيات التدريس (رؤية معاصرة لطرق التعليم والتعلم)، حسن حسين زيتون، عالم الكتب، القاهرة، الأولى، ٢٠٠٣م.
- ٣- استراتيجيات التدريس والتعليم، جابر عبد الحميد جابر، دار الفكر العربي، القاهرة، الأولى، ١٩٩٩م.
- ٤- أنواع المذاكرة عند المحدثين آثارها والفوائد المترتبة عليها: د. عبد الرزاق موسى أبو البصل، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢١، العدد الأول، عام ٢٠٠٥م.
- ٥- التدريس طرائق واستراتيجيات، إعداد مركز نون للتأليف والترجمة، نشر جمعية المعارف الإسلامية، الأولى ٢٠١١م.
- ٦- تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، عناية: عادل مرشد، الرسالة، الأولى، ١٤١٦هـ.
- ٧- تهذيب التهذيب، لابن حجر، ضبط ومراجعة: صدقي جميل العطار، دار الفكر، الأولى، بيروت، ١٤١٥هـ.
- ٨- تهذيب الكمال، لأبي الحجاج المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، عام ١٤٠٠هـ.
- ٩- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، تحقيق د. محمود الطحان، المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ.
- ١٠- الرحلة في طلب الحديث، تأليف: الخطيب البغدادي، تحقيق: نور الدين عتر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ.
- ١١- سنن ابن ماجه، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية.
- ١٢- سنن أبي داود السجستاني، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس، دار الحديث، حمص = ونسخة أخرى بتحقيق: محمد عوامه، دار اليسر، الثالثة، ١٤٣٠هـ

- ١٣- سنن الترمذي (الجامع)، لأبي عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاکر وآخرون طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت= نسخة أخرى بتحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ١٤- السنن الكبرى للبيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الباز، مكة ١٤١٤هـ.
- ١٥- السنن الكبرى للنسائي، أشرف على تحقيقه: شعيب الأرنؤوط، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى، ١٤٢١هـ.
- ١٦- سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، اعتنى به ورقمه وصنع فهرسه: عبدالفتاح أبو غدة، طبع دار البشائر الإسلامية، بيروت، تصوير مكتب المطبوعات الإسلامية بـمـجـلـبـ.
- ١٧- سير أعلام النبلاء، للذهبي، أشرف على تحقيقه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الحادية عشر، ١٤١٧هـ.
- ١٨- الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح، تأليف: البرهان الأبناسي، تحقيق صلاح هـلـل، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٨هـ.
- ١٩- شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي، تحقيق: عمرو عبدالمنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الأولى ١٤١٧هـ.
- ٢٠- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٢١- صحيح ابن خزيمة، تحقيق وتعليق: محمد مصطفى الأعظمي، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، الثانية، ١٤١٢هـ.
- ٢٢- صحيح مسلم بشرح النووي، طبع دار الكتب العلمية، الأولى، عام ١٤١٥هـ.
- ٢٣- صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار القلم، بيروت ١٩٨١م.
- ٢٤- الطبقات الكبرى، لابن سعد، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الأولى ١٤٢١هـ.
- ٢٥- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، إخراج ومراجعة محب الدين الخطيب، الطبعة الثانية، دار الريان، القاهرة، عام ١٤٠٧هـ.

- ٢٦- المجرّوحين، لابن حبان، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، المعرفة، ١٤١٢هـ.
- ٢٧- المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، تصوير دار المعرفة عن الطبعة الهندية.
- ٢٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل، بتحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، الطبعة الأولى، عام ١٤١٦هـ مؤسسة الرسالة، بيروت .
- ٢٩- مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار الثقافة العربية، دمشق، الأولى، ١٤١٣هـ.
- ٣٠- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد المقرئ الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.
- ٣١- معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه، تأليف: أبي عبدالله الحاكم، تحقيق: أحمد بن فارس السلولم، دار ابن حزم، الأولى، ١٤٢٤هـ.
- ٣٢- مقدمة ابن الصلاح، تحقيق الدكتورة: عائشة بنت الشاطي، تصوير المكتبة الفيصلية، طبعة عام ١٤١٥هـ، محررة .
- ٣٣- النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبن الأثير، تحقيق طارق الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.

**الصَّحَابَةُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ ابْنُ عَدِيٍّ فِي كِتَابِ الضَّعْفَاءِ**  
(دراسة منهجية في الجرح والتعديل)

إعداد

**د. عماد علي عبد السميع حسين**

أستاذ الدراسات الإسلامية المشارك - بكلية الآداب والعلوم الإنسانية  
جامعة طيبة - بالمدينة المنورة.



# الصَّحَابَةُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ ابْنُ عَدِيٍّ فِي كِتَابِ الضُّعْفَاءِ

(دراسة منهجية في الجرح والتعديل)

د. عماد علي عبد السميع حسين

## المقدمة:

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، واختار له أصحاباً هم خير الخلق بعد الأنبياء، نصرَ بهم دينه، وحفظ بهم شريعته، وأرغم بهم أنوف أعدائه، فكانوا كما قال فيهم: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ....)<sup>(١)</sup>.

والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله محمد البشير النذير، وعلي آله وصحبه والتابعين، وبعد:

فإن علم الجرح والتعديل من أهم العلوم التي كان لها الأثر العظيم في إثراء عملية التحقيق والنقد البناء، والتي أثمرت بقاء كتب الشريعة وتراثها محفوظة، دون أن تعبت بها يد التزوير، أو تنال منها يد التحريف.

ويرجع هذا العلم في أصله إلي الأمر الإلهي بالتثبت من الأخبار، من خلال معرفة حال نقلتها، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ).<sup>(٢)</sup>

ولقد أبدع علماء هذه الأمة في عملية نقد الرواة والأخبار، فكتبوا كتباً في أحوال الرواة عامة، وأخرى في الرواة الثقات، وثالثة في الرواة الضعفاء والمجروحين،... وأصبحت هذه الكتب هي المرجع لكل من يريد البحث عن حال رواية يبغى أن يبني عليها حكماً شرعياً.

وهذا البحث يتعلق بموضوعه بفرع من فروع كتب الجرح والتعديل، وهي الكتب التي اقتصت بذكر الضعفاء من الرواة، ولقد كتب في هذا أئمة كثيرون، مثل: يحيى بن سعيد القطان، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، والبخاري، وأبو زرعة الرازي، والنسائي، ويعقوب الفسوي، وزكريا الساجي، وابن الجارود، والدولابي، والعقيلي، وابن عدي... وغيرهم.

وهذه الكتب منها ما وصل إلينا، ومنها ما عرفناه من خلال الفهارس الخاصة بأسماء الكتب - ككشف الظنون لحاجي خليفة، وفهرست ابن النديم، والرسالة المستطرفة للكتاني - لكن من بين ما وصل إلينا كتابٌ ظهر أثره في كثير من المصنفات التي كتبت بعده في هذا الموضوع، وهو كتاب: الكامل في ضعفاء الرجال، للحافظ ابن عدي الجرجاني - رحمه الله (ت ٣٦٥هـ) فما من كتاب إلا واعتمد على ابن عدي وأخذ منه، حتى قال السخاوي في ذلك: (... وابن عدي الجرجاني، ومصنفه في الرجال إليه المنتهى في الجرح)<sup>(٣)</sup>، وقال الكتاني عن كتاب الكامل: (هو أكمل كتب الجرح، وعليه الاعتماد فيها، وإلى ما يقول: رجح المتقدمون والمتأخرون)<sup>(٤)</sup>.

إلا أن ابن عدي خرج في كتابه هذا عن موضوعه، وهو الضعفاء، فذكر عددًا كبيرًا من الثقات، وفيهم صحابة وأئمة كبار، وهذا مما عابه عليه العلماء.

### إشكاليات البحث:

- ما السبب الذي حمل ابن عدي على إدخال بعض الصحابة في كتابه؟
- وهل يرجع هذا إلي غفلة منه أو عدم معرفة، أو سوء اعتقاد؟
- وهل هناك من سبق ابن عدي في هذا المنهج؟
- وهل أنصف ابن عدي هؤلاء الصحابة - الذين ذكرهم - ممن تكلم فيهم؟
- ومن هؤلاء الصحابة الذين ذكرهم ابن عدي في كتابه؟

## أهداف البحث:

يهدف البحث إلى حل الإشكاليات السابقة، وحلها سوف يفيد منه - بإذن الله - كثيرٌ من المشتغلين بالتخريج اليوم، من طلبة العلم والباحثين في مراكز التحقيق ودور الطباعة والدراسات العليا.. وغيرها، لأنه شاع بين الناس أن مجرد وجود راوٍ في السند، قيل عنه: إنه ضعيف، يُضعف الحديث، ولمجرد أن تقع عينا الباحث عليه يقول: الحديث ضعيف، فيه فلان ذكره العقيلي في الضعفاء أو ابن عدي في الضعفاء - أيضاً - وربما لا يدري أن ذكر ابن عدي له في الضعفاء أكمة وراءها ما وراءها، فليس الأمر على إطلاقه.

**المنهج المتبع في البحث:** لقد اقتضى البحث استعمال أكثر من نوع من مناهج البحث، وأبرزها:

- المنهج الاستقرائي: فقد اقتضى البحث أن أقرأ معظم تراجم كتاب الكامل، لأميز الصحابة من غيرهم.

- المنهج الاستنباطي: استعملته في استنباط منهج ابن عدي في ذكره للصحابة مع الضعفاء، ومستنده في كل واحدٍ، ثم بيان موقف ابن عدي من هذا الصحابي، وهل وافق على تضعيفه أم أنصفه؟

- المنهج المقارن: استخدمته في المقارنة بين منهج ابن عدي في دفاعه عن الصحابي وبين دفاع غيره من الأئمة عنه، وإن تعقبه أحد من الأئمة ذكرته، وبالطبع اضطرني هذا إلى مراجعة عدد ضخم من كتب الجرح والتعديل.

**خطة البحث:** وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وفصلين وخاتمة.

- المقدمة فيها فكرة الموضوع ومنهج البحث وخطته.

**الفصل الأول: التعريف بابن عدي وكتابه الكامل، وفيه مبحثان:**

- المبحث الأول: ترجمة الإمام ابن عدي مؤلف كتاب الكامل في ضعفاء الرجال.

- المبحث الثاني: كتاب الكامل لابن عدي، وصفه - مكانته - موارد.

**الفصل الثاني: الصحابة الذين ذكروهم ابن عدي في الضعفاء ومقصده في ذلك. وفيه مبحثان:**

- المبحث الأول: مقصد ابن عدي من ذكر بعض الصحابة في كتابه.

- المبحث الثاني: الصحابة الذين ذكروهم ابن عدي في كتابه.

- ثم الخاتمة: وسجلت فيها أهم النتائج.

- ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في البحث.

هذا ولا أدعي لبحثي الكمال، بل أعترف بالعجز والتقصير، وحسبي أني عبدٌ

للعفو الغفور، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

## الفصل الأول

### التعريف بابن عديّ وكتابه الكامل

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: ترجمة الإمام ابن عدي مؤلف كتاب الكامل في ضعفاء الرجال.
- المبحث الثاني: كتاب الكامل لابن عدي، وصفه - مكانته - موارد.

## المبحث الأول

### ترجمة الإمام ابن عدي مؤلف كتاب الكامل في ضعفاء الرجال

لعل من الضروري ونحن نُجري هذه الدراسة في كتاب الكامل في الضعفاء أن نُعرِّف بمؤلف هذا الكتاب، لأن هذا قد يفيد في معرفة منهجه الذي سار عليه، وسأتناول ترجمته في عدة نقاط:

#### أولاً: اسمه ونسبته ومولده:

هو الإمام الحافظ أبو أحمد عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد ابن مبارك الجرجاني - بضم الجيم - نسبة إلى جرجان من مدن خراسان.

ولد بجرجان، يوم السبت غرة ذي القعدة، سنة سبع وسبعين ومائتين للهجرة (٢٧٧هـ / ٨٩٠م) <sup>(٥)</sup>.

#### ثانياً: نشأته وأسرته:

نشأ ابن عدي في جرجان في أسرة علمية، برز منها علماء في الحديث، منهم والده فقد كان من تلاميذ الإمام أبي زرعة الرازي، وكذلك بعض أخواله، وأخوه

محمد بن عدي سمع من أيوب السخيتاني، وبدأ ابن عدي بطلب العلم فأخذ عن شيوخ بلده جرجان، تلك البلدة التي خرج منها كثير من العلماء، ذكر أكثرهم حمزة بن يوسف السهمي (ت ٤٢٨هـ) في كتابه الذي دوّنه في تاريخ جرجان، وهو من تلاميذ ابن عدي<sup>(٦)</sup>.

### ثالثاً: رحلاته العلمية وأبرز شيوخه وتلاميذه:

تُحدّثنا كتب التراجم والتاريخ أن ابن عدي رحل إلى بلدان كثيرة جداً من مدن الدولة الإسلامية في عصره لطلب العلم - وعمره لم يتجاوز العشرين - حتى وصفه الحافظ ابن كثير بقوله: (الجوال النقال الرحال)<sup>(٧)</sup>، وقال عنه السبكي في ترجمته: (أحد الجهابذة الذين طافوا البلاد وهجروا الوساد، وواصلوا السهاد، وقطعوا المعتاد، طالبين العلم، لا يعترى همتهم قصور، ولا يثني عزمهم عوارض الأمور).<sup>(٨)</sup> ومن أهم البلاد التي رحل إليها ابن عدي: الشام، ومصر، وبخارى، وبغداد، والقدس، وتستر، وسمرقند، والبصرة، والكوفة، والموصل، ومكة، والمدينة، ونيسابور، وواسط، ومرو،... وغيرها.<sup>(٩)</sup>

وفي هذه البلاد لقي شيوخاً كثيرين أخذ عنهم، بلغ عددهم أكثر من ألف شيخ، جمعهم هو في معجم خاص بهم، ومن أبرزهم: الحافظ النسائي صاحب السنن (ت ٣٠٣هـ)، والحافظ محمد بن إسحاق ابن خزيمة صاحب الصحيح (ت ٣١١هـ)، والإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، والحافظ أبو يعلى الموصلي (ت ٣٠٧هـ)، والحافظ البغوي (ت ٣١٧هـ)، والحافظ محمد بن عثمان بن أبي شيبة (ت ٢٩٧هـ)، والمنجنيقي (ت ٣٠٤هـ)، وبهلول بن إسحاق الأنباري (ت ٢٩٨هـ)، وأبو خليفة الجمحي البصري (ت ٣٠٥هـ)، وابن صاعد (ت ٣١٨هـ)... وغيرهم.<sup>(١٠)</sup>

وكذلك تتلمذ على الإمام ابن عدي خلائق لا يُحصون، وصار كثير منهم فيما بعد من كبار العلماء، منهم: حمزة بن يوسف السهمي (ت ٤٢٨هـ)، وأبو عبد الله الحاكم النيسابوري صاحب المستدرک (ت ٤٠٥هـ)، وأبو نعيم عبد الملك بن أحمد بن نعيم الجرجاني (ت ٤١٠هـ)، والحسن بن الحسين الاستراباذي (ت ٤١٢هـ)، وأحمد بن محمد بن سعيد الكوفي المعروف بابن عقدة (ت ٣٣٢هـ)، وأحمد بن محمد بن أحمد الإسفراييني (ت ٤٠٦هـ)، وإبراهيم بن محمد المؤدب المقرئ الخفاف (ت ٤٠١هـ)، ومحمد بن منصور بن الحسن الجلاكي (ت ٤١٠هـ).. وغيرهم.<sup>(١١)</sup>

ويلاحظ أن تلك الفترة التي عاشها الإمام ابن عدي (٢٧٧هـ - ٣٦٥هـ) كانت تعتبر من أزهي فترات التاريخ الإسلامي، حيث شهدت رواجاً علمياً وثقافياً واسعاً، ليس فقط على مستوي العلوم والآداب الإسلامية والعربية بل ازدهرت حركة الترجمة من اللغات الأخرى كال يونانية والفارسية والهندية.. إلى اللغة العربية، وحفلت تلك الفترة بعلماء أجلاء كان لهم فضل كبير في دفع عجلة الحركة العلمية وتقدمها، وحظيت السنة أيضاً - على وجه الخصوص بخدمة جلييلة من علماء تلك الحقبة، وكان الإمام ابن عدي واحداً من العلماء الذين أثروا في الحركة العلمية في تلك الفترة، بل وفيمن جاء بعده من خلال مصنفاته وتلاميذه.

#### رابعاً: مذهب ابن عدي العقدي والفقهي:

لم تنص كتب التراجم التي ترجمت لابن عدي على بيان عقيدته، وهذا له دلالة خاصة وهو أنه كان سليم العقيدة، إذ عادة أصحاب كتب التراجم أنهم لا يتكلمون عن عقيدة المترجم له إلا إذا عُرف بانحراف أو فساد في المعتقد، أو كان من أهل البدع ونحو ذلك، كما أنه في تراجمه التي أوردها للضعفاء في كتابه الكامل نجده يتعرض لمن في عقيدته انحراف كالأعتزال أو الرفض أو القدر ويسمئها بدعة<sup>(١٢)</sup>، وهذا يدل على صحة مذهبه في العقيدة، وأنه كان على مذهب أهل السنة والجماعة.

وأما عن مذهبه الفقهي فتفيد المصادر أنه كان شافعي المذهب، فقد عدّه السبكي<sup>(١٣)</sup> وكذلك ابن قاضي شهبة<sup>(١٤)</sup> في عداد فقهاء الشافعية الكبار، كما أنه صنّف كتاباً في الانتصار للمذهب الشافعي سماه (الانتصار على مختصر المزني)<sup>(١٥)</sup> وهذا يدل على انتمائه لهذا المذهب وتعبّده به.

### خامساً: مؤلفاته ووفاته:

ألّف الإمام ابن عدي مصنفات كثيرة في مختلف فروع العلم، لكن غلب عليه التصنيف في الحديث وعلومه، من أشهرها كتاب الكامل في الضعفاء، قال ابن الأثير: (.. له التصانيف المشهورة).<sup>(١٦)</sup>

أثني عليه العلماء ثناءً عظيماً، وتوفي في غرة جمادى الآخرة، سنة خمسة وستين وثلاثمائة (٣٦٥هـ / ٩٧٦م) عن ثمانية وثمانين سنة.<sup>(١٧)</sup>

## المبحث الثاني

### كتاب الكامل لابن عدي (وصفه - مكانته - موارده)

#### أولاً: وصف كتاب الكامل:

لإعطاء وصف دقيق لكتاب ما، لابد من تحقيق عنوانه، وهل هو نفس ما أطلقه مؤلفه أم لا، وبالنظر إلي كتاب ابن عدي - هنا - وجدنا أن ابن عدي قد نص في مقدمته لهذا الكتاب على عنوانه، قال: (وسميته كتاب الكامل في ضعفاء الرجال).<sup>(١٨)</sup>

وبعض العلماء أطلق عليه أسماء أخرى، كالذهبي، فقد سماه: (الكامل في الجرح والتعديل)<sup>(١٩)</sup>، والسبكي، سماه: (الكامل في معرفة الضعفاء)<sup>(٢٠)</sup>، وحاجي خليفة، سماه: (الكامل في معرفة الضعفاء والمتروكين من الرواة)<sup>(٢١)</sup>.

وهي عناوين وإن كانت لا تنافي مضمون الكتاب، إلا أن الذي يرجح هو ما نص عليه مؤلفه.

والكامل كتاب ضخيم في حجمه، إذ يقع في النسخة المطبوعة بدار الكتب العلمية ببيروت، في تسع مجلدات، فيها نحو (٥٠٠٠) صفحة من القطع المتوسط، ويشتمل على تراجم عدد كبير من الرواة، إذ يبلغ عددهم في النسخة المشار إليها (٢٢٠٥) راوياً.

وقد رتبته الحافظ ابن عديّ على حروف المعجم، يقول: (مَنْ ابتداء أساميهم أَلِفٌ مِّنْ يُنْسَبُ إِلَى ضَرْبٍ مِنَ الضُّعْفِ) <sup>(٢٢)</sup>، (مَنْ ابتداء اسمه ثاءٌ مِّنْ يُنْسَبُ إِلَى ضَرْبٍ مِنَ الضُّعْفِ) <sup>(٢٣)</sup>، ثم يُورِدُ الأَسْمَاءَ... وهكذا.

وقد نظر ابن عدي إلى الحرف الأول من أسماء الرواة، دون اعتبار للحرف الثاني أو الحرف الأول في اسم الأب، فمثلاً تجده يقدم من اسمه (إسماعيل) على من اسمه (إسحاق)، ومن اسمه (أيوب) على من اسمه (أشعث)، ومن اسمه (بشر)، على من اسمه (بجر) وهكذا.

وعلى هذا فترتيبه قد يُتعب المطالع في هذا الكتاب، فقد يبحث عن شخص فيه، وهو يظن أن مؤلفه اعتبر فيه الترتيب الهجائي المعروف، فلا يجد هذا الشخص مع أنه في الكتاب.

وفي إيراده الترجمة يورد اسم الراوي، ثم ينقل كلام أئمة الجرح والتعديل فيه، ولا يكتفي بذكر الأقوال المجرّحة فقط، بل إن كانت هناك أقوال لأحد من الأئمة فيها تعديلٌ لهذا الراوي ذكرها، وربما دافع عنه إن رأى في تجريحه تحاملاً عليه - كما في ترجمته لأحمد بن صالح المصري وغيره.

وربما اجتهد من عنده في الحكم على بعض الرواة، وفي كثير من الأحيان يورد جرحاً وتعديلاً متعارضين في راوٍ واحد ولا يرجح.

هذا وقد ذكر بعض الباحثين أن لكتاب الكامل عدة نسخ مخطوطة، تصل إلى العشرة، أكثرها بدار الكتب المصرية بالقاهرة<sup>(٢٤)</sup>.

### ثانياً: مكانة كتاب الكامل عند العلماء:

يعتبر كتاب الكامل لابن عدي مصدراً من أهم مصادر علم الجرح، وقد أثني عليه الخبراء بهذا الفن ثناءً يدل على علو القيمة العلمية للكتاب، ومن هؤلاء الخبراء:

١ - أبو الحسن الدارقطني: سأله تلميذه حمزة السهمي أن يصنف كتاباً في ضعف المحدثين فقال له: (أليس عندك كتاب ابن عدي؟ فقال حمزة: نعم، قال الدارقطني: فيه كفاية لا يزداد عليه)<sup>(٢٥)</sup>.

٢ - شيخ الإسلام ابن تيمية، قال: (أبو أحمد ابن عدي في كتابه المسمى بالكامل في أسماء الرجال - ولم يصنّف في فنه مثله...) <sup>(٢٦)</sup>.

٣ - الحافظ الذهبي، قال في مقدمة ميزان الاعتدال عن الكامل: (هو أكمل الكتب وأجلها). <sup>(٢٧)</sup>.

٤ - الحافظ ابن كثير، قال عن كتاب الكامل: (لم يُسبق إلى مثله، ولم يلحق في شكله)<sup>(٢٨)</sup>.

٥ - الحافظ السخاوي، قال: (وابن عدي الجرجاني ومصنّفه في الرجال إليه المنتهى في الجرح)<sup>(٢٩)</sup>.

٦ - الإمام الكتاني، قال: (هو أكمل كتب الجرح، وعليه الاعتماد فيها، وإلي ما يقول رجوع المتقدمون والمتأخرون)<sup>(٣٠)</sup>.

وغير هؤلاء كثيرون امتدحوه وأثنوا عليه، ويطول البحث في استقصاء أقوالهم، وليست الأقوال المنقولة فقط هي التي تدل على مكانة الكتاب، بل تأثر كلُّ مَنْ كَتَبَ بعد ابن عدي في الضعفاء بكتابه الكامل ونقله عنه، كابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) والذهبي، وابن العجمي (ت ٨٤١هـ) وابن حجر (ت ٨٥٢هـ).

### ثالثاً: موارد ابن عدي في الكامل:

المُطالِعُ لكتاب ابن عدي يجد أنه قد استمد مادته من كلام أئمة الجرح والتعديل الذين سبقوه، ولم يكن مجرد ناقل من تلك المصادر، بل كان ينتقد في بعض الأحيان<sup>(٣١)</sup>، ويجهل في البعض الآخر<sup>(٣٢)</sup>، كما سنرى في التراجم التي سأوردها في هذا البحث.

وقد أكثر ابن عدي من النقل عن البخاري، ويحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، والنسائي، والجوزجاني، ويحيى بن سعيد القطان، وعمرو بن علي الفلاس، وشعبة بن الحجاج، وسفيان بن عيينة، والثوري، وعلي بن المديني، وابن المبارك، وعبد الرحمن بن مهدي، وابن عقدة، والدولابي... وغيرهم من أئمة هذه الصناعة الكبار.

وهو إذ ينقل عن هؤلاء يتصل بالسند إلي كل واحد منهم في كل قول ينقله، إلا ما ندر.

ولتنوع مصادر ابن عدي ظهر إبداعه في كتابه، بحيث لا يمكن أن يقال: إنه تلخيص لكتاب فلان، أو اختصار لكتاب فلان ممن سبقوه.

## الفصل الثاني

### الصحابة الذين ذكرهم ابن عدي في الضعفاء ومقصده في ذلك.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مقصد ابن عدي من ذكر بعض الصحابة في كتابه.

المبحث الثاني: الصحابة الذين ذكرهم ابن عدي في الضعفاء.

### المبحث الأول

#### مقصد ابن عدي من ذكر بعض الصحابة في كتابه

لاشك أن ذكر ابن عدي لبعض الصحابة في كتابه الذي جعله لضعفاء الرجال، لم يكن ناشئاً عن جهل وعدم معرفة، ولا عن سوء اعتقاد.

فالرجل طويل الباع بإجماع علماء هذا الفن، ولا أنه ذكرهم من قبيل التعنت في الجرح، فهو معدود في المعتدلين المنصفين كما قال الذهبي عند كلامه علي تقسيم المتكلمين في الجرح والتعديل إلي ثلاثة أقسام، قال: (وقسم: كالبخاري وأحمد بن حنبل وأبي زرعة وابن عدي، معتدلون منصفون) (٣٣).

وإنما كان له في إيرادهم مقصد، وقد أفصح عنه في مقدمة كتابه، قال: (وذاكرٌ في كتابي هذا كلٌّ من ذكر بضرب من الضعف، ومن اختلف فيهم، فجرحه البعض وعدّله البعض الآخر، ومرجّح قول أحدهما مبلغ علمي من غير محاباة، فلعل من قبّح أمره أو حسّنه تحامل عليه أو مال إليه، وذاكرٌ لكل رجل منهم مما رواه ما يُضعّف من أجله، أو يُلحقه بروايته...) (٣٤).

وهذا يعني أنه اشترط على نفسه أن يورد في كتابه كلَّ من تُكلم فيه، ولو كان الراجح توثيقه، وقد صرَّح بهذا في أكثر من ترجمة من تراجم الثقات الذين أوردتهم وهو لا يرى ضعفهم.

ويبدو أنه ليس الشرط الذي شرطه ابن عدي في كتابه هو وحده الذي حمله على ذكر بعض الصحابة في الضعفاء، وإنما تقليده للإمام البخاري في التاريخ الكبير، فقد ذكر بعض الثقات وفيهم صحابة لضعف الإسناد إليهم لا لضعفهم هم، وسيأتي. أو أنه قصد بإيراد هؤلاء الثقات الذين تُكلم فيهم بعض الأئمة إنصافهم والانتصار لهم ما أمكنه ذلك، كما مر في كلامه.

وعلى كلِّ فمهما كان قصد ابن عدي في إيراد بعض الثقات المتكلم فيهم في كتابه الذي خصه للضعفاء فإن هذا لا ينفي أنه جانب الصواب فيما مال إليه، ولو كان - مثلاً - قصده الانتصار لهم وإنصافهم لأفرد جزءاً خاصاً بهم كما فعل الذهبي في جزء سماه: (الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم) <sup>(٣٥)</sup>. ولهذا عاب العلماء عليه ما صنع، قال السخاوي - بعد أن ذكر كتب الضعفاء وذكر منها الكامل: (وهو أكمل الكتب المصنفة قبله وأجلها، ولكنه توسع لذكره كلَّ من تُكلم فيه وإن كان ثقة) <sup>(٣٦)</sup>.

وقال الحافظ ابن حجر معلقاً على توسع ابن عدي في إيراد الثقات مع الضعفاء: (فهو كما يقال: جرته القافية) <sup>(٣٧)</sup> وذلك أن ابن عدي لما رتب كتابه على حروف الهجاء، وأتى إلى حرف الظاء فلم يجد من يُذكر فيه، ذكر فيه راوياً من الثقات اسمه ظليم بن حطيظ الجهضمي الدبوسي، ثم قال: (وإنما ذكرتُ ظُليم ابن حطيظ في باب الظاء لأنني لا أحب أن أخلي باب الظاء من إنسان أذكره، فلم أجد في باب الظاء أنكر منه) <sup>(٣٨)</sup>. مع أن ظليماً قال عنه ابن حجر: (ذكره ابن ماکولا فقال: روى عنه البخاري وأبو زرعة الدمشقي وخالد بن أحمد الأمير) <sup>(٣٩)</sup>.

وأكثر ما يؤخذ على ابن عديّ إيراد بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - في كتابه هذا، ولهذا وجدنا الذهبي يجتنب الوقوع فيما وقع فيه ابن عدي، فيقول في مقدمة كتابه ميزان الاعتدال في نقد الرجال: (وفيه من تُكلم فيه مع ثقته وجلالته بأدنى لين، وبأقل جرح، فلولا أن ابن عدي أو غيره من مؤلفي كتب الجرح ذكروا ذلك الشخص لما ذكرته لثقتي، ولم أر من الرأي أن أحذف اسم أحد ممن ذكر بتلين ما في كتب الأئمة المذكورين، خوفاً من أن يُتعب عليّ، لا أنني ذكرته لضعف فيه عندي، إلا ما كان في كتاب البخاري وابن عدي وغيرهما من الصحابة، فإني أسقطهم لجلالة الصحابة، ولا أذكرهم في هذا المصنف، فإن الضعف إنما جاء من جهة الرواة إليهم..)<sup>(٤٠)</sup>.

## المبحث الثاني

### الصحابة الذين ذكرهم ابن عدي في الضعفاء

سبق أن عرفنا في التعريف بابن عدي أنه كان على عقيدة أهل السنة والجماعة، ومن أصولهم سلامة القلب واللسان لأصحاب رسول الله - ﷺ - سلامة القلب من البغض، وسلامة اللسان من كل قول لا يليق بهم أو يتقص أحداً منهم، وإجلالهم ومعرفة فضلهم على الأمة في نصرته الدين ونقله<sup>(٤١)</sup>، لذلك كان ابن عدي يقظاً حذراً أن يُساء به الظن في ذكره لبعض الصحابة في الضعفاء - أي المجروحين -، بعد أن تثبت عدالتهم بالكتاب والسنة والإجماع.

لذا نجد عند ترجمة الصحابي زيد بن أبي أوفى - رضي الله عنه - ينه قائلًا: (وكل من له صحبة ممن ذكرناه في هذا الكتاب، فإنما تكلم البخاري في ذلك الإسناد الذي انتهى فيه إلى الصحابي أن ذلك الإسناد ليس بمحفوظ وفيه نظر، لا أنه يتكلم في الصحابة، فإن أصحاب رسول الله - ﷺ - لحق صحبتهم وتقادمهم في الإسلام لكل واحدٍ منهم في نفسه حقٌّ وحرمة للصحبة، فهم أجلُّ من أن يتكلم أحد فيهم)<sup>(٤٢)</sup>.

وهذا التنبيه وإن دل على سلامة اعتقاد ابن عديّ، إلا أنه قد يقع وهمٌ عند بعض من لم يقرأه، أو قد يتخذ الروافض، ومن لهم موقف مضادٌ من الصحابة - فعل ابن عدي ذريعةً لتجريحهم للصحابة بالسب والشتم والانتقاص، غير مبالين بمثل هذا التنبيه بين السطور.

وبتتبع كتاب ابن عدي وُجد أنه قد ذكر ستًا وعشرين صحابياً، سأوردهم - هنا - وأثبت صحبتهم من الكتب التي اختصت بالترجمة للصحابة، وأورد قول ابن عديّ- أو ما ينقله - فيهم، ليتبين مراده من إيرادهم في كتابه بوضوح.

#### ١ - بسر بن أبي أرطاة:

قال عنه ابن عدي: (بسر بن أبي أرطاة مشكوك في صحبته للنبي - ﷺ - لا أعرف له إلا هذين الحديثين، وأسانيده من أسانيد الشام ومصر ولا أرى بإسناد هذين بأس) <sup>(٤٣)</sup>، وروى - أيضاً - بسنده إلي يحيى بن معين قال: (بسر بن أبي أرطاة رجل سوء) <sup>(٤٤)</sup>.

وقال ابن الأثير: (بسر بن أرطاة.. واسمه عمرو بن عويمر.. يكنى أبا عبد الرحمن، وعداده في أهل الشام، قال الواقدي: ولد قبل وفاة النبي - ﷺ - بستين، وقال يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وغيرهما: قبض رسول الله - ﷺ - وهو صغير، وقال أهل الشام: سمع من رسول الله - ﷺ - وشهد صفين مع معاوية، وكان شديداً على عليٍّ وأصحابه.. وقال الدارقطني: بسر بن أرطاة له صحبة، ولم تكن له استقامة بعد النبي - ﷺ -) <sup>(٤٥)</sup>.

وأما ابن عبد البر فكأنه استروح لكلام يحيى بن معين وراح يدل على، قال: (كان يحيى بن معين يقول: لا تصح له صحبة، وكان يقول فيه: رجل سوء.. ذلك لأمر عظام ركبها في الإسلام فيما نقله أهل الأخبار والحديث أيضاً..) <sup>(٤٦)</sup>.

وقال ابن حجر: (مختلف في صحبته.. وقال ابن يونس: كان من أصحاب رسول الله - ﷺ - شهد فتح مصر واختط بها.. وله أخبار شهيرة في الفتن لا ينبغي التشاغل بها.. قيل: مات أيام معاوية، وقيل: بقي إلي خلافة عبد الملك، وقيل: مات في خلافة الوليد سنة ست وثمانين) (٤٧).

قلت: اعتمد ابن عدي في ذكره لبسر في الضعفاء على الاختلاف في صحبته، وكذلك على كلام ابن معين فيه، والأخبار التي تُروى عنه في الفتن.

## ٢ - حبشي بن جنادة بن نصر السلولي:

قال ابن عدي عنه: (إسناده فيه نظر، سمعت ابن حماد يذكره عن البخاري) ثم أورد له نحو سبعة أحاديث، قال: (وحبشي له غير ما ذكرت من الحديث ولا أعلم يروي عنه غير الشعبي وأبو إسحاق السبيعي، وأرجو أنه لا بأس به) (٤٨).

وذكره ابن الأثير في الصحابة، قال: (حبشي بن جنادة... يكنى أبا الجنوب، يعد في الكوفيين، رأي النبي - ﷺ - في حجة الوداع، وروي عنه الشعبي وأبو إسحاق السبيعي..) (٤٩).

وقال ابن حجر: (.. شهد حجة الوداع.. وأخرج حديثه النسائي والترمذي وصححه، وروى عنه أبو إسحاق السبيعي وعامر الشعبي وصرح بسماعه من النبي - ﷺ) (٥٠).

قلت: اعتمد ابن عدي في ذكره لأبي الجنوب - هنا - على قول البخاري: (إسناده فيه نظر)، فاعتبره متكلم فيه، أي في الإسناد إليه، وصحبة الرجل ثابتة.

## ٣ - ديلم بن فيروز الحميري:

قال عنه ابن عدي: (ديلم بن فيروز الحميري: روى عنه ابنه عبد الله، وفي إسناده نظر، سمعت ابن حماد يذكره عن البخاري) (٥١).

ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب،<sup>(٥٢)</sup> وابن الأثير في أسد الغابة<sup>(٥٣)</sup>، وذكره ابن حجر في الإصابة، وذكر أن ثمة وهماً حصل لبعض المؤرخين في الترجمة لديلم الحميري، فخلطوا بينه وبين شخص آخر يقال له: فيروز الديلمي، وحرر المسألة تحريراً جيداً، خلص منه إلى أن كليهما صحابي، وأن سبب الوهم: أن كلاهما سأل النبي - ﷺ - عن الأشربة، وأخرج حديثه أبو داود والنسائي وغيرهما<sup>(٥٤)</sup>.

قلت: اعتمد ابن عدي في ذكره لديلم في الضعفاء، على قول البخاري: (في إسناده نظر) وهو في التاريخ الكبير<sup>(٥٥)</sup>، وضعف الحديث ممن دون الصحابي.

#### ٤- ذو الأصابع الجهني:

قال عنه ابن عدي: (ذو الأصابع له صحبة، مخرج حديثه من فلسطين) وأورد له حديثاً ثم قال: (يعرف ذو الأصابع بهذا الحديث.. وهو من أسانيد شيوخ الشاميين، صالح مستقيم، ولا يعرف إلا بهذا الإسناد)<sup>(٥٦)</sup>.

ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب<sup>(٥٧)</sup>، وابن الأثير في أسد الغابة<sup>(٥٨)</sup>، وابن حجر في الإصابة، وقال: (ذكره الترمذي في الصحابة، وكذلك البغوي، وأبو نعيم، وابن شاهين.. وهو يذكر فيمن نزل فلسطين من الصحابة)<sup>(٥٩)</sup>.

قلت: هذا صحابي لا خلاف في صحبته، وقول ابن عدي: (صالح مستقيم) لا يقصد الحكم على الصحابي، بل على الإسناد الذي ساقه إليه.

#### ٥- ذو اليدين:

قال ابن عدي: (ذو اليدين له صحبة، وقال البخاري لا يصح حديثه.. وذو اليدين اشتهر ذكره بهذا الحديث - حديث السهو - وزعم البخاري أنه لا يصح لذي اليدين هذا الحديث، يعني من هذا الذي ذكرته، حديث معدي ابن سليمان، فأما من

طريق ابن سيرين عن أبي هريرة لا نقول ذلك لا يصح، لأن ذلك قد رواه جماعة عن ابن سيرين عن أبي هريرة<sup>(٦٠)</sup>.

وقال ابن عبد البر: (ذو اليمين: رجل من بني سليم، يقال له: الخرباق، حجازي شهد رسول الله - ﷺ - أسلم عام خيبر، وعاش حتى روى عنه المتأخرون من التابعين)<sup>(٦١)</sup>.

وقال ابن الأثير: (.. اسمه الخرباق من بني سليم، وليس هو ذو الشمالين، فذاك صحابي آخر.. ووهم الزهري - مع علمه بالمغازي - فقال: إنه ذو الشمالين المقتول بدير..)<sup>(٦٢)</sup>.

قلت: اعتمد ابن عدي في ذكره لذي اليمين هنا على قول البخاري: (لا يصح حديثه) مع أن البخاري قصد حديثاً بعينه هو الذي لا يصح إسناده إليه.

#### ٦- زيد بن أبي أوفى:

قال ابن عدي: (زيد بن أبي أوفى: له صحبة، أخو عبد الله بن أبي أوفى، سمعت ابن حماد يقول: قال البخاري: زيد بن أبي أوفى قال: خرج علينا رسول الله - ﷺ - فأخى بين أصحابه، لم يُتَابِع في حديثه.. وزيد ابن أبي أوفى يُعرَف بهذا الحديث - حديث المؤاخاة - بهذا الإسناد، وكل من له صحبة ممن ذكرناه في هذا الكتاب وإنما تكلم البخاري في ذلك الإسناد الذي انتهى فيه إلى الصحابي أن ذلك الإسناد ليس بمحفوظ، وفيه نظر، لا أنه يتكلم في الصحابة، فإن أصحاب رسول الله - ﷺ - لحقَّ صحبتهم وتقادمهم في الإسلام لكل واحد منهم في نفسه حقٌّ وحرمة للصحبة، فهم أجلُّ من أن يتكلم أحد فيهم)<sup>(٦٣)</sup>.

وذكره ابن عبد البر<sup>(٦٤)</sup>، وابن الأثير<sup>(٦٥)</sup>، وابن حجر<sup>(٦٦)</sup>، وغيرهم من ألفوا

في الصحابة.

قلت: اعتذار ابن عدي هنا أغني عن البيان والتعقيب، إلا أنه كان الأولى به ألا يذكرهم أصلاً، خاصة الذين لا خلاف في صحبتهم !!

#### ٧ - سلام بن قيس الحضرمي:

قال ابن عدي: (سمعت ابن حماد يقول: قال البخاري: سلام بن قيس الحضرمي، سمع من النبي - ﷺ - وروى عنه عمرو بن ربيعة، لا يصح حديثه) ثم قال ابن عدي: (وهذا الذي قاله البخاري إنما يشير إلي حديث واحد، فلا سلام بن قيس يُعرف ولا عمرو بن ربيعة، ومقصد البخاري ألا يُسقط عليه اسم أحد من الرواة) (٦٧).

وقال أبو عمر: (سلامة بين قيصر الحضرمي.. أنكر أبو زرعة أن يكون له صحبة، وقال: روايته عن أبي هريرة، يعد في أهل مصر) (٦٨).

وقال ابن الأثير: (.. عداده في المصريين.. روى عنه أبو الخير مرثد بن عبد الله اليزني، وأبو الشعثاء عمرو بن ربيعة الحضرمي..) (٦٩).

وذكره ابن حجر في الإصابة، قال: (والذي في كتاب البخاري ثم في كتاب ابن عدي: سلام بن قيس الحضرمي سمع من النبي - ﷺ - روى عنه عمرو بن ربيعة لا يصح حديثه، قال ابن عدي: غرض البخاري أن لا يسقط اسم أحد من الرواة وإلا فسلام بن قيس لا يعرف وكذا عمرو بن ربيعة، فعلى هذا فهذا صحابي ما كان ينبغي للمصنف أن يورد ترجمته وكان النسخة التي رآها من كامل ابن عدي كان فيها عن الحسن لا عن النبي - ﷺ - فظنه من أتباع التابعين، ومع ذلك فوقع فيه في الأصل تصحيف وإنما هو سلامة بن قيصر كما سيأتي فيما بعد، فهو الذي يروي عنه عمرو بن ربيعة ولم يذكر ابن عدي في كتابه غير واحد فهو هو والله أعلم). (٧٠).

قلت: أثبت البخاري - فيما نقله ابن عدي - صحبة سلام بن قيس وسماعه من النبي - ﷺ - لكن ضعّف رواية عمرو بن ربيعة عنه، ورجح ابن حجر ثبوت صحبته.

#### ٨ - سليك الغطفاني:

قال ابن عدي: (سمعت ابن حماد يقول - وأظنه حكاة عن أبي عبد الرحمن النسائي - قال: سليك الغطفاني، قال بعضهم جابر عن سليك، قال له النبي - ﷺ - وهو يخطب: صل ركعتين، ولا يصح عن سليك.. وهذا يروى من هذا الطريق عن جابر الجعفي عن حبيب عن ابن أبي ليلى عن سليك..)<sup>(٧١)</sup>.

وذكره ابن الأثير<sup>(٧٢)</sup>، وابن حجر<sup>(٧٣)</sup>، وغيرهم في الصحابة.

قلت: وسليك صحابي جليل، قصته مشهورة في الصحيح، لكن اعتمد ابن عدي على كلام النسائي على تلك الرواية التي ساقها من طريق جابر الجعفي، وهو مشهور بالضعف - كما قال عنه ابن عدي نفسه في هذا الكتاب -<sup>(٧٤)</sup> وكان الأليق أن لا يذكر سليكا الصحابي هنا، وأن يورد هذا الحديث الذي تعقبه النسائي في ترجمة جابر الجعفي، لأنه من طريقه وعليه مداره.

#### ٩ - عامر بن وائلة، أبو الطفيل:

قال ابن عدي عنه: (له صحبة من رسول الله - ﷺ - وقد روى عن رسول الله - ﷺ - قريبا من عشرين حديثا.. قال علي بن المديني: سمعت جرير بن عبد الحميد وقيل له: كان مغيرة ينكر الرواية عن أبي الطفيل؟ قال نعم.. ولو ذكرت لأبي الطفيل ما رواه عن رسول الله - ﷺ - لطلال الكتاب، وأبو الطفيل أشهر من ذلك.. وليس بروايته بأس)<sup>(٧٥)</sup>.

وقد ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب<sup>(٧٦)</sup>، وابن حجر في الإصابة<sup>(٧٧)</sup>، وقال ابن الأثير: (ولد عام أحد وأدرك من حياة النبي - ﷺ - ثمان سنين، وكان يسكن الكوفة ثم انتقل إلى مكة.. وكان أبو الطفيل من أصحاب عليّ المحبين له، وشهد معه مشاهدته كلها، وكان ثقة مأموناً يعترف بفضل أبي بكر وعمر وغيرهما إلا أنه كان يقدم عليّاً، توفي سنة مائة، وقيل: عشر ومائة، وهو آخر من مات ممن رأى النبي - ﷺ (٧٨).

قلت: اعتمد ابن عدي في ذكره لأبي الطفيل في هذا الكتاب على ما نقله ابن المديني عن جرير بن عبد الحميد أن مغيرة بن عبد الرحمن - كان ينكر الرواية عن أبي الطفيل، ثم وثق ابن عدي بما قاله في مقدمة كتابه من (إنصاف من تكلم فيهم مبلغ علمه) فقال: (ليس بروايته بأس)، ولعله لا يقصد بذلك تعديل الصحابي أبي الطفيل فهذا لا يحتاج إلي نص منه، بل يقصد الرواية التي أنكرت عليه، والله أعلم.

#### ١٠ - عبد الله بن ثابت الأنصاري:

قال عنه ابن عدي: (سمعت ابن حماد يقول: قال البخاري: عبد الله بن ثابت عن النبي - ﷺ - ولم يصح، وهذا الذي قاله البخاري لم أقف على حديثه)<sup>(٧٩)</sup>.

وذكره أبو عمر<sup>(٨٠)</sup>، وابن الأثير<sup>(٨١)</sup>، وابن حجر في الإصابة، قال: (قال ابن حبان: له صحبة، وقال البخاري: لا يصح حديثه) وأورد له حديثاً عند أحمد وقال: (وجدت له حديثاً آخر يأتي في ترجمة عبد الرحمن بن عبد ربه الأنصاري)<sup>(٨٢)</sup>.

قلت: استند ابن عدي في ذكر هذا الصحابي - هنا - على قول البخاري: (ولم يصح)، ولم يصرح ابن عدي بما إذا كان يرى لعبد الله بن ثابت صحبة أم لا كعادته، بل قال: (وهذا الذي قاله البخاري لم أقف على حديثه) فلعله توقف في الجزم بصحته!.

وعلى كل حال فقد أثبتنا صحبة الرجل من كتب الصحابة - رضوان الله عليهم، ولا وجه لذكره في الضعفاء.

#### ١١ - عبد الله بن حذافة السهمي:

قال عنه ابن عدي: (سمعت ابن حماد يقول: قال البخاري: عبد الله بن حذافة السهمي القرشي لا يصح حديثه) ثم أورد له حديثاً، وقال: (وهذا الحديث هو الذي أشار إليه البخاري لعبد الله بن حذافة لا يصح) <sup>(٨٣)</sup>.

وهو من المهاجرين الأولين، هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وكان رسول الله ﷺ - قد أرسله إلى كسرى يدعو إلى الإسلام، فمزق كسرى الكتاب، وروى عنه من المدنيين مسعود بن الحكم وأبو سلمة وسليمان بن سنان، وروى عنه من الكوفيين أبو وائل.. مات في خلافة عثمان، ذكره ابن عبد البر وابن حجر <sup>(٨٤)</sup>.

قلت: ومستند ابن عدي في ذكره لهذا الصحابي في كتابه، هو قول البخاري لا يصح حديثه، وهو يشير إلى حديث معين، والضعف ممن دونه، وصحبة عبد الله بن حذافة شهيرة ثابتة.

#### ١٢ - عبد الله بن سيدان المطرودي:

قال عنه ابن عدي: (سمعت ابن حماد يقول: قال البخاري: عبد الله بن سيدان المطرودي لا يُتَابَع في حديثه، وهذا الذي أشار إليه البخاري هو حديث واحد وهو شبه المجهول) <sup>(٨٥)</sup>. ومثله قال العقيلي المعاصر له (ت ٣٢٢هـ) <sup>(٨٦)</sup>.

وقال ابن الأثير: (عبد الله بن سيدان السلمى: ذكره ابن شاهين، وقال: ذكروا أنه رأى النبي ﷺ) <sup>(٨٧)</sup>.

وقال ابن حجر: (عبد الله بن سيدان المطرودي - بكسر الميم وسكون الطاء - من بني مطرود فخذ من بني سليم، قال ابن حبان: يقال له صحبة، ونزل الربذة، وقال ابن شاهين وابن سعد ذكروا أنه رأى النبي - ﷺ - وقال البخاري: لا يتابع عليه، يعني حديثه عن أبي بكر في صلاة الجمعة) <sup>(٨٨)</sup>.

قلت: اعتمد ابن عدي في ذكره المطرودي في كتابه على قول البخاري: (لا يتابع في حديثه)، وما تقدم من كلام العلماء يثبت صحبته وإن لم يصرح بها ابن عدي، وقوله هو شبه المجهول يدل على أن ابن عدي لم يتبين له أن للمطرودي صحبة، وإن كان يقصد بهذا القول الحديث الذي أشار إليه، فإن العلماء لم يصطلحوا على تسمية الحديث مجهولاً، بل يطلقونه على الراوي، فيقولون: (حديث المجهول) و(حديث المبتدع).. ونحو ذلك.

### ١٣ - عبد الله بن عبد الله بن أبي أمية المخزومي:

قال عنه ابن عدي: (سمعت ابن حماد يقول: (قال البخاري: عبد الله بن عبد الله بن أبي أمية المخزومي عن أمة سلمة عن النبي - ﷺ - في إسناده نظر) <sup>(٨٩)</sup>.

قال ابن عبد البر: (روى عنه عروة بن الزبير، ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان، ولا تصح له صحبة عندي لصغره، لكننا ذكرناه - أي في الصحابة - على شرطنا وروايته عن أم سلمة) <sup>(٩٠)</sup>.

وقال ابن الأثير: (عبد الله بن عبد الله بن أبي أمية المخزومي.. ذكره جماعة في الصحابة، وفيه نظر،.. وذكره ابن شاهين وقال: توفي النبي - ﷺ - وله ثمان سنين، وروى عن النبي - ﷺ - أنه رآه يصلي، وقال الطبري: أسلم عبد الله بن عبد الله بن أبي أمية مع أبيه، وعاش بعد النبي - ﷺ -) <sup>(٩١)</sup>.

وذكره ابن حجر في الصحابة، وقال: (.. قال أبو حاتم: له صحبة، وقال الطبري: أسلم مع أبيه.. وقال ابن حبان: قبض رسول الله - ﷺ - وله ثمان سنين، وقال الواقدي: حفظ عن رسول الله - ﷺ - ثم أعاده ابن حبان في التابعين، وفيهم ذكره البخاري.. وذكره في الصحابة الماوردي وابن زبير وابن قانع وغيرهم) (٩٢).

ومما يدل على أن له صحبة أن ابن حجر ذكره في لسان الميزان، ونقل قول البخاري فيه، ثم قال: (قلت: لم يذكره في الضعفاء وإنما ذكره في التاريخ.. وذكره ابن حبان في ثقات التابعين.. وحديثه عن النبي - ﷺ - أخرجه أحمد..) (٩٣).

قلت: وعلى كل حال فصاحب الترجمة - هنا - مختلف في صحبته، وليس لابن عدي شيء يعتمد عليه في ذكره هنا إلا الاختلاف فيه من حيث الصحبة فقد اعتبره كلاماً فيه، وكذلك اعتماده على قول البخاري: في إسناده نظراً، وأكد أجزم بصحبته من خلال كلام الحافظ ابن حجر، والله أعلم.

#### ١٤ - عبد الله بن أبي مطرف:

قال عنه ابن عدي: (سمعت ابن حماد يقول: قال البخاري: عبد الله بن أبي مطرف له صحبة، ولم يصح إسناده) وساق له حديثاً ثم قال: (هذا الحديث هو الذي أشار إليه البخاري أنه لا يصح له) (٩٤).

وذكره ابن عبد البر، وابن الأثير في الصحابة (٩٥)، وعداده في الشاميين.

قلت: قد صرح البخاري بصحبة ابن أبي مطرف، واعتمد ابن عدي على قوله: (ولم يصح إسناده) فذكره في الضعفاء، وبين الحديث الذي أشار إليه البخاري، وهو كالاتصار له.

### ۱۵ - عبد الله بن المعتم:

قال عنه ابن عدي: (سمعت ابن حماد يقول: قال البخاري: عبد الله بن المعتم له صحبة، لا يصح إسناده حديثه، ولم يحضرنني من حديث عبد الله بن المعتم الذي ذكره البخاري شيء) (٩٦).

وذكره في الصحابة: ابن عبد البر وابن الأثير وابن حجر وغيرهم (٩٧). إلا أن ابن حجر قال: (.. وقد تقدم ذكر عبد الله بن مالك بن المعتم العبسي، فما أدري: أهو هذا نسب إلي جده أو غيره) (٩٨).

قلت: اعتمد ابن عدي في ذكر عبد الله بن المعتم - هنا - على قول البخاري: (لا يصح إسناده حديثه) مع تصريحه بصحته، فمراده: لا يصح الإسناد إليه، لا أنه هو الضعيف.

### ۱۶ - عبد الرحمن بن ثابت بن الصامت:

قال ابن عدي عنه: (سمعت ابن حماد يقول: قال البخاري: عبد الرحمن بن ثابت بن الصامت عن النبي - ﷺ - قال ابن أبي حبيبة عن عبد الرحمن بن ثابت عن أبيه لم يصح، وهذا الذي ذكره البخاري إنما هو حديث واحد، وقوله: لم يصح، أنه لا يصح له سماع من النبي - ﷺ -) (٩٩).

قال ابن عبد البر: (عبد الرحمن بن ثابت بن الصامت.. صحب النبي - ﷺ -، وتوفي أبوه قديماً بالجاهلية) (١٠٠)، وقال ابن الأثير: (ذكره البخاري في الصحابة، وذكره مسلم في التابعين) (١٠١). وذكره ابن حجر في الإصابة، وقال: (.. قرأت بخط مغلطي: في هذا نظر، من حيث إن البخاري لم يذكره في الصحابة، وإنما ذكره في جملة الرواة بعد الصحابة..) (١٠٢)

وفي تهذيب التهذيب نقل قولي أبي حاتم وابن حبان في توثيقهما له على أنه من التابعين، ثم قال: (قلت: ذكره ابن عبد البر وابن منده في الصحابة..)<sup>(١٠٣)</sup>. فكأنه مال إلي ترجيح القول بصحبه والله أعلم.

قلت: والمترجم له - هنا - مختلف في صحبته، وابن عدي لم يذكر قول البخاري: (لم يصح) فقط، بل شرحه بقوله: (وقوله: لم يصح، أنه لا يصح له سماع من النبي - ﷺ -)، وهذا ترجيح منه للقول بعدم صحبته، وعلي كل فقد اعتبر الخلاف كلاماً في الراوي فأدخله في كتابه علي شرطه.

#### ١٧- عبد الرحمن بن سئدة الأسلمي:

قال عنه ابن عدي: (سمعت ابن حماد يقول: قال البخاري: عبد الرحمن بن سنة عن النبي - ﷺ - حديثه - ثم ساق له حديث "بدأ الإسلام غريباً..". وقال: (لا أعلم لعبد الرحمن بن سنة غير هذا الحديث، ولا يُعرف إلا من هذه الرواية..)<sup>(١٠٤)</sup>.

قال ابن عبد البر: (عبد الرحمن بن سنة الأسلمي: روى عن النبي - ﷺ -.. وفي الإسناد عنه ضعف)<sup>(١٠٥)</sup>، وقال ابن حجر: (ذكره البخاري وقال: حديثه ليس بالقائم.. وذكره ابن حبان في الصحابة فقال: له رؤية)<sup>(١٠٦)</sup>.

قلت: لم يُتم ابن عدي كلام البخاري، وتمامه كما في التاريخ الكبير: (.. وحديثه ليس بالقائم)<sup>(١٠٧)</sup>، فلعله سقط منه، وصاحب الترجمة صحبته ثابتة بذكر أصحاب كتب الصحابة له، وليس بينهم خلاف في أن له صحبة، لكن تكلم في الإسناد إليه فأدخله ابن عدي في كتابه، وجعله في حكم المجهول!!

#### ١٨- عبد الرحمن بن صفوان:

قال ابن عدي عنه: (.. عن يحيى بن معين قال: عبد الرحمن بن صفوان لم ير النبي - ﷺ - ولم يسمع منه.. وهذا الذي ذكره يحيى إنما هو حديث واحد عن عبد الرحمن بن صفوان عن النبي - ﷺ -)<sup>(١٠٨)</sup>.

ذكر كل من ابن عبد البر وابن الأثير ثلاثة<sup>(١٠٩)</sup> في الصحابة كلهم اسمه عبد الرحمن بن صفوان، أحدهم: عبد الرحمن بن صفوان بن قتادة، والآخر: عبد الرحمن بن صفوان بن قدامة الجمحي، والثالث: عبد الرحمن بن صفوان بن أبي أمية الجمحي، والذي يبدو لي - والله أعلم - أن الذي ذكره ابن عدي في كتابه هو ابن أبي أمية الجمحي، فهو مختلف في صحبته، فقد ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب<sup>(١١٠)</sup>، وذكر خلاف العلماء في صحبته، وذكره في الإصابة قال: (.. ذكره الترمذي والبارودي وابن البرقي وابن حبان وابن قانع وابن عبد البر وغيرهم في الصحابة، ثم أعاده ابن حبان في التابعين، وقال ابن البرقي لا أظن له سماعاً، وقال العسكري: لا صحبة له وحديثه مرسل، وذكره في التابعين البخاري ومسلم وأبو زرعة الرازي والدمشقي وأبو حاتم وغيرهم.. وفيه من الاختلاف غير ذلك)<sup>(١١١)</sup>.

قلت: اعتمد ابن عدي في إدخاله عبد الرحمن بن صفوان في كتابه على الاختلاف في صحبته، فاعتبره كلاماً فيه.

#### ١٩- عبد الرحمن بن قارب بن الأسود:

قال ابن عدي عنه: (سمعت ابن حماد يقول: قال البخاري: عبد الرحمن بن قارب بن الأسود عن النبي - ﷺ - على السلام - في ثقيف، لم يصح..)<sup>(١١٢)</sup>.  
ذكره ابن الأثير في الصحابة وقال: (اسمه الربيع بن قارب العبسي.. وفد على النبي - ﷺ - فسماه عبد الرحمن، وكساه برداً وحمله علي ناقة)<sup>(١١٣)</sup>.

وذكره ابن حجر أيضاً في الصحابة، وقال: (.. تابعي أرسل حديثاً فذكره بعضهم في الصحابة..) وكان قد ترجم للربيع بن قارب ترجمة منفردة<sup>(١١٤)</sup>، فعلق قائلاً في ترجمة عبد الرحمن: (وتقدم في الربيع بن قارب أنه وفد على النبي - ﷺ - فحمله على ناقة.. فإن يكن هو هذا فالحكم على أن حديثه مرسل، وأنه تابعي مردود، وإن

يكن غيره فلا إشكال، ويزيد المغايرة أن هذا ثقفي - أي عبد الرحمن وذلك عبسي) <sup>(١١٥)</sup> أي الربيع.

قلت: وهذا يفيد أن ابن حجر رجح كون عبد الرحمن بن قارب بن الأسود تابعي، وأنه ثقفي، وهو الذي ذكره ابن عدي في كتابه، معتمداً على قول البخاري، وفي كلام البخاري رأينا أنه ثقفي، والحق معه في إدخاله في كتابه.

#### ٢٠- عتبة بن عويم الأنصاري:

قال ابن عدي: (سمعت ابن حماد يقول: قال البخاري: عتبة عويم الأنصاري، الساعدي مدني لم يصح حديثه، وعتبة بن عويم ليس له من الحديث إلا اليسير، وأرجو أنه في نفسه لا بأس به) <sup>(١١٦)</sup>.

قال ابن الأثير: (قال ابن أبي داود: شهد بيعة الرضوان تحت الشجرة، وشهد ما بعدها) <sup>(١١٧)</sup>.

وقال ابن حجر في الإصابة: (مختلف في صحبته، قال ابن أبي داود: شهد بيعة الرضوان وما بعدها، وقال البخاري وأبو حاتم: لم يصح حديثه، يعني لما فيه من الاضطراب..) <sup>(١١٨)</sup>.

وقال في تهذيب التهذيب: (قال البخاري عتبة بن عويم لم يصح حديثه، وكذا قال أبو حاتم، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به، قلت: ما أراد البخاري بقوله: لم يصح حديثه إلا الاضطراب الواقع في الإسناد، فظن ابن عدي أنه ضعفه فذكره في الكامل، وقال: لا بأس به، وما روي أنه صحابي، فقد ذكر ابن أبي داود أنه شهد بيعة الرضوان وما بعدها، ورواه ابن منده وأبو نعيم في الصحابة..) <sup>(١١٩)</sup>.

قلت: (وهذا تعقب قوي من ابن حجر لابن عدي، وأنه أخطأ في فهم كلام البخاري عن عتبة بن عويم، ومما يدل على صحة تعقب ابن حجر لابن عدي وأنه لم يدر أن صاحب الترجمة صحابي، أن ابن عدي قال: (وأرجو أنه في نفسه لا بأس به) فهذا حكم في حق هذا الراوي بالتعديل من الدرجة الخامسة، وهو من أدنى الدرجات، والمعلوم أن الصحابة لا يحتاجون إلي الحكم بالتعديل لثبوت عدالتهم.

#### ٢١- عطية بن بسر المازني:

قال عنه ابن عدي: (سمعت ابن حماد يقول: قال البخاري: عطية بن بسر عن عكاف لم يقم حديثه.. وهذا الذي ذكره البخاري هو حديث طويل رواه الشاميون عن مكحول) (١٢٠).

وقد ذكره ابن عبد البر وابن الأثير في الصحابة، قالوا: (عطية بن بسر المازني ويقال: الهلالي، شامي وهو أخو عبد الله بن بسر، روى عنه مكحول حديث عكاف بن وداعة) (١٢١).

وذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب قال: (.. روى عن النبي - ﷺ - وعنه: سليم بن عامر، وأبو زيادة عبيد الله بن زيادة، وغضيف بن الحارث، ومكحول الشامي، وذكره عبد الصمد بن سعيد في تاريخ الصحابة الذين نزلوا حمص.. وقال السلمي: قلت للدارقطني: لعطية بن بسر صحبة؟ قال: نعم،.. وقد ذكر جمع من العلماء عطية بن بسر في الصحابة) (١٢٢).

قلت: تابع ابن عدي البخاري فيما قاله عن عطية (لم يقم حديثه)، لكنه قال: إن قول البخاري ينصرف إلى حديث عكاف بن وداعة الذي رواه عنه مكحول، ولم يفصح ابن عدي عن صحبة عطية، فلعله خفي عليه، مع أنه مذكور في الصحابة عند كثير من العلماء كما تقدم !!

## ٢٢- عمرو بن عبد الله الحضرمي:

قال ابن عدي عنه: (رأى النبي - ﷺ - لا يصح حديثه، سمعت ابن حماد يذكره عن البخاري، وهذا هو حديث واحد، وإنما شك البخاري أنه لا يصح له: أي ليس لعمرو بن عبد الله صحبة) (١٢٣).

وقد ذكره ابن الأثير وابن حجر في الصحابة، وخلاصة ما قالوا: إنه نزل حمص، وذكره خليفة بن خياط فيمن قتل بصفين مع معاوية، وأنه رأى النبي - ﷺ - وأنه مختلف في صحبته، قال أبو نعيم: لا تصح له رؤية للنبي - ﷺ - وقال البخاري: رأى النبي - ﷺ - ولا يصح حديثه (١٢٤).

قلت: اعتمد ابن عدي في ذكره لعبد الله الحضرمي في كتابه على كلام البخاري في حديثه وأنه لا يصح، وعلى الخلاف في صحبته، فاعتبره كلاماً فيه يجعله من شرط كتابه، والعجيب من ابن عدي أنه برغم تصريح البخاري بصحبة الحضرمي ورؤيته للنبي - ﷺ - إلا أنه فسر كلام البخاري بأن معناه: ليس لعمرو بن عبد الله الحضرمي صحبة !!

## ٢٣- كُدير الضبي:

قال ابن عدي: (سمعت ابن حماد يقول: قال السعدي: كدير زائف، وقال النسائي: كدير الضبي ضعيف) ثم أورد له حديثين عن النبي - ﷺ - ثم قال: (ويقال: إن لكدير صحبة، وهو من الصحابة الذين لم يرو عنهم غير أبي إسحاق السبيعي) (١٢٥).

وقال البخاري: (كدير الضبي عن النبي - ﷺ - روى عنه أبو إسحاق الهمداني، ليس بالقوي) (١٢٦).

وقال ابن أبي حاتم: (سألت أبي عنه فقال: محله الصدق، وقيل له: إن محمداً بن إسماعيل البخاري أدخله في كتاب الضعفاء؟ فقال: يُحوّل من هناك) (١٢٧).

وذكره ابن عبد البر وابن الأثير في الصحابة فقالوا: كدير مختلف في صحبته، سكن الكوفة، وروى عنه أبو إسحاق السبيعي، وحديثه عند أكثرهم مرسل (١٢٨).

وكذلك ذكره ابن حجر في الإصابة، وذكر له حديثاً عن النبي - ﷺ - ثم قال: (لكن قال أبو داود في سؤالاته لأحمد: قلت لأحمد: كدير له صحبة؟ قال: لا، قلت: زهير يقول أنه أتى النبي - ﷺ - فقال أحمد: إنما سمع زهير من أبي إسحاق بآخره.. وقال ابن خزيمة: (لست أدري سماع أبي إسحاق من كدير، قلت: قد صرح به شعبة وأخرجه ابن شاهين..) (١٢٩).

قلت: اعتمد ابن عدي في إدخاله كدير الضبي في الضعفاء على الخلاف في صحبته، وعلى أقوال العلماء كالبخاري والنسائي والسعدي وأحمد بن حنبل وابن خزيمة.

#### ٢٤- كنانة بن عباس بن مرداس:

قال عنه ابن عدي: (كنانة روى عنه ابنه، لم يصح، سمعت ابن حماد يذكره عن البخاري) (١٣٠).

وقد ذكره ابن حجر في الإصابة (١٣١)، وفي تهذيب التهذيب، قال: (..قال البخاري: لا يصح، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال في كتاب الضعفاء: حديثه منكر جداً.. وقال ابن منده في تاريخه: يقال إن له صحبة، ولم أر من ذكره في الصحابة على قاعدتهم في ذلك، وقد ذكرته في الإصابة، وأورده ابن عدي تبعاً للبخاري) (١٣٢).

قلت: استند ابن عدي في إيراده كنانة في الضعفاء على الخلاف في صحبته، وتابع البخاري كما قال ابن حجر.

## ٢٥- محدوج الذهلي:

قال عنه ابن عدي: (سمعت ابن حماد يقول: قال البخاري: محدوج الذهلي عن جسر، قال ابن أبي عتبة عن أبي الخطاب: فيه نظر..)<sup>(١٣٣)</sup>.

وقد ذكره ابن الأثير وابن حجر، وقالوا: محدوج بن زيد الذهلي، ويقال: الهذلي، مختلف في صحبته<sup>(١٣٤)</sup>.

قلت: تابع ابن عدي البخاري أيضاً هنا في ذكره لمحدوج في كتابه.

## ٢٦- هند بن أبي هالة:

قال عنه ابن عدي: (سمعت ابن حماد يقول: قال البخاري: هند بن أبي هالة روى عنه الحسين بن علي بن أبي طالب، يُتكلّم في حديثه) ثم روى حديثه في وصف النبي - ﷺ<sup>(١٣٥)</sup>.

وذكره البخاري في الضعفاء: (هند بن أبي هالة: كان وصافاً للنبي - ﷺ - روى عنه الحسن بن علي، ويتكلمون في إسناد حديثه)<sup>(١٣٦)</sup>.

وذكره ابن عبد البر، وابن الأثير، وابن حجر، وخلاصة ما قالوا في ترجمته: هو هند بن أبي هالة، تميمي من بني أسيد بن عمرو، ربيب رسول الله - ﷺ - فأمه خديجة بنت خويلد، خلف عليها رسول الله - ﷺ - بعد أبي هالة، قتل مع عليّ يوم الجمل<sup>(١٣٧)</sup>.

وترجمه ابن حجر - أيضاً - في تهذيب التهذيب قال: (.. روى عن النبي - ﷺ - صفته وحليته، وروى عنه الحسن والحسين وابن عباس وابنه هند بن هند، وفي حديثه من لا يُعرف.. وقال أبو حاتم الرازي: روى عنه قوم مجهولون، فما ذنب هند حتى أدخله البخاري في الضعفاء)<sup>(١٣٨)</sup>.

قلت: اعتمد ابن عدي في إيراد هذا الصحابي الشهير في كتابه على قول البخاري وفعله، مما دعا الحافظ ابن حجر أن يعجب من صنيع البخاري في إدخاله صحابي كهذا في كتابه الضعفاء، وأعجب منه صنيع ابن عدي في متابعتة له، ونحن نقول لهما: ما ذنب هند الصحابي أن روى عنه قوم مجهولون فأدخلتماه في الضعفاء!!

## الخاتمة

بعد الفراغ من البحث، والتجوال في كتب الرجال، توصلت إلي عدة نتائج أبرزها ما يلي:

- ١ - كتاب الكامل في ضعفاء الرجال، يدل على مكانة صاحبه الإمام ابن عدي الجرجاني النقدية، وجلالة قدره، وطول باعه في معرفة أحوال الرواة.
- ٢ - أن الحافظ ابن عدي لم يكن مجرد ناقل يتقل أفعال غيره في الجرح ويكتفي بها، بل يورد بعض ما أنكر على الراوي، ويقوم بجمع طرق الحديث ما أمكنه، ثم ينظر هل الضعف من جهته أم من جهة من روى عنه، ثم يعطيه الحكم اللائق به.
- ٣ - سوَّغ الحافظ ابن عدي إدخاله بعض الصحابة في كتابه بالشرط الذي وضعه، وهو أن يذكر في كتابه كل من تكلم فيه متكلم.
- ٤ - ولم يكن الشرط وحده هو المسوغ لفعله، بل متابعة للبخاري في بعض كتبه، كالضعفاء الصغير والتاريخ الكبير.
- ٥ - أن الحافظ ابن عدي قام بإنصاف الصحابة المتكلم في الإسناد إليهم، ولعل هذا ما يُعتذر به عن إدخاله إياهم في كتابه، فإن بعض أصحاب كتب الضعفاء ربما ذكروا هؤلاء الثقات في الضعفاء، ويذكرون كلام من جرحهم، ولا يذكرون كلام من وثقهم، وأشهر هؤلاء ابن الجوزي - رحمه الله.
- ٦ - رأينا موقف العلماء من ابن عدي في إدخاله لبعض الصحابة في كتابه، وأنهم برغم ثنائهم العطر، وتقديرهم لمكانته، عابوا عليه توسعه في ذكر كل من تكلم فيه متكلم وإن كان ثقة.

۷ - رأينا - أيضاً - أن توسع ابن عدي لذكر كل من تكلم فيه، اضطره إلى ذكر بعض الصحابة، وهو وإن عُذِر في ذكره لبعض المختلف في صحبتهم، فلا عذر له في ذكر صحابة أجلاء لا خلاف في صحبتهم، مثل: هند بن أبي هالة، وزيد بن أبي أوفى، وذي اليمين، وسليك الغطفاني، وعبد الله بن أبي حذافة السهمي، وعامر بن وائلة، وعبد الله بن مطرف.. وغيرهم، حتى وإن صرح ابن عدي معذراً عن نفسه وعن البخاري - في ذكرهما لهؤلاء الصحابة في الضعفاء، بأن الضعف ليس من جهتهم وإنما من جهة من روى عنهم، وأنهما لا يقصدان الكلام في الصحابة أو القدرح فيهم، فإن هذا لا يكفي، وكان الأولى أن يتحاشيا ذكرهم في كتاب خُصص للضعفاء، لأن الذي يتبادر من النظر إلي عنوان الكتاب (الكامل في ضعفاء الرجال) لأول وهلة أنه اشتمل على ناقصي الأهلية، حتى إن السخاوي عاب على ابن عدي أنه سمي كتابه الذي فيه الناقصين عن أهلية قبول الرواية بالكامل<sup>(۱۳۹)</sup>.

۸ - عدد من وقفت عليهم من الصحابة في كتاب الكامل: ست وعشرون صحابياً.

۹ - كما أفاد هذا البحث أن علم الجرح والتعديل قابل للاجتهاد، وأنه ليس مجرد أقوال سجلت في الكتب وانتهى أمرها، بل مجال الاجتهاد فيه واسع، فيُجْتَهَد في فَهْم عبارات الجرح والتعديل ذاتها، فقد تكون العبارة توحى بالجرح وصاحبها لا يقصد ذلك، لأن ألفاظ الأئمة اختلفت في التعبير عن مراتب الرواة، ويجتهد في سبب الجرح، فقد يكون سبباً غير قادح، ولا يوجب رد الراوي، والاجتهاد في الحكم علي الرواة، يؤثر بطبيعة الحال في الحكم علي الأحاديث تصحيحاً وتضعيفاً.

## الهوامش والتعليقات:

- (١) سورة الفتح، من الآية / ٢٩.
- (٢) سورة الحجرات، الآية / ٦.
- (٣) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ: محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ص / ١٦٥.
- (٤) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة: محمد بن جعفر الكتاني، ص / ١٠٩.
- (٥) تاريخ جرجان: حمزة بن يوسف السهمي، ص / ٢٦٦.
- (٦) انظر: تاريخ جرجان، ص / ٢٦٧، وسير أعلام النبلاء: للذهبي، ١٠ / ٨٤، معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي ٣ / ٤٣.
- (٧) البداية والنهاية: إسماعيل بن كثير الدمشقي، ١١ / ٣٠٠.
- (٨) طبقات الشافعية الكبرى: للسبكي، ٣ / ٣١٥.
- (٩) انظر: تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي ٩ / ٤٠٧، تذكرة الحفاظ: للذهبي ٣ / ٩٤٣، والأنساب: لعبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، ٢ / ٤١.
- (١٠) انظر: تاريخ جرجان، ص / ٢٦٧، وتذكرة الحفاظ: للذهبي ٣ / ٩٤٢.
- (١١) انظر: تاريخ جرجان، ص / ٢٦٧، والأنساب: للسمعاني ٢ / ٤١.
- (١٢) انظر: الكامل ١ / ٤١٩ في ترجمة (الأجلح بن عبد الله بن معاوية)، وأيضاً: الكامل ٥ / ٨٤ في ترجمة (عبد المجيد بن عبد العزيز).
- (١٣) طبقات الشافعية الكبرى ٣ / ٣١٥، وأيضاً طبقات الشافعيين: لابن كثير ١ / ٢٥٥.
- (١٤) طبقات الشافعية: أحمد بن محمد بن قاضي شهبه، ١ / ١١٨.
- (١٥) انظر: تاريخ جرجان، ص / ٢٦٧.
- (١٦) الكامل في التاريخ: لابن الأثير الجزري، ٧ / ٣٤٢.
- (١٧) انظر: تاريخ جرجان، ص / ٢٦٨، سير أعلام النبلاء ١٠ / ٨٥، والكامل في التاريخ ٧ / ٣٤٢.

- (١٨) الكامل ١ / ٧٩.
- (١٩) سير أعلام النبلاء ١٠ / ٨٤.
- (٢٠) طبقات الشافعية الكبرى: للسبكي ٣ / ٣١٥.
- (٢١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة، ٢ / ٣٣٦، وانظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لابن العماد الحنبلي ٣ / ٥١.
- (٢٢) انظر: الكامل ١ / ٢٦٧.
- (٢٣) انظر: الكامل ٢ / ٢٨٩.
- (٢٤) انظر: مقدمة تحقيق كتاب الكامل: للشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ١ / ٧٦، ٧٧.
- (٢٥) الأنساب ٢ / ٤١، سير أعلام النبلاء ١٠ / ٨٤، طبقات الشافعيين: لابن كثير، ١ / ٢٥٥.
- (٢٦) مجموع فتاوى ابن تيمية ١ / ٢٧١.
- (٢٧) ميزان الاعتدال في نقد الرجال: للذهبي ١ / ٢.
- (٢٨) طبقات الشافعيين: لابن كثير ١ / ٢٥٥.
- (٢٩) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ: للسخاوي، ص / ١٦٥.
- (٣٠) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة: محمد بن جعفر الكتاني، ص / ١٠٩.
- (٣١) انظر: الكامل ٤ / ٤٠٦ في ترجمة (سعيد بن زربي البصري) برقم (٨٠٤).
- (٣٢) انظر: الكامل ٥ / ٣٤٢ في ترجمة (عبد الله بن صالح كاتب الليث) برقم (١٠١٥).
- (٣٣) ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل: للذهبي، ص / ١٧١.
- (٣٤) الكامل ١ / ٧٨، ٧٩.
- (٣٥) وهو مطبوع بدار البشائر الإسلامية، بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- (٣٦) فتح المغيبيات بشرح ألفية الحديث: للسخاوي.
- (٣٧) لسان الميزان: لابن حجر، ٣ / ٢١٧.

- (٣٨) الكامل ٥ / ١٩٧ .
- (٣٩) لسان الميزان ٣ / ٢١٧ .
- (٤٠) ميزان الاعتدال ١ / ٢ .
- (٤١) انظر: العقيدة الواسطية لابن تيمية مع شرحها لابن عثيمين، ص / ٦٠٧ .
- (٤٢) الكامل: لابن عدي، ٤ / ١٦١، ١٦٢ .
- (٤٣) الكامل: لابن عدي، ٢ / ١٥٥ .
- (٤٤) المرجع السابق - نفسه ٢ / ١٥٣ .
- (٤٥) أسد الغابة في معرفة الصحابة: لأبي الحسن علي بن محمد بن الأثير الجزري، ١ / ٢٠٧ . وانظر: تاريخ بغداد ١ / ٢٢٥، وطبقات ابن سعد ٧ / ٤٠٩، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني، ٣ / ١٢٩ .
- (٤٦) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري، ١ / ٢٤٠ . وانظر: تاريخ يحيى بن معين ٢ / ٨، والتاريخ الصغير للبخاري ١ / ١١٢ .
- (٤٧) الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر، ١ / ٢٢٠، ٢٢١، وانظر: طبقات خليفة بن خياط، ص / ٢٧، وسير أعلام النبلاء ٣ / ٥٤٠ .
- (٤٨) الكامل ٣ / ٣٧٧، ٣٧٨ .
- (٤٩) أسد الغابة ١ / ٤١٦، ٤١٧ .
- (٥٠) الإصابة ١ / ٤٥٦، ٤٥٧، وانظر: تهذيب التهذيب ١ / ٣٤٦، طبقات الأسماء المفردة: للبرديجي، ص / ٥٢ .
- (٥١) الكامل ٣ / ٥٨٠ .
- (٥٢) الاستيعاب ٢ / ٤٦ .
- (٥٣) أسد الغابة ٢ / ١٤١، ١٤٢، وانظر: تجريد أسماء الصحابة: للذهبي ١ / ١٦٦ .
- (٥٤) الإصابة ٢ / ١١٣، ١١٤ .

- (۵۵) التاريخ الكبير ۳ / ۲۴۸، ۲۴۹.
- (۵۶) الكامل ۴ / ۱۹، ۲۰.
- (۵۷) الاستيعاب ۲ / ۵۰، وانظر: تجريد أسماء الصحابة ۱ / ۱۶۸.
- (۵۸) أسد الغابة ۲ / ۱۴۶، ۱۴۷، وانظر: الأسماء المفردة: للبرديجي، ص / ۷۵.
- (۵۹) الإصابة ۲ / ۱۲۳.
- (۶۰) الكامل ۴ / ۲۰، ۲۱.
- (۶۱) الاستيعاب ۲ / ۵۶، ۵۷، وانظر: تجريد أسماء الصحابة ۱ / ۱۷۰.
- (۶۲) أسد الغابة ۲ / ۱۵۴، وانظر: الأسماء المفردة: للبرديجي، ص / ۴۵.
- (۶۳) الكامل ۴ / ۱۶۱ – ۱۶۳، وانظر: التاريخ الكبير: للبخاري ۳ / ۳۸۶.
- (۶۴) الاستيعاب ۲ / ۱۱۰، ۱۱۱.
- (۶۵) أسد الغابة ۲ / ۲۳۴.
- (۶۶) الإصابة ۲ / ۲۳۷، ۲۳۸، وانظر: تجريد أسماء الصحابة ۱ / ۱۹۷.
- (۶۷) الكامل ۴ / ۳۲۳.
- (۶۸) الاستيعاب ۲ / ۲۴۵، وانظر: تجريد أسماء الصحابة ۱ / ۲۲۹.
- (۶۹) أسد الغابة ۲ / ۳۴۵، ۳۴۶.
- (۷۰) انظر: الإصابة ۲ / ۳۶۴.
- (۷۱) الكامل ۴ / ۵۴۷، ۵۴۸.
- (۷۲) أسد الغابة ۲ / ۳۶۷.
- (۷۳) الإصابة ۲ / ۳۸۳، ۳۸۴، وانظر: تجريد أسماء الصحابة ۱ / ۲۳۵.
- (۷۴) انظر: الكامل ۲ / ۳۳۶.
- (۷۵) المرجع السابق – نفسه ۶ / ۱۶۱.

- (٧٦) الاستيعاب ٢ / ٣٤٧، وانظر: التاريخ الكبير: للبخاري ٦ / ٤٤٦.
- (٧٧) الإصابة ٦ / ١٥٣، ١٥٤، وانظر: تجريد أسماء الصحابة ١ / ٢٨٩.
- (٧٨) أسد الغابة ٢ / ٥٣٠، ٥٣١.
- (٧٩) الكامل ٥ / ٣٦٨.
- (٨٠) الاستيعاب ٣ / ١١.
- (٨١) أسد الغابة ٢ / ٥٦٠، ٥٦١ وقد ذكر أسماء ثلاثة كلهم اسمه عبد الله بن ثابت وكلهم أنصاري، ولم يختلف في صحبة أحد منهم.
- (٨٢) الإصابة ٣ / ١٦٤، ١٦٥، وانظر: تجريد أسماء الصحابة، ١ / ٣٠٠.
- (٨٣) الكامل ٥ / ٣٦٧.
- (٨٤) انظر: الاستيعاب ٣ / ٢٤، ٢٥، والإصابة ٣ / ١٨٠، وسير أعلام النبلاء ٢ / ١٧٠، وتجريد أسماء الصحابة ١ / ٣٠٥.
- (٨٥) الكامل ٥ / ٣٦٩.
- (٨٦) كتاب الضعفاء: لأبي جعفر العقيلي، ٣ / ٢٤٧، ٢٤٨.
- (٨٧) أسد الغابة ٢ / ٦١٩، وانظر: تجريد أسماء الصحابة ١ / ٢١٧.
- (٨٨) الإصابة ٣ / ٢١٩، ٢٢٠.
- (٨٩) الكامل ٥ / ٣٨٥، وانظر: التاريخ الكبير ٥ / ١٢٩.
- (٩٠) الاستيعاب ٣ / ٧٣.
- (٩١) أسد الغابة ٣ / ١٣، وانظر: تجريد أسماء الصحابة ١ / ٣٢١.
- (٩٢) الإصابة ٣ / ٢٣٨.
- (٩٣) لسان الميزان ٤ / ٥٠٥، ٥٠٦.
- (٩٤) الكامل ٥ / ٣٦٨، وانظر: كتاب الضعفاء للعقيلي ٢ / ٢٠٢.

(۹۵) انظر: الاستيعاب ۳ / ۱۱۶، وأسد الغابة ۳ / ۷۹.

(۹۶) الكامل ۵ / ۳۶۸.

(۹۷) انظر: الاستيعاب ۳ / ۳۹۷، وأسد الغابة ۳ / ۸۲، والإصابة ۳ / ۲۹۲، تجريد أسماء الصحابة ۱ / ۳۳۶.

(۹۸) الإصابة ۳ / ۲۹۲، وينظر الترجمة التي أشار إليها ۳ / ۲۸۲.

(۹۹) الكامل ۵ / ۵۰۳، وانظر: التاريخ الكبير: للبخاري ۵ / ۲۶۶.

(۱۰۰) الاستيعاب ۲ / ۳۷۰.

(۱۰۱) أسد الغابة ۳ / ۱۰۴، وانظر: تجريد أسماء الصحابة ۱ / ۳۴۴.

(۱۰۲) الإصابة ۳ / ۳۲۴.

(۱۰۳) تهذيب التهذيب ۲ / ۴۹۵.

(۱۰۴) الكامل ۵ / ۴۹۸، ۴۹۹.

(۱۰۵) الاستيعاب ۲ / ۳۷۱، وانظر: أسد الغابة ۳ / ۱۲۴.

(۱۰۶) الإصابة ۳ / ۳۳۷، وانظر: كتاب الثقات: لابن حبان ۱ / ۳۷۹.

(۱۰۷) التاريخ الكبير: للبخاري ۵ / ۲۵۲.

(۱۰۸) الكامل ۵ / ۴۹۸.

(۱۰۹) انظر: الاستيعاب ۲ / ۳۷۹، ۳۸۰، وأسد الغابة ۳ / ۱۲۷، ۱۲۸.

(۱۱۰) انظر: تهذيب التهذيب ۲ / ۵۱۸.

(۱۱۱) الإصابة ۴ / ۱۴۴، وانظر: التاريخ الكبير للبخاري ۵ / ۲۹۶، تجريد أسماء الصحابة ۱ / ۳۴۹.

(۱۱۲) الكامل ۵ / ۴۹۹، وانظر: التاريخ الكبير ۵ / ۳۴۱.

(۱۱۳) أسد الغابة ۲ / ۱۷۶.

- (١١٤) الإصابة ٢ / ١٥٦ .
- (١١٥) الإصابة ٤ / ٢٦٣، ٢٦٤ .
- (١١٦) الكامل ٧ / ٦٦ .
- (١١٧) أسد الغابة ٣ / ٢٠١، وانظر: تجريد الصحابة ١ / ٣٧١ .
- (١١٨) الإصابة ٣ / ٤١٤ .
- (١١٩) تهذيب التهذيب ٣ / ٥٣ .
- (١٢٠) الكامل ٧ / ٨٥ .
- (١٢١) الاستيعاب ٣ / ١٨٠، وأسد الغابة ٣ / ٢٥٣، تجريد أسماء الصحابة ١ / ٣٨٣ .
- (١٢٢) تهذيب التهذيب ٣ / ١١٣، ١١٤ .
- (١٢٣) الكامل ٦ / ٢٤٤، وانظر: التاريخ الكبير للبخاري ٦ / ٣١٢ .
- (١٢٤) انظر: أسد الغابة ٣ / ٣٩٠، والإصابة ٤ / ٤٧، وكتاب الضعفاء: لمحمد بن إسماعيل البخاري، ص / ١٠٠، تجريد أسماء الصحابة ١ / ٤١٢ .
- (١٢٥) الكامل ٧ / ٢٢٢، ٢٢٣ .
- (١٢٦) كتاب الضعفاء: للبخاري، ص / ١١٧، وانظر: التاريخ الكبير ٧ / ٢٤٢ .
- (١٢٧) الجرح والتعديل: عبد الرحمن بن أبي حاتم ٧ / ١٧٤ .
- (١٢٨) انظر: الاستيعاب ٣ / ٣٨٨، وأسد الغابة ٣ / ٥٢٠، ٥٢١، تجريد أسماء الصحابة ٢ / ٢٨ .
- (١٢٩) الإصابة ٤ / ٤٦٥، ٤٦٦، وسؤالات أبي داود للإمام أحمد بن حنبل: سليمان بن الأشعث السجستاني، ص / ٢٩٦ .
- (١٣٠) الكامل ٧ / ٢١٤، وانظر: التاريخ الكبير للبخاري ٧ / ٢٤٢ .
- (١٣١) انظر: الإصابة ٤ / ٤٩٦ .
- (١٣٢) تهذيب التهذيب ٣ / ٤٧٦، وانظر: الثقات: لابن حبان ٢ / ٤٦٠ .

(١٣٣) الكامل ٨ / ١٩٨ .

(١٣٤) انظر: أسد الغابة ٤ / ٥٢، والإصابة ٥ / ٦٧، وتهذيب التهذيب ٤ / ٣١، وتجريد أسماء الصحابة ٢ / ٥٢ .

(١٣٥) الكامل ٨ / ٤٥٠، ٤٥١ .

(١٣٦) كتاب الضعفاء: للبخاري، ص / ١٣٨ .

(١٣٧) انظر: الاستيعاب ٤ / ١٠٥، ١٠٦، وأسد الغابة ٤ / ٢٩٤، والإصابة ٥ / ٤١٥ .

(١٣٨) تهذيب التهذيب ٤ / ٢٨٦ .

(١٣٩) انظر: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، ص / ١٠٩، وفتح المغيث شرح ألفية الحديث ٣ / ٣١٤ .

### قائمة المصادر والمراجع

- ١- أسامي من روى عنهم محمد بن إسماعيل البخاري: عبد الله بن عدي الجرجاني، تحقيق: عامر حسن صبري، ط دار البشائر الإسلامية، بيروت، الأولي ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- ٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة: لأبي الحسن علي بن محمد ابن الأثير الجزري، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط دار المعرفة، بيروت، الثانية ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- ٣- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل عبد الموجود، ط دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.
- ٤- الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط دار الفكر، بيروت، الأولي
- ٥- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ: محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ط دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- ٦- الأنساب: عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، تحقيق: عبد الله عمر البارودي ط مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الأولي ١٤٠٨هـ / ١٩٩٨م.
- ٧- بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم: يوسف بن حسن بن عبد الهادي، تحقيق: وصفي الله بن محمد عباس، ط دار الإمام أحمد، القاهرة، الأولي ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- ٨- البداية والنهاية: إسماعيل بن كثير الدمشقي، ط دار التقوي، القاهرة، الأولي ٢٠٠٤هـ.
- ٩- تاريخ أسماء الثقات ممن نقل عنهم العلم: عمر بن أحمد بن عثمان (المعروف بابن شاهين)، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، الأولي ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- ١٠- تاريخ بغداد: أحمد بن علي بد الخطيب البغدادي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.
- ١١- تاريخ جرجان: حمزة بن يوسف السهمي، ط مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الأولي ١٤٢٨هـ.
- ١٢- التاريخ الصغير: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: يوسف المرعشلي، ط مكتبة المعارف، الرياض، الأولي ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

- ۱۳- تاریخ الثقات: أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، الأولي ۱۴۰۵هـ / ۱۹۸۴م.
- ۱۴- التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل البخاري، ط دار الفاروق، القاهرة، بدون.
- ۱۵- تاريخ يحيى بن معين: برواية العباس بن محمد الدوري، تحقيق: عبد الله أحمد حسن، ط دار القلم، بيروت، بدون.
- ۱۶- تجريد أسماء الصحابة: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط دار المعرفة، بيروت، بدون.
- ۱۷- تحرير تقريب التهذيب: شعيب الأرنؤوط وبيشار عواد، ط مؤسسة الرسالة، بيروت الأولي.
- ۱۸- تذكرة الحفاظ: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق عبد الرحمن المعلمي، ط مكتبة ابن تيمية، القاهرة، بدون.
- ۱۹- تذهيب تهذيب الكمال: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: غنيم عباس ومجدي السيد، ط دار الفاروق، القاهرة، الأولي ۱۴۲۵هـ.
- ۲۰- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة: أحمد بن علي بن حجر، تحقيق: إكرام الله إمداد الحق، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الأولي ۱۴۱۶هـ / ۱۹۹۶م.
- ۲۱- تقريب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط المكتبة التوفيقية، القاهرة، ۲۰۰۳م.
- ۲۲- تهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: إبراهيم الزبيق وعادل مرشد، ط دار مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولي ۱۴۲۹هـ / ۲۰۰۸م.
- ۲۳- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: جمال الدين يوسف المزي، ط دار المأمون للتراث، دمشق، الأولي ۱۴۰۲هـ / ۱۹۸۲م.
- ۲۴- الثقات: لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، الأولي ۱۴۱۹هـ / ۱۹۹۸م.
- ۲۵- الجرح والتعديل: عبد الرحمن بن أبي حاتم: ط مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، مجيدر آباد الدكن - بالهند، الأولي ۱۳۷۲هـ / ۱۹۵۳م.

- ٢٦- الجرح والتعديل: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: خليل محمد العربي، ط دار الفاروق، القاهرة، الأولي ١٤٢٤هـ.
- ٢٧- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، تحقيق: سعيد الإسكندراني، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، الأولي ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- ٢٨- ذكر من يعتمد قولهم في الجرح والتعديل: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- ٢٩- رجال صحيح البخاري (الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد الذين أخرج لهم البخاري في جامعه): أحمد بن محمد بن الحسين الكلاباذي، تحقيق: عبد الله الليثي، ط مكتبة المعارف، الرياض، الأولي ١٤٠٧هـ.
- ٣٠- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة: محمد بن جعفر الكتاني، ط دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية ١٤٠٠هـ.
- ٣١- الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- ٣٢- سؤالات أبي داود للإمام أحمد: سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: زياد منصور، ط مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الثانية ١٤٢٣هـ.
- ٣٣- سؤالات محمد بن عثمان بن أبي شيبة لعلي بن المديني في الجرح والتعديل: تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط مكتبة المعارف، الرياض، الأولي ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ٣٤- سؤالات ابن الجنيد ليحيى بن معين: إبراهيم بن عبد الله الختلي، تحقيق: أحمد محمد نور الدين، ط مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الأولي ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ٣٥- سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط مكتبة الصفا، القاهرة، الأولي ١٤٢٤هـ.
- ٣٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن العماد الحنبلي، ط دار الفكر، بيروت، الأولي ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

- ۳۷- طبقات الأسماء المفردة من الصحابة والتابعين وأصحاب الحديث: لأبي بكر أحمد بن هارون البرديجي، تحقيق: سكينه الشهابي، ط دار طلاس، دمشق ۱۹۸۷م.
- ۳۸- طبقات الحفاظ: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، الأولي ۱۴۰۳هـ.
- ۳۹- طبقات خليفة بن خياط، لخليفة بن خياط العنصر، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط دار طيبة، الرياض، الثانية ۱۴۰۲هـ.
- ۴۰- طبقات الشافعية الكبرى: لتاج الدين السبكي، تحقيق: محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، ط عيسى البابي الحلبي، القاهرة، الأولي ۱۳۸۴هـ / ۱۹۶۵م.
- ۴۱- طبقات الشافعية: أحمد بن محمد بن قاضي شهبة، تحقيق عبد العليم خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، مجيدر آباد الدكن - الهند، الأولي ۱۳۱۸هـ / ۱۹۷۸م.
- ۴۲- طبقات الشافعيين: إسماعيل بن كثير الدمشقي، ط دار الوفاء، المنصورة، الأولي ۱۴۲۵هـ.
- ۴۳- الطبقات الكبرى: محمد بن سعد الهاشمي، ط دار الفكر، بيروت، الأولي ۱۴۱۴هـ / ۱۹۹۴م.
- ۴۴- العقيدة الواسطية: أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، مع شرحها لابن عثيمين، ط دار ابن الجوزي، القاهرة، (مطبوع مع شرحين آخرين للفوزان وهراس).
- ۴۵- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث: محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: رضوان جامع، ط مكتبة نزار مصطفى البار، الرياض، الثانية ۱۴۲۲هـ / ۲۰۰۱م.
- ۴۶- الكامل في التاريخ: علي بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير الجزري، ط المكتبة التوفيقية، القاهرة، بدون.
- ۴۷- الكامل في ضعفاء الرجال: أحمد بن عبد الله بن عدي الجرجاني، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط دار الكتب العلمية، بيروت، الأولي ۱۴۱۸هـ / ۱۹۹۷م.
- ۴۸- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة، ط دار الفكر، بيروت، الأولي ۱۴۱۹هـ.
- ۴۹- لسان الميزان: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط مكتب المطبوعات الإسلامية، ودار البشائر الإسلامية- بيروت - الأولي ۱۴۲۳هـ / ۲۰۰۲م.

- ٥٠- معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.
- ٥١- معرفة الصحابة: لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، تحقيق: محمد راضي، ط مكتبة الدار، المدينة المنورة، الأولي ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ٥٢- ميزان الاعتدال في نقد الرجال: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط دار الفكر العربي، بيروت، بدون تاريخ.
- ٥٣- هدي الساري: أحمد بن علي بن حجر، ط دار الفكر، بيروت، الأولي ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

ثالثاً: الدعوة



# منهجية الإصلاح في دعوات الرسل

## دراسة موضوعية

إعداد

د. أحمد عبدالله علي الدروبي

أستاذ التفسير المشارك بمعهد تعليم اللغة العربية

جامعة أم القرى



## منهجية الإصلاح في دعوات الرسل

دراسة موضوعية

د. أحمد عبدالله علي الدروبي

### ملخص البحث

يتحدث هذا البحث عن قضية من القضايا التي تهتم المجتمعات في كل زمان ومكان؛ وهي قضية الإصلاح، ويتناول أنجح وأصوب النماذج التي مرت على البشرية وهم الأنبياء وذلك من خلال حديث القرآن عن منهجهم في قضايا الإصلاح المختلفة سواء أكانت عقائدية أم اجتماعية أم أخلاقية سلوكية أم كانت في غير ذلك من المجالات، ومن خلال بيان صفاتهم التي كان لها تأثير كبير في نجاح دعواتهم لا سيما دعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو المثل الأعلى لكل مصلح، واستلهم تلك النماذج المشرقة والسير على نهجهم الذي يكفل حل مشاكل البشرية جمعاء، مع التأكيد على ربانية المنهج واختلافه عن كل منهج إصلاحى مدعى.

## **Abstract**

This study investigates reformation in society. Reformation is a crucial topic for all societies; therefore, the study discusses the need of reformation in individuals as well.

The study explores Quranic verses that mention prophets' reformation approach in their societies, relating to their peoples' beliefs, social problems, morals, etc.

It especially focuses on Prophet Mohammad (peace be upon him) and his model methods of Da'wah as a way to reformation.

The study also compares this divine inspirational approach to other reformation approaches.

## المقدمة:

إن الحمد لله فحمده و نستعينه و نستغفره و نستهديه و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً عبده و رسوله صلى الله عليه و سلم تسليماً كثيراً أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو حجة الله على العباد، أنزله سبحانه آية باقية لرسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه هداية للناس ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، بلسان عربي مبين لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ﴿وَإِنَّهُ لَكِنُوبٌ عَزِيزٌ﴾ (٤١) ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ شاملاً ما يقودهم للسعادة في الدنيا والآخرة إن هم تسكوا به و عملوا بما فيه.

ولما كانت المجتمعات يعترئها من الخلل ما يعترئها بسبب نوازع الأثرة وحب الذات و ما تستلزمها من ظلم للنفس وللغير جاءت دعوات الرسل لإصلاح هذه المجتمعات و الخروج بها من عبادة الشهوات لعبادة رب الأرض و السموات، و كانت هذه الدعوات مثلاً ناصعاً للنجاح الذي غير وجه البشرية و حكمها بخير الشرائع الحافظة للضرورات الخمس، و كان لزاماً علينا و نحن نقرأ كتاب الله أن نستلهم نهجهم و نسلك سبيلهم فيما نحن بصدده من دعوة الناس إلى دين الله فلن نجد طريقاً خيراً من طريقهم و لا سبيلاً أهدى من سبيلهم.

من هنا جاءت هذه الدراسة الموضوعية في القرآن الكريم وهدى سيد المرسلين لهذا الموضوع المهم التي نحاول فيها بجهد المقل أن نكشف عن منهجية الرسل في الإصلاح ومحاوله الاستفادة منه في قضايانا المعاصرة وقد سميتها (منهجية الإصلاح في دعوات الرسل - دراسة موضوعية).

### أسباب اختيار الموضوع:

لاختيار الموضوع أسباب عدة منها:

- ١- أهمية الإصلاح في حياة الأمة.
- ٢- كثرة المناهج التي تدعي الإصلاح غريبة كانت أو شرقية أو حتى من داخل الأمة الإسلامية.
- ٣- أهمية تأصيل الموضوع من خلال المصدرين المعصومين.
- ٤- التأكيد على أن كتاب الله فيه من النور والهدى مايسعد البشرية ويقدم لها أفضل الحلول لكل المشاكل.
- ٥- إضاءات الدرب للمصلحين ببيان منهج سادة البشر من الأنبياء والمرسلين صوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ليحصل بهم الاقتداء المطلوب بقول المولى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾.

### تساؤلات الدراسة:

تجيب هذه الدراسة عن الأسئلة التالية:

- ١- هل للإصلاح منهجية محددة يمكن السير عليها؟
- ٢- ماهي ملامح هذه المنهجية؟

٣- كيف عرض القرآن قضية الإصلاح؟

### خطة البحث:

وقد قسمته إلى مقدمة التي هي هذه، وخمسة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: تعريف الإصلاح ووروده في القرآن.

المبحث الثاني: المصلحون في القرآن.

المبحث الثالث: موقف الناس من الإصلاح في القرآن.

المبحث الرابع: قضايا الإصلاح في القرآن.

المبحث الخامس: منهجية الإصلاح.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

هذا وأسأل الله العظيم أن يسدد أعمالنا ويجعلها خالصة لوجهه الكريم وأن يلهمنا الصواب ويجنبنا الخطأ والزلل إنه جواد كريم وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## المبحث الأول

### تعريف الإصلاح ووروده في القرآن

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: التعريف اللغوي للإصلاح.
- المطلب الثاني: لفظ الإصلاح في القرآن.

المطلب الأول: التعريف اللغوي للإصلاح:

قال الراغب: صلح: الإصلاح ضد الفساد، وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال، وقوبل في القرآن تارة بالفساد وتارة بالسيئة، قال ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في مواضع كثيرة.

والصلح يختص بإزالة النفاق بين الناس، يقال منه: اصطلحوا وتصلحوا، قال ﴿أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا﴾ ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ﴾، وإصلاح الله تعالى الإنسان يكون تارة بخلق إياه صالحاً؛ وتارة بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده، وتارة يكون بالحكم له بالصلاح، قال ﴿وَأَصْلِحْ لَهُمُ﴾ ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾<sup>(١)</sup>.

قال ابن فارس: الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد<sup>(٢)</sup>.

قال ابن منظور: الصلاح: ضد الفساد صلح يصلح، و يصلح صلاحاً وصلوحاً، وأنشد أبو زيد:

### فكيف بإطراقي إذا ما شتمتني وما بعد شتم الوالدين صلوح

وهو صالح و صليح، الأخيرة عن ابن الأعرابي، والجمع صلحاء و صلوح و صلح: كصلح، قال ابن دريد: وليس صلح بثبت. ورجل صالح في نفسه من قوم صلحاء و مصلح في أعماله وأموره، وقد أصلحه: ضد أفسده.<sup>(٣)</sup>

فواضح من المعنى اللغوي أنه يدور حول أصل واحد يدل على خلاف الفساد، ويلاحظ أن هناك فرقاً بين الصالح والمصلح فالصالح في نفسه والمصلح إصلاحه يتعدى لغيره، فليس كل صالح مصلحاً، فقد يكون صالحاً لكنه لا يمارس أي نوع من أنواع الإصلاح في مجتمعه فمثل هذا لا يسمى مصلحاً إلا باعتبار إصلاحه نفسه وهو إصلاح قاصر؛ لكن المصلح هو من كان ينشد الإصلاح في أعماله وأموره كلها كما قال أهل اللغة.

قال ابن سيده: المصلحُ: المقيم على الإيمان المؤدي فرائضه اعتقاداً وعملاً.<sup>(٤)</sup>

فهذا يدخل فيه تغيير المنكر لأنه من الإيمان.

فالإصلاح يكون عن فساد ويكون ثمة مصلح ومصلح وقضية تحتاج إلى إصلاح.

فيمكن تعريفه بأنه: تغيير ما فسد ونقله إلى حال السلامة.

ويمكن هنا أن نضيف أن الإصلاح قسمان:

الأول: إصلاح شرعي شامل: وهو ما أمر به الله وما قام به المرسلون، وهو

إصلاح لجوانب الحياة كلها شامل لأمر الدين والدنيا.

الثاني: إصلاح نسبي: وهو ما كان في قضية خاصة من أمور الدنيا، فهذا يمكن

صدوره عن جميع الخلق مؤمنهم وكافرهم، عاصيهم وطائعهم.

و هذا يجيب عن تساؤل يمكن أن يطرح عن وجود بعض من ينطبق عليه اسم الإصلاح وهو غير متحل بالإيمان؟

فهذا إصلاح جزئي في قضية أو قضايا معينة، وهو غير الإصلاح الكامل المبني على شرائع الله المصلحة لحال الناس؛ و فرق بينهما، فإن الإصلاح الجزئي أو النسبي يمكن أن يصدر حتى عن الكافر لكنه قاصر عن بلوغ الإصلاح الكامل. ومقصد البحث هو القسم الأول منهما.

#### المطلب الثاني: لفظ الإصلاح في القرآن.

جاء لفظ الإصلاح في القرآن في مواضع عديدة واشتمل على صيغ عدة: فجاء بصيغة الفعل و اسم الفاعل والمصدر.

#### فمما جاء بصيغة الفعل:

قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وقوله ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاوْلِيَّكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ وقوله ﴿وَلَا تَجْعَلُوا عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

وقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

وقوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَالَّذِينَ يَأْتِيْنَهَا مِنْكُمْ فَتَادُوْهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ وقوله ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ

تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ  
النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمَعْلَقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا  
فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾

وقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ  
اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

وقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ  
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وقوله ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ  
كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ  
وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

وقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿يَبْنَىٰءَ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ بِفُصُوحٍ عَلَيْكُمْ ءَاتِيٓنَا  
أَتَقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وقوله ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا  
بِعَشْرٍ فَمَتَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا  
تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾

وقوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ  
وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

وقوله تعالى في سورة يونس: ﴿فَلَمَّا أَقْبَرَا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ  
اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾

وقوله تعالى في سورة النحل ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهَلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

وقوله تعالى في سورة الأنبياء ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ<sup>٤</sup> إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَعَبًا وَرَهَبًا<sup>٥</sup> وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾

وقوله تعالى في سورة النور ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

وقوله تعالى في سورة الشعراء ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ<sup>(١٥١)</sup> الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾

وقوله تعالى في سورة النمل ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةٌ رَهْطٍ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾

وقوله تعالى في سورة الأحزاب ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ<sup>٦</sup> وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

وقوله تعالى في سورة الشورى ﴿وَجَزَاؤُهُ سِنِيَّةٌ سِنِيَّةٌ مِثْلَهَا<sup>٧</sup> فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾

وقوله تعالى في سورة الأحقاف ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا<sup>٨</sup> وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا<sup>٩</sup> حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي<sup>١٠</sup> إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

وقوله تعالى في سورة محمد ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۗ﴾ (٢) أَعْمَلَهُمْ

وقوله ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلَهُمْ ۗ﴾ (٤) سَيِّئَاتِهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿﴾

وقوله تعالى في سورة الحجرات ﴿وَلِإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغْت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَىٰ فَقْتَلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ ت فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۗ﴾ (١) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ خَيْرًا ﴿﴾

فهذه جملة المواضع التي أتى فيها لفظ الإصلاح بصيغة الفعل، ويلاحظ فيها أن الفعل إما أن يكون صادرًا من الله أو من الناس. فما كان الفعل فيه من الله سبحانه وتعالى جاء على وجوه منها:

#### الوجه الأول:

- مجازاة المؤمنين بإصلاح البال نتيجة إيمانهم بالله وما نزل على نبيه صلى الله عليه وسلم و الجهاد في سبيله، كما في الآيات في سورة محمد. وأصلح بالهم: أي أمرهم وحالهم.

قال ابن جرير: وأصلح بالهم يقول وأصلح شأنهم وحالهم في الدنيا عند أوليائه وفي الآخرة بأن أورثهم نعيم الأبد والخلود الدائم في جنانه. (٥)

قال الزمخشري: أي حالهم وشأنهم بالتوفيق في أمور الدين، وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصر والتأييد. (٦)

وذهب بعض المفسرين إلى أن البال هنا: القلب.

قال ابن عطية: وتحرير التفسير في اللفظة انها بمعنى الفكر والموضع الذي فيه نظر الإنسان وهو القلب فإذا صلح ذلك صلحت حاله فكأن اللفظة مشيرة إلى صلاح عقيدتهم وغير ذلك من الحال تابع.<sup>(٧)</sup>

قال ابن عاشور: وإصلاح البال يجمع إصلاح الأمور كلها لأن تصرفات الإنسان تأتي على حسب رأيه فالتوحيد أصل صلاح بال المؤمن ومنه تنبعث القوى المقاومة للأخطاء والأوهام التي تلبس بها أهل الشرك وحكاها عنهم القرآن في مواضع كثيرة والمعنى: أقام أنظارهم وعقولهم فلا يفكرون إلا صالحا ولا يتدبرون إلا ناجحا.<sup>(٨)</sup>

#### الوجه الثاني:

- التهديد والوعيد بعدم إصلاح عمل المفسدين. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصَلِّحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾

قال الخازن: يعني لا يقويه ولا يكمله ولا يحسنه.<sup>(٩)</sup>

والآية وإن جاءت في السحرة خاصة إلا أنها عامة في غيرهم فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو معلوم.

قال الشوكاني: أي عمل هذا الجنس فيشمل كل من يصدق عليه أنه مفسد ويدخل فيه السحر والسحرة دخولا أوليا.<sup>(١٠)</sup>

#### الوجه الثالث:

- إصلاح عمل المؤمنين نتيجة للتقوى والقول السديد. ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾

قال ابن سعدي: يأمر تعالى المؤمنين بتقواه، في جميع أحوالهم، في السر والعلانية، ويخص منها ويندب للقول السديد، وهو القول الموافق للصواب أو المقارب له عند تعذر اليقين من قراءة وذكر وأمر بمعروف ونهي عن منكر وتعلم علم وتعليمه والحرص على إصابة الصواب في المسائل العلمية، وسلوك كل طريق يوصل لذلك، وكل وسيلة تعين عليه. ومن القول السديد: لين الكلام ولطفه في مخاطبة الأنام، والقول المتضمن للنصح، والإشارة بما هو الأصح. ثم ذكر ما يترتب على تقواه، وقول القول السديد فقال: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أي: يكون ذلك سببا لصلاحها، وطريقاً لقبولها؛ لأن استعمال التقوى تتقبل به الأعمال كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾، ويوفق فيه الإنسان للعمل الصالح، ويصلح الله الأعمال أيضاً بحفظها عما يفسدها وحفظ ثوابها ومضاعفته. كما أن الإخلال بالتقوى والقول السديد سبب لفساد الأعمال وعدم قبولها وعدم ترتب آثارها عليها.<sup>(١١)</sup>

#### الوجه الرابع:

- إصلاح حال الإنسان بسبب الطاعة والمساورة في الخيرات و التضرع لله و دعائه في كل الأحوال كما في حال زكريا وزوجه ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾.

فالضمير (إِنَّهُمْ) يرجع على الأنبياء السابق ذكرهم وما امتن الله به عليهم وزكريا من جملتهم، وخص بعض المفسرين الضمير بزكريا وأهله.<sup>(١٢)</sup>

أما ما كان الفعل فيه صادراً من العبد فقد جاءت الآيات مشتملة على ما يلي:

١ - الأمر بالإصلاح بعد بالتوبة وهو أكثر ما تكرر، وفيه أن التائب من الذنب منتقل من حال الفساد إلى حال الصلاح وقد يكون في حال فساده أساء إلى نفسه أو غيره فنبه على أنه يلزمه مع التوبة إصلاح ما فسد من ترك الذنوب وإعادة المظالم إلى أهلها وإزالة أثر الذنب أيًا كان.

٢ - الأمر بالإصلاح بين الناس والحث عليه وبيان فضله ومكانته، وجاءت في هذا آيات باهرات تنطق بعظمة هذا الدين القائم على المحبة والتآلف وإزالة أسباب الكراهة بين الناس وحقن دمائهم وحفظ مجتمعاتهم من التمزق وحفظ أسرهم من التفكك وانظر الآيات السابقة في سور البقرة، و النساء، و الأنفال، والحجرات.

٣ - العدل والقسط أساس الصلاح و المصلح لابد أن يتصف بذلك وإلا ما عدّ مصلحا ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ وتأمل في تذييل الآية ومقدار ما حدثه في النفس من الحرص على تحري القسط والعدل في كل الأمور.

٤ - التحذير من سبيل المفسدين ومن مآل أحوالهم، وفي قصة تسعة الرهط من قوم صالح الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون وما آلوا إليه هم وقومهم من الهلاك الشنيع دليل واضح على عواقب الفساد.

٥ - الإصلاح وصية النبيين كما أوصى موسى أخاه هارون ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ودعاء الصالحين ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾.

### ومما جاء بصيغة اسم الفاعل:

قوله تعالى في سورة البقرة ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾

وقوله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَيْتَكُم ۖ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

وقوله تعالى في سورة الأعراف ﴿وَالَّذِينَ يَمَسُّكُونَ بِالْكَتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُنْصِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾

وقوله تعالى في سورة هود ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾

وقوله تعالى في سورة القصص ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالِ يَمْوَسَىٰ أَتُرِيدُ

أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۗ إِنَّ تُرِيدُ لَأَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾

وقد اشتملت الآيات على معانٍ عظيمة، منها:

- ١- التمسك بالكتاب وإقامة الصلاة أساس تكوين المصلح وبغيرها لا يكون مصلحاً.
- ٢- الإصلاح سبب من أسباب النجاة من العذاب وتركه سبب العقوبة.
- ٣- أهل الباطل هم من كبار المفسدين ومع ذلك لا يشعرون بفسادهم وإفسادهم وذلك بسبب ختم الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم.
- ٤- إذا اشتبه على البشر المصلح من المفسد؛ أو لبس المفسد لباس المصلح فإن الله سبحانه قد أحاط بكل شيء علماً وهو يعلم المفسد من المصلح، وهذا تنبيه لأهل الغفلة، وتهديد لأهل الزيغ و العناد.
- ٥- الابتلاء يصيب المصلحين، فقد تحصل الإساءة ممن أحسن إليه، فلا يحمله ذلك على ظلم المسيء، لأن المصلح ينتظر الأجر من الله لا من الناس كما في قصة موسى مع قاتل القبطي في سورة القصص.

### ومما جاء بصيغة المصدر:

قوله تعالى في سورة البقرة ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي تَمَنَّى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وقوله ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوْلِهِنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

وقوله تعالى في سورة النساء ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ وقوله ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجُوبِهِمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيَّنَّ النَّاسَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ أَجْرًا غَيْرَ مَرْضَاتٍ اللَّهُ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

وقوله تعالى في الأعراف ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ وقوله ﴿وَإِلَىٰ مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ تَكْوِيمًا بِكِنَانَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَآوُوا إِلَى الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَمْشِيَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى في سورة هود ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

وقد اشتملت الآيات على معانٍ عظيمة، منها:

#### ١ - النهي عن الإفساد في الأرض بعد إصلاحها.

و في المقصود بقوله (بَعْدَ إِصْلَاحِهَا) أقوال:

قال ابن الجوزي: فيه ستة أقوال: أحدها: لا تفسدوها بالكفر بعد إصلاحها بالإيمان، و الثاني: لا تفسدوها بالظلم بعد إصلاحها بالعدل، و الثالث: لا تفسدوها بالمعصية بعد إصلاحها بالطاعة، و الرابع: لا تعصوا فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم بعد أن أصلحها بالمطر والخصب، و الخامس: لا تفسدوها بقتل المؤمن بعد إصلاحها ببقائه، و السادس: لا تفسدوها بتكذيب الرسل بعد إصلاحها بالوحي. <sup>(١٣)</sup>

قال القرطبي: نهى عن كل فساد قلّ أو كثر بعد صلاح قلّ أو كثر، هو على العموم على الصحيح من الأقوال. <sup>(١٤)</sup>

قال ابن عاشور: والتصريح بالبعدية هنا تسجيل لفظاعة الإفساد بأنه إفساد لما هو حسن ونافع فلا معذرة لفاعله ولا مساغ لفعله عند أهل الأرض. <sup>(١٥)</sup>

#### ٢ - تفيض آية سورة البقرة عن اليتامى بالرحمة بهم وتحث على إصلاح أحوالهم ومراعاة ضعفهم مما يؤكد عظمة هذا الدين ورحمته بالعالمين.

قال ابن عاشور: ووصف الإصلاح بـ(لَهُمْ) دون الإضافة إذ لم يقل إصلاحهم: لئلا يتوهم قصره على إصلاح ذواتهم؛ والمقصود هنا جميع الإصلاح لا خصوص إصلاح ذواتهم، فيشمل إصلاح ذواتهم وهو في الدرجة الأولى، ويتضمن ذلك إصلاح عقائدهم وأخلاقهم بالتعليم الصحيح والآداب الإسلامية ومعرفة أحوال العالم، ويتضمن إصلاح أمزجتهم بالمحافظة عليهم من المهلكات والأخطار والأمراض وبمداواتهم ودفع الأضرار عنهم بكفاية مؤنهم من الطعام واللباس

والمسكن بحسب معتاد أمثالهم دون تقتير ولا سرف، ويشمل إصلاح أموالهم بتنميتها وتعهدتها وحفظها.<sup>(١٦)</sup>

٣- عناية الإسلام بالأسرة والحفاظ عليها، فإذا ما تأزمت الأمور قبل حصول الطلاق فإن الحكمين القاصدين للإصلاح يجعل الله التوفيق حليفهما، وإذا ما وقعت الفرقة والطلاق أعطى الإسلام الحق للزوج برد زوجته إن أراد الإصلاح بها لا الإضرار.

٤- الإصلاح شعار الأنبياء والصالحين يمثله قول النبي شعيب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾.

٥- الإصلاح بين الناس من أجل الأعمال وأفضل القربات، والإصلاح المقبول هو ما كان مقترناً بالإخلاص.

فهذه هي المواضع التي جاء فيه لفظ الإصلاح باشتقاقاته المختلفة، وبيننا فيها ما أحاط بها من الدروس العظيمة والدلالات القيمة بقدر ما يسمح به البحث؛ وإلا كل آية من الآيات يسعها أضعاف ما كتب هنا.

## المبحث الثاني

### المصلحون في القرآن الكريم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أنواع المصلحين في القرآن.

المطلب الثاني: صفات المصلحين في القرآن.

المطلب الأول: أنواع المصلحين في القرآن:

الإصلاح كلمة عظيمة وهدفها عظيم ولا يتصدى له إلا العظماء، وقد ذكر القرآن الكريم هؤلاء العظماء وخلد ذكرهم وأمرنا باتباع طريقهم وسلوك سبيلهم.

والمصلحون في القرآن نوعان:

النوع الأول: الأنبياء والمرسلون.

النوع الثاني: الصالحون من أتباعهم.

وسنفضل الكلام عن كل نوع في المطلب الثاني مستتيرين بآيات القرآن الكريم،

فنقول مستعينين بالله:

المطلب الثاني: صفات المصلحين في القرآن:

أولاً: صفات الأنبياء والمرسلين.

أرسل الله الرسل هداية البشرية وإخراجهم من الظلمات إلى النور ومن الشرك إلى التوحيد ومن الظلم إلى العدل، فاختار هؤلاء المرسلين من بين العباد، وخصهم بفضله وأعطاهم من الكمالات ما يؤهلهم لتحمل هذه المسؤولية العظيمة، فمن صفاتهم وخصائصهم:

١- ما سبق ذكره أنفاً من اصطفاء الله لهم واختيارهم من بين العالمين قال تعالى ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّكَ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿وَأَذْكُرْ عِنْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ ﴿وَأَيُّهُمْ عِنْدَنَا لِمَنِ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ ﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ فهذا الاصطفاء له مقتضياته من التسليم لهم بما جاؤوا به لأن الله سبحانه لا يختار لهذه المهمة العظيمة إلا من هو محل الثقة والجدارة، وهو أعلم بمن يصلح لها من الخلق كما قال في سورة الأنعام ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾.

٢- تأييدهم بالعصمة، لأن الخطأ في التبليغ عن الله لا تقوم معه دعوة ولا يصح معه دين ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾.

٣- تأييدهم بالبينات والآيات الدالة على صدقهم القاطعة لحجة الكافرين وهي نوعان كما ذكر الراغب في كتابه الذريعة لمكارم الشريعة حيث قال: لكل نبي آيتان:

إحدهما: عقلية، يعرفها أولوا البصائر من الصديقين والشهداء والصالحين ومن يجري مجراهم.

الثانية: حسية يدركها أولوا الأبصار من العامة.

فالأولى: ما لهم من الأصول الزكية، وصورهم المرضية، وعلومهم الباهرة، ودلائلهم المتقدمة عليهم والمستصحبة، وأنوارهم الساطعة التي لا تخفى على أولي البصائر، كما قال الشاعر في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بداهته تغنيك عن خبره

وأما الآية الثانية فهي المعجزة التي تدركها الحواس من الأنبياء، وذلك يطلبه أحد رجلين: إما ناقص عن معرفة الفرق بين الكلام الإلهي والكلام البشري، وعن إدراك سائر ما تقدم ذكره، فيحتاج إلى ما يدركه بحسه لقصوره عن إدراك ذلك.

وإما ناقص وهو مع نقصه معاند، فيقصد بما يطلبه العناد.<sup>(١٧)</sup>

٤ - الكمالات التي خصهم الله بها اقتضت أن يكونوا محل القدوة والأسوة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا﴾ ﴿وَذَلِكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (٨٢) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَرَكَرَبًا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦) وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٨٧) ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مَن عَبَادَهُ وَلَوْ اشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨) أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا آسَأَلُكُمْ

عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿

٥ - كونهم محل الأسوة والقدوة اقتضى منهم الالتزام الكامل بما أمر الله وعدم المخالفة له ﴿ قَالَ يَنْفَوْرُ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بِنْتٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْتِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَن أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَنكُم عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿

٦- التبرأ من الحول والقوة و تفويض الأمر لله و إعلان التوكل عليه، ولولا ذلك ما استطاعوا أن يقفوا بكل ثبات في وجوه مجتمعاتهم المائجة بالظلم والطغيان، وهذا درس عظيم للأتباع، ولأهميته أمرهم الله بإعلان ذلك قال تعالى ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ﴾ وقال عن نوح ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذَةٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وقال عن شعيب ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ وقال سبحانه مبيناً أنه منهج المرسلين ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَمَا كُنَّا لِنَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصَبِرَ عَلَىٰ مَا أَدْبَتُنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ والآيات في هذا كثيرة.

٧- الرحمة بالعالمين، فالرحمن الرحيم لم يرسل للبشرية إلا من يرحم عباده ويحسن إليهم ويسوقهم لرحمته ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

٨- الصبر وتحمل الأذى ذلك أن طريق الإصلاح مخوف بالمخاطر مزروع بالشوك، لأن المصلح يأتي بخلاف شهوات الناس ورغباتهم، فلا بد أن يواجهه في البداية ويقف أمامه أصحاب النفوذ والقوة وذلك يحتاج لصبر عظيم ﴿وَلَنْصَبِرَ عَلَىٰ مَا أَدْبَتُنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ و يأتي القرآن بأعظم توجيه للمؤمنين بالصبر وبيان أن النصر مع الصبر ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا

مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ ۗ  
أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿١٨﴾ ﴿١٩﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ  
وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٠﴾.

فهذه أبرز صفات المرسلين التي تؤهلهم للإصلاح وتجعلهم أئمة المصلحين المبلغين عن ربهم، وليس مقصود البحث ذكر خصائصهم كاملة؛ فخصائصهم تجل عن الوصف وتتأبى على الحصر ولكن نكتفي بما ذكر مما يخدم مقصد البحث، ونحيل القارئ على كتاب الله فإن فيه كفاية وشفاء.

#### ثانياً: صفات الصالحين المصلحين.

يسلك المصلحون من أتباع الرسل طريقهم، ويتحلون بصفاتهم، وكلما كان المصلح متمسكاً بنهجهم كانت دعوته أصوب وأنجح، لذا فإن ما ذكر من صفات الأنبياء - ماعدا العصمة - تنطبق عليهم في الجملة وتختلف باختلاف مراتبهم ومنازلهم عند الله، فكلما كان التمسك أكبر كانت المنزلة أعظم والأثر أكبر.

والمصلحون من أتباع الرسل ذكروا في القرآن بطريقتين:

الأول: طريق عام، يمثله لفظ (المؤمنون) وما شاكله في المعنى.

الثاني: طريق خاص، بذكر أسماء المصلحين صراحة كلقمان<sup>(١٨)</sup>، أو ذكر صفاتهم كمؤمن آل فرعون.

ومن صفاتهم التي ذكرت في القرآن: أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وهو

الإصلاح ذاته.

وقد جاء وصف المؤمنين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في آيات عدة فمنها: قوله تعالى في سورة التوبة ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ فهذه الآية اشتملت على عدة صفات لهم منها الولاية للمؤمنين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والطاعة المطلقة، وهذه الصفات من أعظم صفات المصلحين، ومما يلاحظ هنا تقديم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للدلالة على أهميته وفضله، و أنه مع ولاية المؤمنين بعضهم لبعض يحصل به الإصلاح المنشود الذي يعم نفعه، والتعبير بولاية المؤمنين بعضهم لبعض مهم في بيان أن الاجتماع ضروري للإصلاح، والتفرق والتشردم سبب في ضياع الجهود والفشل والضعف والهزيمة كما قال تعالى في الأنفال ﴿ وَلَا تَنْزِعُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا بِخَالِفِينَ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ لِلنَّاسِ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

ومن الآيات في وصف المؤمنين بهذه الصفة ما جاء في التوبة أيضاً ﴿ التَّائِبُونَ الْعَمَدُونَ الْحَمْدُونَ السَّاجِدُونَ الزَّكَاةَ الْمُرْسَلِينَ الْآمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ بل إن الله تعالى أعلن خيرية هذه الأمة بأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر ليبين أنها أمة صلاح و إصلاح حيث قال ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ فالحاصل أن صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صفة لازمة للأمة وأفرادها ماداموا متمسكين بها فإن فرطوا فيها زال عنهم وصف الخيرية

فهي خيرية مشروطة كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند هذه الآية: يأبها الناس، من سره أن يكون من تلك الأمة، فليؤد شرط الله منها. (١٩)

وبين سبحانه أن من صفات المصلحين عند تمكنهم في الأرض إقامة شعائر الله وتمكين الناس من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى في سورة الحج ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ أَلِيمٌ﴾ فلا يصلح أمر الناس إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو الإصلاح الشامل الذي نحن بصدد الحديث عنه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: صلاح العباد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن صلاح المعاش والعباد في طاعة الله ورسوله، ولا يتم ذلك إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبه صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس. (٢٠)

و لذلك أمرهم سبحانه به في سورة آل عمران حيث قال ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم مبيناً ارتباط تغيير المنكر بالإيمان: من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان. (٢١)

وهذا الحديث مع الآيات السابقة يعطي الأمة حركة دائمة دوّوب لتغيير الفساد أيّاً كان مصدره، مع حفظ المقامات في ذلك بين مصلح قوي يقوى على تغيير المنكر بيده وآخر ضعيف ينكر بقلبه وآخر بينهما لا يستطيع سوى بلسانه، و في كل خير، ولا أحد يعذر بعد المرتبة الثالثة، ولهذا تفاصيل وفروع محلها كتب الفقه.

وكما أنّ دعوات الأنبياء تبدأ بالتوحيد فكذلك دعوات أتباعهم، انظر إلى قول العبد الصالح لقمان لابنه في أولى وصاياه ﴿وَإِذْ قَالَ لِقْمَنُ لِبْنِهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ ۚ يَبْنِي لَكَ شَرِيكَ

بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿٢١﴾، وقول مؤمن آل فرعون ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ  
 فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ  
 يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ، وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ  
 هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾، وقول صاحب القرية التي كذبت المرسلين ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ  
 رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٢﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ  
 ﴿٢١﴾ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٣﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ  
 بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٤﴾ إِنْ يَئْتِ إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٥﴾ إِنَّ  
 ءَأَمَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ ﴾ أمثلة رائعة للمصلحين يتبين فيها صفاتهم من الصبر  
 والحكمة والرحمة بالخلق والقدرة على الإقناع والدعوة بالتي هي أحسن والصدع  
 بالحق والتضحية بالنفس في سبيله والثبات على الحق تصلح نبراساً وهدياً يتبعه  
 المصلحون في كل زمان ومكان.

ومما يلاحظ أيضاً اقتران الإصلاح المعبر عنه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر  
 بالصلاة في آيات عدة منها آيتا التوبة ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ  
 يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ  
 وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ والآخري  
 ﴿التَّائِبُونَ الْعَمَدُونَ الْحَمْدُونَ الرَّكِعُونَ السَّجِدُونَ  
 الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾  
 وآية الحج ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَحْمَقُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ  
 وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ ﴾ وآية لقمان ﴿ يَبْنِي أَقْرِبَ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ

وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٢٢١﴾ ففقرن بين الإصلاح والصلاة وبينه وبين الزكاة في بعض الآيات فما السر في ذلك؟ الإجابة عن هذا تأتي من القرآن نفسه حيث يقول تعالى في سورة العنكبوت ﴿٢٢٢﴾ أَتَلُّ مَا نُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٢٢٣﴾ وقوله في الزكاة في سورة التوبة ﴿٢٢٤﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ فالصلاة والزكاة تزيان النفس وتحملانها على الكمالات وهو ما يحتاج المصلح إليه بشدة، ذلك أن الطريق مخوف بالمصاعب والمتاعب ولا يخفف وطأتها خير من الصلاة التي هي عبادة تسمو بالنفس عن الرذائل وتكسبها الفضائل ﴿٢٢٦﴾ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٢٢٧﴾.

قال البيضاوي: والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلًا على الله أو بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات؛ لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس، والتوسل بالصلاة والالتجاء إليها فإنها جامعة لأنواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه إلى الكعبة والعكوف للعبادة وإظهار الخشوع بالجوارح وإخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الأطييين حتى تجابوا إلى تحصيل المآرب وجبر المصائب (٢٢٢).

قال ابن كثير: إن الصلاة من أكبر العون على الثبات في الأمر. (٢٢٣)

وكان صلى الله عليه وسلم إذا حزبه شيء فزع إلى الصلاة. (٢٢٤)

و أما الزكاة فلأنها عبادة مالية تنزع شح النفس وأثرتها وتربى المصلح على

البذل ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

### المبحث الثالث

#### موقف الناس من الإصلاح في القرآن

وفيه مطلبان:

**المطلب الأول: موقف الناس من الإصلاح في القرآن.**

**المطلب الثاني: أحوال المستهدفين من الإصلاح في القرآن.**

**المطلب الأول: موقف الناس من الإصلاح في القرآن.**

الناس في تقبلهم للإصلاح أنواع: فمنهم من يتقبل الدعوة قبولاً حسناً بتوفيق الله تعالى له أو بما أعطاه الله من القدرة على التمييز بين الحق و الباطل. ومنهم من تقصر به بصيرته فيحتاج إلى الأدلة الحسية من الآيات، وهناك الكافر المعاند المحارب للحق وهناك غير المعاند، فليس كل من تلبس بنوع من الفساد معاند مكابر بل إن منهم الجاهل والغافل وذا الشبهة والمتأول، ونحن نقصد بالبحث المستهدفين بالإصلاح، وهم فريقان:

الأول: المعاند والمكابر.

الثاني: غير المعاند.

وسنذكر صفات الفريقين التماساً من آيات الكتاب العزيز في المطلب الثاني

بعون الله وتوفيقه.

**المطلب الثاني: أحوال المستهدفين بالإصلاح في القرآن.**

لما كانت النفس مولعة بحب الشهوات متصفة بالأثرة مفرطة في الأمر بالسوء

كما أخبر المولى سبحانه عنها في القرآن وقعت المعاصي وظهر الفساد بسبب ذلك

فمستقل ومستكثر.

فكان الناس المستهدفون بالإصلاح في واقع الأمر صنفين: معانداً وغير معاند، فسندكر أحوال الصنفين كما جاءت في القرآن.

### الصنف الأول: المعاندون.

وهؤلاء يمكن تقسيمهم إلى قسمين: رؤساء وأتباع.

فأما الرؤساء فهم الذين تولوا كبر الفساد ودافعوا عنه وقاوموا دعوات الرسل، وقد عبر عنهم القرآن بالملأ، ووصفهم بأوصاف أظهرها وصفان: الكفر والاستكبار، قال تعالى في سورة الأعراف عن قوم هود ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ وقال في نفس السورة عن قوم شعيب ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِمَنْ أَمَنَّ مِنْهُمْ اتَّعَلَمُونَ أَنَّ صَاحِبَهُمْ مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾، و لا يستنكف هؤلاء عن إصاق كافة أوصاف السوء بالمصلحين من الرسل كوصفهم بالسحر أو الجنون قال تعالى في سورة الذاريات ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ اتَّوَصَّوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ أو إتهامهم بالرغبة في إفساد الحياة وإخراج الناس من أرضهم قال تعالى في سورة الأعراف ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّكَ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِكَ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ وفي الأعراف أيضاً ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْتَ مُوسَى وَفَوْمُهُ لِيَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرِكَ وَءَالِهَتِكَ قَالَ سَنُقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾، و لا يكفون عن التحريض عليهم بالقتل أو الإخراج كما قال سبحانه في سورة الأعراف ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ ﴾، و لا يكفون عن

السخرية منهم والانتقاص من شأنهم قال تعالى في سورة هود ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَزَّلْنَا إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَزَّلْنَاكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا لَنَا بِدَى الرَّأْيِ وَمَا نَزَّلْنَا لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَنْظُرُكُمْ كَذِبِينَ ﴾ وقال في سورة الزخرف ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأُ مَقْتَرِينَ ﴾ وهم مع ذلك يتواصون فيما بينهم بالصبر على الباطل الذي هم فيه لا لأنه الحق بل للعناد والاستكبار والعلو في الأرض والظلم قال تعالى في سورة الأنعام ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتُوا اللَّهَ بِمَجْحَدُونَ ﴾ وقال في سورة النمل ﴿ وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَفِئْتَهَا أَنْفُسَهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ وقال سورة في ص ﴿ وَأَنْطَلِقُ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمِسُوا وَاصِرُوا عَلَىٰ أَيْهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾، ولا يتردد هؤلاء وبكل صفاقة بوصف أنفسهم بالإصلاح إما استهزاءً أو بسبب ختم الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾، ويصفون المصلحين بالضلال المبين والسفاهة قال سبحانه في سورة الأعراف عن قوم نوح ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ وقال فيها عن قوم هود ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾، ومن صفاتهم التعنت وعدم قبول الحق لأن الحق ثقيل على نفوسهم

بسبب ما فيها من الكبر وبطر الحق كما قال في سورة يونس ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ١٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿١٧﴾

فهذه بعض صفاتهم وأفعالهم التي جاءت في القرآن وفي سور البقرة والأعراف والتوبة وهود والشعراء جملة كبيرة من صفاتهم وأفعالهم التي تبين مدى بعدهم عن قبول الحق وتعنتهم مع أنبيائهم الذي أوردتهم المهالك واستحقوا بسببه الهلاك الشامل والخسران في الدنيا والآخرة.

ولذلك فإن هذا الصنف من المعاندين لا يؤمنوا ولا يلتزموا بشرائع الأنبياء إلا من رحم الله وهم قلة، ولذلك لجأ الأنبياء في نهاية الأمر و بعد إقامة الحجة عليهم إلى طلب نزول العذاب عليهم أو إلى مجاهدتهم وقتالهم، وكانت العاقبة للمتقين والنصر حليف المصلحين المؤمنين، قال تعالى في سورة غافر ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ فليس على المصلحين سوى الثبات وإن وقع لهم الابتلاء فتلك سنة الله الماضية والنصر حليفهم والله معهم.

ويلحق بهؤلاء الرؤساء أتباعهم من العامة المطيعين لهم فيما يأمرونهم به من معاداة المصلحين وقتالهم والوقوف في وجه الدعوة بكل شكل، و قد سماهم القرآن ﴿الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا﴾ و ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾.

وقد بين القرآن حال هؤلاء في الآخرة ومدى حسرتهم لا تباعهم الملاء المستكبرين عند تبرؤهم منهم ورؤيتهم العذاب وتقلبهم فيه، بينه أجمل بيان وأوضحه غاية الوضوح مصوراً حالهم الرهيب الذي تقشعر له الأبدان وتنخلع له الأفتدة؛ فالعذاب دائم والنار مستعرة والخصم هنا رب العالمين، فيالله من يملك قلباً لا ينخلع من تلك المواقف المرعبة والأحوال المفزعة قال تعالى في سورة البقرة ﴿وَمِنَ النَّاسِ

مَنْ يَخْذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿٣٥﴾ إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنْ رَأْوِ الْعَذَابِ وَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرَأُ فَنَتَّبِعُ مَنَّهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِي سُورَةِ سَبَأٍ ﴿٣٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضِعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنَّمْ لَكُم مَوْمِنِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضِعُّوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضِعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْدَلَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ ﴿٤٢﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٤٣﴾ خٰلِدِينَ فِيهَا أَلَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٤٤﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يٰلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٤٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿٤٦﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾

وهذا البيان من الله لهؤلاء ليحذروا من سلوك سبيل المفسدين المفضي إلى هذه العاقبة المريرة والحال المخزية، فإن كل من كان له قلب سيخاف ويقلع ويتعظ ويعتبر، ومن لا يتعظ بالقرآن فلا واعظ له والله المستعان.

#### الصنف الثاني: غير المعاندين.

وهؤلاء لم تنطو قلوبهم على الخبث والكفر والعناد بل هم إما في غفلة سادرة أو في شهوة غامرة أو جهالة مستحكمة، فما إن يبين لهم السبيل ويتضح لهم الطريق حتى يسلكوه تائبين نادمين خاضعين غير معاندين، وهم من هذه الأمة ومن غيرها.

فهذا حال أتباع الرسل الذين كانوا في جاهلية جهلاء و ضلالة عمياء، فلما أشرقت عليهم شمس الإسلام أضاءت قلوبهم وأشرقت نفوسهم وصارت دواخلهم عامرة بعد أن كانت خراباً، وصاروا أئمة الإصلاح بعد أن كانوا في لوثة الفساد، فطهروا العالم من حولهم، وبدلوا في سبيل ذلك أموالهم ومهجهم، فما أعظم هذا الدين وما أحسن شرائع المرسلين.

قال تعالى في سورة المائدة عن بعض النصارى من أهل الكتاب ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ ولتجدت أقربهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصكري ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون ﴿٨٢﴾ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فأكتبنا مع الشهداء ﴿٨٣﴾ وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ﴿٨٤﴾ فأنبهم الله بما قالوا جنت تجرى من تحتها الأنهار خلدن فيها وذلك جزاء المحسنين ﴿٨٥﴾ وقال سبحانه في سورة الصافات عن مجلس من مجالس أهل الجنة يتجادبون فيه أطراف الحديث مستمتعين بالنعيم الذي يتقلبون فيه ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَتَىكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَذًا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْ تَأْمُرُهُمُ الْمَلَائِكُوتُ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَدَّيْنَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَوْمُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾

فستان بين الفريقين فريق في الجنة وفريق في السعير.

## المبحث الرابع

### قضايا الإصلاح في القرآن

#### تمهيد:

جاءت دعوات الرسل عند انتشار الفساد والظلم وكان هدفها الإصلاح الشامل لأحوال الناس في كل جوانب حياتهم، وكان مرتكز دعوات الرسل الحفاظ على الضرورات الخمس الدين والنفس والعقل والعرض والمال.

ويمكن تقسيم مجالات الإصلاح إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: العقائد والعبادات.

القسم الثاني: المعاملات.

القسم الثالث: الأخلاق والسلوك.

وسنبين في هذا المبحث هذه الأقسام الثلاثة بقدر الطاقة والحاجة، فإن كل قسم منها لا تستوعبه المجلدات الكبيرة فضلاً عن هذا المبحث الصغير، فنقول مستعينين بالله:

#### القسم الأول: العقائد والعبادات.

أساس الإصلاح هو الإصلاح العقدي ونعني به إصلاح العقائد الفاسدة وعلى رأسها الشرك بالله، ولذلك فإن أساس دعوة الرسل هو الدعوة للتوحيد كما قال تعالى في سورة النحل ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ وقال في سورة الأنبياء ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ وذلك تحقيقاً للغاية التي من أجلها خلق

الخلق وهي عبادته سبحانه من غير إشراك؛ قال سبحانه في سورة الذاريات ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ و الآيات في هذا كثيرة جداً.

وكذلك من الإصلاح العقدي التأكيد على الإيمان بالله الإيمان الكامل الذي ينجو به الإنسان من عذاب الله وهو الإيمان بأركانه الستة قال سبحانه في سورة البقرة ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ وقال فيها أيضاً ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، وقال صلى الله عليه وسلم في تعريف الإيمان في رده على سؤال جبريل في الحديث المشهور: قال يا رسول الله: ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ولقائه ورسوله وتؤمن بالبعث وتؤمن بالقدر كله. (٢٥)

وإذا حصل الإيمان في القلب سهلت التشريعات و التكاليف، ولذلك كان التركيز عليه في سنوات الإسلام الأولى فلم تشرع الفرائض إلا بعد الهجرة ماعدا الصلاة فقد شرعت قبلها بسنة ونصف (٢٦)، وفي هذا درس للمصلحين بعدم الإثقال على المدعويين لاسيما من كان حديث عهد بالإسلام حتى يتمكن الإيمان من قلوبهم، وهذا لا يعني عدم تعليمهم ما افترض الله عليهم بل المقصود الترفق بهم والصبر على تقصيرهم وتقوية الإيمان في نفوسهم.

أما العبادات فقد جاءت لتزكية النفوس وربطها ببارئها وهي نوعان: فرائض ونوافل، أما الفرائض فهي الحد الأدنى الذي لا يكون الإنسان بدونها مسلماً؛ وأما النوافل فهي للترقي في درجات الكمال الموصل إلى درجة الإحسان كما قال الله في الحديث القدسي: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته.<sup>(٢٧)</sup>

ولا شك أن هذا الإصلاح الرباني للإنسان بالالتزام بالعبادات له أثره على نفس المؤمن فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والصوم تربية للنفس بجسدها عن الشهوات والزكاة تربي على البذل والعطاء والحج جهاد عظيم لاقتال فيه، فالمؤمن يتقلب في الفضائل وهذا ينعكس إيجاباً على سلوكه وحركته في الحياة.

### ثانياً: المعاملات.

ويقصد بها الشرائع المنظمة لعلاقة الإنسان بغيره كالبيع والشراء و النكاح وحفظ الحقوق والدماء والعقول.

وقد كانت البشرية تموج بألوان الفساد في شتى نواحي الحياة فالتطفيف في الموازين و الربا وأنواع البيوع المحرمة والفواحش من الزنا وإتيان الرجال دون النساء والقتل والسرقه وقطع الطريق وظلم الناس وظلم النساء وحرمانهن من الميراث والوآد والتعدي على الحقوق كل ذلك وغيره كان مما يعكر صفو الحياة ويجرمها لذة الأمن ويجعلها تعيش حياة هي أقرب للبهيمية منها للإنسانية.

فاقتضت رحمة الله بعباده إزالة هذه المنكرات عنهم وتطهير مجتمعاتهم من درن الفساد وتحقيق العدل ورفع الجور، فجاءت الشرائع الإلهية المنظمة لذلك من حفظ الحقوق وصون الدماء والأعراض ورفع الظلم.

وقد كانت الشرائع في غاية النجاح في تحقيق الإصلاح وإزالة الفساد للأسباب

التالية:

١- لأن مصدرها هو الله خالق البشر العالم بما يصلحهم ويصلح لهم فهي ربانية المصدر.

٢- لأن المبلغ هم رسل الله خيرة البشر، والحامل لها من بعدهم عباد الله المخلصين الأخيار، ولك أن تتصور لو كان الحامل لها من الفجار والفساق هل يمكن أن تنجح!

٣- كونها ربطت بالإيمان و بالثواب و العقاب الدنيوي والأخروي، فالمؤمن عندما يمثل أمر الله في البيع والشراء مثلاً فإنه يستشعر مراقبة الله له ويخاف من عقابه ويخاف من الكسب المحرم ويعلم التأثير السيئ لهذا الكسب الفاسد على نفسه وأهله وماله فهناك روداع كثيرة تردعه عن ذلك الكسب، وكذلك السارق الذي رق إيمانه وطمحت نفسه للحرام عندما يعلم عاقبة أمره بقطع يده يردعه ذلك أشد الردع، وهكذا في سائر الأحكام يدور الأمر بين استشعار مخافة الله أو مخافة الردع الدنيوي.

وهذا يبين لنا مدى فاعلية المنهج الرباني في الإصلاح وتنقية المجتمع من شوائب الفساد ، إذ أن التشريعات البشرية تأخذ في الاعتبار الجانب المادي الدنيوي المحض فتشرع بالردع الدنيوي من غير التفات إلى الجانب الإيماني مما يجعل الفرد يفكر بالمخالفة عند الأمن من العقاب الدنيوي.

صحيح إن العقل و الضمير قد يردعان، ولكنه ردع محدود في مقابل سطوة الشهوة وتمكن الأثرة من النفس بخلاف الردع الإيماني الملازم لصاحبه في كل الأحوال.

٤ - كونها مبنية على العدل و القسط، فلا يمكن أن تجد في الشريعة أمراً يخالف العدل أو يدعو إلى الظلم أو يشرع الفساد قال تعالى في سورة النحل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۗ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فالشريعة بأحكامها ومقاصدها قائمة على العدل والقسط اللذين قامت عليه السماوات والأرض.

قال ابن القيم: فأخبر سبحانه أن القصد بالخلق والأمر أن يعرف باسمائه وصفاته ويعبد وحده لا يشرك به وأن يقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض كما قال تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۗ﴾ فأخبر سبحانه أنه أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل. (٢٨)

### ثالثاً: الأخلاق والسلوك.

يتصف التشريع الرباني بالشمول للحياة كلها، وإصلاح الجسد وإصلاح الروح، فكما عني الإسلام بجانب العقيدة وجانب التشريع كان للأخلاق حظ وافر من العناية بها في دعوات المصلحين.

فالإصلاح لا يتحقق إلا باكتمال جوانبه العقدية والتشريعية والأخلاقية، وبينهما ترابط وثيق وتداخل أكيد، فقيم الصدق والعدل والإيثار والحب وحسن الخلق وترك الفحش ومساعدة الضعيف و الرحمة والتبسم للأخرين و التعاون على الخير وإغاثة الملهوف وذي الحاجة والنظافة والحفاظ على البيئة والنزاهة والكرم

وغيرها مما اتفق العقلاء على حسنه وجاءت الشرائع به و التأكيد عليه بترتيب الثواب عليه تارة و بالوعيد على تاركة أخرى؛ كل ذلك هو من أساليب الإصلاح الربانية التي تقضي على الفساد وتهيء للأمة سبيل السعادة والصلاح.

إن آيات القرآن تفيض بالتربية الأخلاقية والوصايا السلوكية والحث على معالي الأخلاق بأسلوب بديع و بيان معجز وروعة تأخذ بالألباب وتأسر العقول وتؤثر في النفوس أيما تأثير، وليس وصفي هذا من باب الاندفاع العاطفي في المدح بل هو واضح لكل من قرأ القرآن وتدبره أو ألقى السمع وهو شهيد.

وإذا أخذنا خلق العفو كمثال وجدنا ما وصفنا آنفاً وما عجزت عن وصفه ألسنتنا، يقول تعالى في سورة آل عمران ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالضَّرَّاءِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿ وقال في سورة النساء ﴿إِن يُبَدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعَفُّوهُ عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ وقال في سورة الأعراف ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ وقال في سورة النور ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَيَلِصَفُحُوا أَلا يُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وقال في سورة الشورى ﴿وَجَزَّوْا سَبِيحَ سَبْتَةٍ مِّثْلَهَا مِمَّنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ وقال في سورة التغابن ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِتٍ مِّنَ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدْوَالِكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفُّوا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

فانظر كيف بين في الآية الأولى فضل العافين عن الناس وثوابهم العظيم.

وفي آية النساء كيف قدم العفو بطريقة عجيبة حيث بين أن العفو من صفات كماله سبحانه مع كمال قدرته فهو يعفو مع القدرة التامة، ومن يعف فإنما هو مقتد بالصفة الإلهية وكفى به فضلاً ومنزلةً.

وفي آية الأعراف جاء الأمر بالعفو بطريقة لم تعهد فالأخذ لا يكون إلا لشيء محسوس فاستخدم الاستعارة في أبهى حلة وأجمل تعبير فأمره بأخذ العفو من أخلاق الناس بحيث لا يشق عليهم ولا يرهقهم كما ذكر أهل التفسير.

وفي آية النور أمر بالعفو حتى لمن أساء إلى الآخرين، ولأن فيه صعوبة حث عليه بالوعد بالمغفرة وختم الآية بصفتي الغفران والرحمة ليقتد المؤمن بهما.

وفي آية الشورى أمر بالعدل أولاً وهو جزاء السيئة بمثلها ثم أتبعه بالفضل وهو العفو، و بين أن أجره على الله؛ وهذا فيه ما فيه من الترغيب فمن كان أجره على الله أعطاه الله حتى يرضيه لأنه تنازل عن حقه لله سبحانه وهو أكرم الأكرمين.

وفي آية التغابن يأمر سبحانه بالعفو عن الأهل والأولاد بطريقة عجيبة لطالما استوقفتني عند قراءتها وهي تكرار لفظ العفو ومرادفاته (العفو، الصفح، الغفران) والظاهر أن ذلك لكثرة مخالطة الأهل والأولاد ولتكرر الخطأ منهم ولتأكد العفو عنهم أكثر من غيرهم إذ في العفو عنهم حفاظ على الأسرة من التشتت، وفيه أيضاً تربية لهم على هذا الخلق الكريم.

هذا مثال فقط لكيفية معالجة الجانب الأخلاقي والسلوكي للإنسان وتأثيره في صلاح المجتمع وبث روح التسامح والمحبة فيه، لم نستوعب الحديث فيه لطوله واكتفينا منه بما يصلح شاهداً.

وقد مدح الله رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه بعظيم خلقه حيث قال في سورة القلم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٢٩)</sup> وحين سُئِلت عائشة عن خلقه قالت: كان خلقه القرآن.<sup>(٢٩)</sup>

وقد حث النبي على حسن الخلق في أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم: إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً.<sup>(٣٠)</sup>

وقوله عليه الصلاة والسلام: إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإنَّ أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون، قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون.<sup>(٣١)</sup>

وقوله صلى الله عليه وسلم: أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه.<sup>(٣٢)</sup>

فهذه الأحاديث مع تلك الآيات تكون نفوساً مهيأة للإصلاح والإصلاح بعيدة عن الفساد وبقدر تمسك الإنسان بها يكون صلاحه.

## المبحث الخامس

### منهجية الإصلاح في القرآن

#### تمهيد:

من المعلوم أن كل عمل ناجح في حجم عمل المصلحين من الأنبياء والرسل والتي تغير فيه وجه الحياة الكالح إلى وجهها المشرق لا يمكن أن يكون عشوائياً بل لابد أن يكون ضمن منهجية واضحة ناجحة مثمرة، وهذا ما نحاول أن نسلط الضوء عليه في هذا المبحث فنقول مستعينين بالله:

لا يخفى على كل قارئ لكتاب الله عظمة دعوات الرسل وبالأخص منها دعوة خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم، ومدى تأثيرها الإيجابي في مسار البشرية، فهي مع تأثيرها الكبير في وقتها مازالت مستمرة متواجدة متجددة مؤثرة مما يدل بشكل أكيد على نجاحها، وقد كان لهذا النجاح أسبابه المنهجية ومنها:

#### أولاً: وضوح الرؤيا والهدف.

فالهدف هو إصلاح البشرية بتعبيدها لله سبحانه وتعالى والخضوع لأمره، فقضية الإصلاح الشامل هي الهدف، يمثله قول النبي شعيب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ﴿إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾.

#### ثانياً: العلم.

لا يكفي أن يكون الهدف واضحاً حتى يجتمع معه العلم، والعلم عند الأنبياء مصدره رباني، فهو معصوم، وبالتالي لا احتمال للخطأ فيه، فكل ما كان الاصلاح مصدره رباني كان أنجح في معالجة الفساد، قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام وهو

يخاطب أباه ﴿يَتَأْتِيَنِي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ وقال عن لوط عليه السلام ﴿وَلَوْ طَأَّ آئِنَتُهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ وقال عن داود وسليمان عليهما السلام ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وقال عن يوسف عليه السلام ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ وقال عن موسى عليه السلام ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَأَسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ وقال عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَلَكِنَّ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الْظَالِمِينَ﴾.

وحقيقة هذا العلم تشتمل على:

- القدرة التامة على تحديد المشكلة.
- الرؤية الواضحة للحل.

و نجد ذلك بوضوح في مناظرات الأنبياء التي أوردها القرآن، فهم يملكون قدرة كاملة على تحديد الخلل، و يملكون حجة قوية لدفعه وردّه، ويمكن أن نضرب مثالين على هذا بمناظرة إبراهيم لقومه التي أوردها القرآن في سورة الأنعام وسورة الأنبياء وسورة الصافات، و بمناصحة مؤمن آل فرعون لقومه التي ذكرت في سورة غافر.

فالمصلح يحتاج إلى الإعداد العلمي الذي يمكنه من معرفة أحكام الله تعالى في الوقائع والأمر والتي بجهلها يكون الإصلاح ناقصاً أو خطأً، وقد يأتي بصد المقصود.

### ثالثاً: الزهد فيما عند الناس وعدم طلب الأجر على الدعوة.

فالمصلح متى ما كان متطلعاً لشيء من الدنيا أو لما عند الناس أو لتحصيل مصلحة خاصة أو لطلب رياسته وجاه فإن تأثيره يقل أو ينعدم، لأن الناس لا تثق بمن

كانت هذه صفته، ولأن مقتضى الإصلاح يتعارض مع هذه التطلعات، فبدلاً من أن يسعى المصلح لمعالجة الفساد والوقوف في وجهه ينصرف إلى تحصيل تلك المنافع الدنيوية التي قد تكون مشروعة وقد تكون غير مشروعة، والناقد عينه بصيرة والناس تميز بين الصادق والكاذب ولو حاول الكاذب التلبس بلباس الصادق.

وقد كان الزهد هو صفة أنبياء الله كما أخبر الله عنهم فكلهم يقول ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١﴾ كما في سورة الشعراء وغيرها من السور مما يؤكد هذه الخصلة كمنهجية متبعة عند الرسل.

#### رابعاً: الإرادة القوية والثبات على المبدأ.

و لا يكفي لنجاح أي دعوة أن تمتلك الرؤية الواضحة للمشكلة والعلم الكافي للحل حتى تجتمع معهما الإرادة القوية للتغيير والإصلاح، وهذه سمة مشتركة بين كل المصلحين، هذه الإرادة القوية وقفت أمام الصعاب بكل ثبات وقوة وتجاوزتها من غير لين أو تنازل عن المبدأ، انظر إلى فعل إبراهيم عليه السلام كيف ثبت في موقفه متحدياً الموت عندما ألقاه قومه في النار حيث قال تعالى في سورة الأنبياء ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ومثله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حينما ساومه قومه على أن يعبدوا آلهته سنة ويعبد آلهتهم أخرى فأنزل الله ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُوتُ﴾ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٣٣﴾ إنه غاية الثبات في وجه المغريات إذا علمنا أيضاً أنهم عرضوا عليه الملك والمال والنساء وهددوه بالقتل وحاصروه في الشعب وقتلوه ولم يردده ذلك عن دعوته ولم يركن إليهم طرفة عين، قال تعالى في

سورة الإسراء ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِئَفْتَرِيَ عَلَيْنا غَيْرَهُ وَإِذَا لَاتَّخَذُوكَ حَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ فغاية المفسدين أن يستجيب لهم أهل الإصلاح في شيء من فسادهم حتى يكون مدخلًا عليهم وحقبة، فمن أقر الفساد في شيء لا يحق له أن يمنعه في شيء آخر، ولذلك عصم الله نبيه عن تلك المزالق، وكل داعية للإصلاح لابد له من الإرادة القوية والثبات على المبدأ، لأن تزعزع الإرادة إيذان بزوال الدعوة.

و هذه الإرادة القوية تنتج عن:

- اليقين المطلق بما عند الله، والثقة به، والتوكل والاعتماد عليه.
- الاقتناع التام بالقضية.

ولذلك كان الأنبياء أكثر الناس عزمًا وإرادة ثم من دونهم بحسب درجاتهم، فقد وقف هود أمام قومه متحديًا تحدي الواثق بربه كم أخبر الله عنه في سورة هود حيث قال ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُ أَيَّ بَرِيٍّ مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُوا فِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴾.

#### خامساً: الفقه والبصيرة في التعامل مع الأمور.

يحتاج الإصلاح لكي يكون ناجحًا لكثير من الفقه والفهم والإدراك لحقائق الأمور ومآلاتها، وهذا ما تميز به الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه، وقد أمر الله

رسوله بالإخبار بذلك حيث قال سبحانه في سورة يوسف ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١﴾ وهذا الأمر الرباني إعلان منه بأن الدعوة والإصلاح لا يقومان إلا على البصيرة وهي مرتبة متقدمة في العلم لا يكتفى فيها بما تدلي به الحواس حتى يصاحبها قوة إدراك قلبية تميز بين الحق والباطل وتضع الأمر في محله.

قال الرغب في تعريفها: ويقال لقوة القلب المدركة: بصيرة. (٣٤)

قال الشوكاني: والبصيرة: المعرفة التي يتميز بها الحق من الباطل. (٣٥)

قال ابن كثير في تفسيره للآية: يقول تعالى لرسوله إلى الثقلين الإنس والجن آمراً له أن يخبر الناس: أن هذه سبيله، أي: طريقه ومسلكه وسنته؛ وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي. (٣٦)

ومن مظاهر وسمات الفقه والبصيرة:

## ١- التوازن.

ونعني به وضع الأمور في نصابها بحيث لا يطغى جانب على جانب، وهذا ما سماه القرآن: الحكمة وفيها يقول الله تبارك وتعالى في سورة النحل ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿١٠٠﴾ وقد أخبر الله في آيات كثيرة بأنه أتى أنبياء الحكمة وامتن عليهم بذلك لأن من يؤتاها فقد أوتي خيراً كثيراً كما قال في سورة البقرة

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

فالتوازن أمر مطلوب في الإصلاح وهو من أهم الأمور، ومثاله: التوازن بين متطلبات الروح والجسد، فإذا طغى جانب على آخر حدث الخلل، فإذا طالب المصلح الناس بالتبذل مثلاً وترك النكاح كان مخللاً بمراد الله ولو كان هدفه الانقطاع للعبادة وترك ما يشغل عنها؛ و كان مفسداً من حيث أراد الإصلاح، وفي الحديث: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنتم الذين قتلتم كذا وكذا؛ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني.<sup>(٣٧)</sup>

فهذه هي البصيرة وهذا هو الفقه وهذا هو التوازن، فصلى الله على خير البشر وسلم تسليماً كثيراً.

وفي واقعنا المعاصر أمثلة كثيرة للخلل في التوازن كمن ينصرف إلى أمور السياسة وينسى العلم والتزكية، والعكس فيمن انصرف للعلم والتزكية وترك مهمة إصلاح الناس والمجتمعات وسياستهم سياسة شرعية لا غلو فيها ولا تقصير، فكان أثر هذا الخلل من الطرفين واضحاً في المجتمعات الإسلامية في ظهور جماعات الغلو التي تكفر المجتمعات وتفجر وتقتل في بلاد المسلمين؛ وفي المقابل ظهور أشكال من التمييز للدين ومالأة الظالمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد تقدم أن دين الله وسط بين الغالي فيه، والجاهلي عنه، والله تعالى ما أمر عباده بأمر إلا اعترض الشيطان فيه بأمرين لا يبالي بأيهما ظفر: إما إفراط فيه، وإما تفريط فيه.

وإذا كان الإسلام الذي هو دين الله لا يقبل من أحد سواه قد اعترض الشيطان كثيراً ممن ينتسب إليه حتى أخرجه عن كثير من شرائعه، بل أخرج طوائف من أعبد هذه الأمة وأورعها عنه، حتى مرقوا منه كما يمرق السهم من الرميّة<sup>(٣٨)</sup>.

## ٢- ترتيب الأولويات.

وهو من البصيرة والحكمة فليس من الفقه ترك الأهم والبدء بالأقل أهمية، ولما كان التوحيد أهم المهمات وأول الأولويات كان البدء به في دعوات الرسل.

فكل دعوة إصلاح لا تقوم على التوحيد فهي خداج لن توتي ثمارها المرجوة، وانظر إلى كل دعوات الإصلاح في العالم التي لم تتخذ التوحيد أساساً هل حققت الإصلاح في كل حياتها؟ هل أقامت العدل بين الناس؟ هل استمرت بذات التأثير والوهج الذي بدأت به؟ أجزم بأن الإجابة في كل الأسئلة بلا، ولولا ضيق المقام عن التفصيل لذكرت أمثلة لهذا ولكن يكفي بأن أمثل بالحضارة الغربية التي بهرت الناس بما أنجزته في مجال العلم فأقول: كم من البشر قتلت من الحريين العالميتين وحتى وقتنا الحاضر؟ وكم من ثروات الشعوب نهبت؟ وكم من الظلم والقهر فعلت؟ وما هو مصير الأسرة لديهم؟ وما هو حال الأخلاق والقيم؟ وما معدلات الجريمة؟ إن الإجابات المعروفة عن هذه الأسئلة تعطينا الحق الذي لا مرية فيه وهو: أن كل دعوة إصلاح لا تقوم على هدى من الله فهي فاشلة ولن تحقق الإصلاح الكامل الذي يجعل البشرية تنعم فيه بالأمن والأمان.

ثم بعد التوحيد تأتي الأولويات الأخرى بحسب حاجة المجتمع، فإذا كان المجتمع يعاني من خلل أخلاقي توجهت جهود الإصلاح عليه كما في قوم لوط وفعلمهم المشين فبعد أن دعاهم لوط عليه السلام إلى التوحيد ثنى بالتشنيع عليهم في فعلهم الفاحشة قال تعالى عنه في سورة الشعراء ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا نُنْفِقُونَ ﴿١٦٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٦﴾ فَانقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ ﴿١٦٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٤﴾ وهكذا فعل شعيب مع قومه فبعدهما دعاهم إلى التوحيد ثنى بالتنديد بالفساد التجاري الذي اشتهر عندهم وانتشر قال تعالى عنه في سورة هود ﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا ؕ قَالَ يَنْفِقُونَ أَنْفُسَهُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ؕ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ؕ إِنِّي أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَنْفِقُونَ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ؕ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ؕ﴾. والأمثلة في القرآن كثيرة.

وحاصل هذا أن ترتيب الأولويات والبدء بالأهم فالأهم كان من منهج الرسل في الإصلاح وهو منهجية واضحة لمن تصدى للإصلاح، وتحديد الأولويات - بعد التوحيد - تخضع لبصيرة الداعية ومقدار فقهه، وهي في كل مجتمع بحسبه.

و قد بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذًا إلى اليمن وقال له: قال إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وترد على فقرائهم فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس. (٣٩)

### ٣- التدرج وعدم الاستعجال.

جاءت الشريعة متدرجة فالصلاة أول ما شرعت كانت صلاتين ثم زيدت بعد ذلك، والزكاة أول ما شرعت نافلة غير محددة بوقت أو نصاب ثم فرضت بعد ذلك محددة، و الخمر لم تحرم دفعة واحدة بل على مراحل، ويؤخذ من هذا النهج الرباني استراتيجية نافعة جداً في الإصلاح تبدأ بالسهل الذي تتقبله النفوس وتتردد به إلى الأثقل في سلاسة لا تشعر بها النفس و لا ترفضها، فهي ترويض للنفوس مصحوب بالتزكية والنتيجة القبول والامتثال في حب واقتناع. فعلى شدة تعلق بعض الصحابة بالخمر لما نزل الأمر بتحريمها سارعوا بشق دنانها وإراققتها كما قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كنت ساقى القوم في منزل أبي طلحة - وكان خمرهم يومئذ الفضيخ - فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم منادياً ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت، قال: فقال لي أبو طلحة: اخرج فأهرقها، فخرجت فهرقتها، فجرت في سكك المدينة، فقال بعض القوم: قد قتل قوم وهي في بطونهم فأنزل الله ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ المائة. (٤٠)

### ٤- اللين والرفق.

وهذه القضية مهمة جداً في قبول الحق، فالنفوس تعرض عن الجافي الغليظ ولو كان محقاً وتقبل على السهل الرفيق ولو كان مبطلاً، هذه طبيعة النفوس، ولذلك كان الأنبياء من أعظم الناس خلقاً ومعلوم أن الرفق هو من معالي مكارم الأخلاق وقد قال الله سبحانه في سورة آل عمران ممتناً على نبيه بهذا الخلق الكريم ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّيُنزِلُنَّهُمْ لَغَلِيظٌ الْقَلْبُ لَأَنْفَضُوهُ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

وقال صلى الله عليه وسلم: إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله. (٤١)

وقال عليه الصلاة والسلام: إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه. (٤٢)

ما أعظمه من توجيه للمصلحين !

وهذا لا يعني أن يترك المصلح الشدة كلياً بل الحكمة تقتضي أن يكون الرفق في محله وهو الأصل والشدة في محلها وهي الاستثناء، وفي غضب موسى من قومه لما اتخذوا العجل مثال واضح، لأن ما وقع انتهاك واضح لأساس الدعوة وهو التوحيد فكان الموقف يقتضي في حينها الشدة قال تعالى في سورة الأعراف ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي ۖ فَلَا تَشْمِتْ فِي الْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۖ﴾

وفي حديث عائشة رضي الله عنها: ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل. (٤٣)

##### ٥ - السماحة واليسر.

وهذه سمة الشريعة وسمة حاملها، فالمصلح لا بد أن يتحلى بالسماحة والتيسير على الناس وهما فرعان عن اللين والرفق فالنبي صلى الله عليه وسلم سئل عن أحب الأديان إلى الله فقال: الحنيفية السمحة (٤٤). فهذه سماحة الشريعة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فالحنيفية ضد الشرك والسماحة ضد الحجر والتضييق. (٤٥)

وملامح اليسر ومظاهره في الشريعة واضحة بادية، ومن القواعد الشرعية  
المعتبرة والمتفق عليها بين الأمة أن المشقة تجلب التيسير، واستعمالاتها في الفقه كثيرة.  
أما حامل الشريعة ومبلغها فما خَيْرٌ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن  
إثمًا. (٤٦)

وأما المصلحون من بعده فقد جاءهم التوجيه النبوي الكريم: يسروا ولا  
تعسروا وبشروا ولا تنفروا. (٤٧)

والأحاديث في هذا المعنى متكاثرة متواترة وقد قال الله تبارك وتعالى في سورة  
المائدة بعد تقرير أحكام التيمم المبنية على التيسير ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ  
حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَليُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

#### ٦ - عدم تغيير المفسدة بمفسدة أعظم.

وهذه من قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المشهورة، ويعبر عنها أحياناً  
باحتمال أدنى المفسدتين دفعاً لأعظمهما.

قال النووي: وقواعد الشرع متظاهرة على احتمال أخف المفسدتين لدفع  
أعظمهما. (٤٨)

ففي أول الدعوة كانت الأصنام تعبد في الكعبة وكان النبي صلى الله عليه  
وسلم وأصحابه لا يتعرضون لها لأن مفسدة إزالتها على الدعوة أعظم من مفسدة  
بقائها، فلو أزالوها فقد يتعرض المسلمون لعنت شديد يمنعهم من مواصلة الدعوة أو  
يؤخر نضوجها أو قد يرتد بعض من أسلم لما يلقاه من العنت، فينشغل المسلمون  
بأنفسهم بدلاً من إنشغالهم بأمر دعوتهم وأمر عدوهم.

وكم يحتاج المصلحون في هذا الزمن لمثل هذا الفقه و هذه البصيرة، فكم جر الحماس غير المنضبط على المسلمين الويلات، وكم تأخرت بسببه دعوة الإسلام، وكم ارتد بسبب ذلك أقوام من الناس.

ولسائل أن يقول: من بيده تحديد أعظم المفسدتين من أدناهما؟

والجواب: أهل العلم والبصيرة والرسوخ في الدين، ولربما احتيج في بعض المسائل والوقائع لحشد فضلاء أهل العلم لتدارس حالها وتحديد الموقف السليم منها؛ حتى يصدر المصلحون عن بيعة واضحة وعذر أكيد.

#### ٧- الحسم.

ونعني به الانتهاء إلى آخر مرحلة من مقاومة الفساد بإزالتها وقطع دابرها ولو أدى ذلك لكثير من التضحيات والآلام.

فالجهد في سبيل الله شرع لقطع دابر الشر المسيطر والفساد المستحكم إذا لم تجد معه الوسائل السلمية، ولا يكون إلا مع الأعداء الكفرة المحاربين لدين الله الساعين بالفساد في الأرض، ولا نعلم آيات القرآن جاءت إلا في مقاتلة الكافرين، أما المؤمنون فلم أقف قط على موضع في القرآن يجرس على قتالهم سوى في قتال الفئة الباغية لما تمثله من شر حادق وخطر ماحق على وجود الأمة وتماسكها، وفي الحديث جاء الأمر بقتال الخوارج والبعثة. وقد قاتل الصحابة الحورية وهم فرقة من الخوارج.<sup>(٤٩)</sup>

فالحاصل أن القتال شرع في آخر الأمر لإزالة الفساد؛ نظراً لحرمة الدماء وتقدير الإسلام لذلك.

هذا ما تيسر مما قد رمناه من مقصد البحث ومبتغاه، تفضل به المولى علينا إذ أعاننا على تمامه على قصور فيه مرجعه إلينا، نسأله سبحانه أن يتجاوز عنا بمنه وفضله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## الختامة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والتي أسأل الله أن يكون هذا البحث منها، وقد خلصت منه عدة نتائج نرجوا أن تكون قد أجابت عن تساؤلات الدراسة فنقول وبالله التوفيق:

من أهم النتائج:

- ١- الإصلاح مهمة من أشرف المهمات لا يتصدى لها إلا عظماء النفوس أصحاب الهمم العالية.
- ٢- لا بد للمصلح من نور يهتدي به ومثال يقتدى به.
- ٣- كل دعوة للإصلاح الشامل لا تقوم على هدى من الله مصيرها الفشل.
- ٤- الاستراتيجية النافعة في الإصلاح هي من خلال اتباع منهج الأنبياء في الإصلاح والسير على طريقهم.
- ٥- طريقة الرسل في الإصلاح واحدة ومنهجهم واضح وبحسب اقتراب المصلح من هذا المنهج يكون التوفيق.
- ٦- بينت الدراسة ملامح هذا المنهج، وذكرت أساسياته، وللمتقضي مجال للإضافة والزيادة، فالبحر غزير والصيد وفير.

### الهوامش والتعليقات:

---

- (١) مفردات الراغب ١ / ٢٨٤.
- (٢) معجم مقاييس اللغة ٣ / ٣٠٣.
- (٣) لسان العرب ٢ / ٥١٦ مادة (صلح)
- (٤) المحكم والمحيط الأعظم ٣ / ١٥٢.
- (٥) الطبري ٢٦ / ٣٩.
- (٦) الكشف ٤ / ٣١٩.
- (٧) المحرر الوجيز ٥ / ١٠٩.
- (٨) التحرير والتنوير ٢٦ / ٧٦.
- (٩) لباب التأويل في معاني التنزيل ٣ / ٢٠٢.
- (١٠) فتح القدير ٢ / ٤٦٦.
- (١١) تفسير ابن سعدي ١ / ٦٧٣.
- (١٢) انظر: تفسير البغوي ٣ / ٢٦٧، فتح القدير ٣ / ٤٢٥، زاد المسير ٥ / ٣٨٥، روح المعاني ١٧ / ٨٧.
- (١٣) زاد المسير ٣ / ٢١٥.
- (١٤) تفسير القرطبي ٧ / ٢٢٦.
- (١٥) التحرير والتنوير ٨ / ١٧٥.
- (١٦) التحرير والتنوير ٢ / ٣٥٦.
- (١٧) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ٢٠٥ - ٢٠٦ مختصراً.
- (١٨) اختلف أهل العلم في لقمان هل هو نبي مرسل أم حكيم صالح: فالجمهور على أنه حكيم صالح، ذكر ذلك جمع من المفسرين، انظر: تفسير ابن كثير ٣ / ٤٤٤، فتح القدير للشوكاني ٤ / ٢٣٧.
- (١٩) الطبري ٧ / ١٠٢.

- (٢٠) السياسة الشرعية ص ٩٤.
- (٢١) صحيح مسلم ١ / ٤٧ رقم ٤٩.
- (٢٢) تفسير الضحاوي ١ / ٣١٦ - ٣١٧.
- (٢٣) تفسير ابن كثير ١ / ٨٨.
- (٢٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥ / ٣٨٨ رقم ٢٣٣٤٧، وأبو داود في السنن ٢ / ٣٥ رقم ١٣١٩، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود رقم ١٣١٩.
- (٢٥) صحيح مسلم ١ / ٤٠ حديث رقم ١٠.
- (٢٦) انظر تفسير ابن كثير ٤ / ٩٣.
- (٢٧) صحيح البخاري ٥ / ٢٣٨٤ حديث رقم ٦١٣٧.
- (٢٨) الجواب الكافي ص ٨٩.
- (٢٩) أخرجه أحمد في المسند ٦ / ٩١ حديث رقم ٢٤٦٤٥. قال المحقق الأرناؤوط: صحيح.
- (٣٠) أخرجه البخاري ٥ / ٢٢٤٥ حديث رقم ٥٦٨٨.
- (٣١) أخرجه الترمذي في السنن ٤ / ٣٧٠ حديث رقم ٢٠١٨. قال الألباني: صحيح.
- (٣٢) أخرجه أبو داود في السنن ٤ / ٢٥٣ رقم ٤٨٠٠. قال الألباني: حسن.
- (٣٣) انظر: تفسير عبدالرزاق ٣ / ٤٠٣.
- (٣٤) مفردات غريب القرآن ١ / ٤٩.
- (٣٥) فتح القدير ٣ / ٥٩.
- (٣٦) ابن كثير ٢ / ٤٩٦.
- (٣٧) صحيح البخاري ٥ / ١٩٤٩ حديث رقم ٤٧٧٦.
- (٣٨) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣ / ٣٨١.
- (٣٩) صحيح البخاري ٢ / ٥٢٩ حديث رقم ١٣٨٩.

- (٤٠) صحيح البخاري ٢ / ٨٦٩ حديث رقم ٢٣٣٢.
- (٤١) صحيح البخاري ٦ / ٢٥٣٩ حديث رقم ٦٥٢٨.
- (٤٢) صحيح مسلم ٤ / ٢٠٠٤ حديث رقم ٢٥٩٤.
- (٤٣) صحيح مسلم ٤ / ١٨١٤ حديث رقم ٢٣٢٨.
- (٤٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١ / ٢٣٦ حديث رقم ٢١٠٧. وقال المحقق: صحيح لغيره.
- (٤٥) فتاوى شيخ الإسلام ٢٠ / ١١٤.
- (٤٦) صحيح البخاري ٣ / ١٣٠٦ حديث رقم ٣٣٦٧.
- (٤٧) السابق ١ / ٣٨ حديث رقم ٦٩.
- (٤٨) شرح النووي على صحيح مسلم ٤ / ١٥٨.
- (٤٩) صحيح البخاري ١ / ٤٠٥ حديث رقم ١١٥٣.

## فهرس المراجع والمصادر

المصدر الأول: القرآن الكريم.

ثانياً: المراجع والمصادر العامة.

- ١- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧م.
- ٢- تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، دار الفكر، بيروت.
- ٣- تفسير ابن أبي حاتم = تفسير القرآن لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، المكتبة العصرية - صيدا، تحقيق أسعد محمد الطيب \*
- ٤- تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر، بيروت.
- ٥- تفسير ابن سعدي = تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٢١هـ، تحقيق ابن عثيمين \*
- ٦- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم اسم المؤلف، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٧- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري - تحقيق أحمد شاکر - مؤسسة الرسالة - ط١ - ١٤٢٠ هـ \*
- ٨- تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب، القاهرة \*
- ٩- تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١ هـ.
- ١٠- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لشمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي الشهير بابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

- ١١- الذريعة إلى مكارم الشريعة للحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني - تعليق طه عبد الرؤف سعد - مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة - ١٣٩٣ هـ •
- ١٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي - بيروت •
- ١٣- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٤، الطبعة الثالثة •
- ١٤- سنن الترمذي = الجامع الصحيح، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.
- ١٥- سنن أبي داود = السنن لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الفكر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.
- ١٦- سنن ابن ماجة لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث الإسلامي - ١٣٩٥ هـ.
- ١٧- سنن النسائي = كتاب السنن الكبرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق د / عبد الغفار البنداري و سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١١ هـ.
- ١٨- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية
- ١٩- شرح مسلم للنووي للإمام محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي - دار الفكر.
- ٢٠- صحيح سنن الترمذي لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ.
- ٢١- صحيح سنن أبي داود لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.
- ٢٢- صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ، تحقيق مصطفى ديب البغا.
- ٢٣- صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت •

- ٢٤- فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية = مجموع فتاوى شيخ الإسلام، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وابنه محمد، تصوير الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.
- ٢٥- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت.
- ٢٦- في ظلال القرآن لسيد قطب، دار الشروق.
- ٢٧- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق عبد الرزاق المهدي.
- ٢٨- اللباب في علوم الكتاب، لعمر بن علي بن عادل الدمشقي، دار الكتب العلمية، تحقيق عادل عبدالموجود.
- ٢٩- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى.
- ٣٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ، الطبعة الأولى، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد.
- ٣١- المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، تحقيق عبد الحميد هنداوي.
- ٣٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر.
- ٣٣- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار الجيل، ط الثانية ١٤٢٠هـ، تحقيق عبد السلام هارون.
- ٣٤- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ، الطبعة الأولى.
- ٣٥- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المشهور بالراغب الأصبهاني، دار المعرفة، لبنان، تحقيق محمد سيد كيلاني.

# المرونة في العمل الدعوي

"دراسة تأصيلية"

إعداد

د. محمد هلال الصادق هلال

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المشارك

بجامعة أم القرى



## المرونة في العمل الدعوي

"دراسة تأصيلية"

د. محمد هلال الصادق هلال

### ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على من أرسله ربه رحمة للعالمين، نبينا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين. أما بعد

فإن (الثبات والمرونة) من أبرز الخصائص العامة للإسلام، وكذلك من أبرز خصائص العمل الدعوي الذي يشمل كافة الجهود التي تبذل لتبليغ الإسلام؛ إخراجا للناس من الظلمات إلى النور.

وإن الناظر بعين التدقيق والتحقيق في موكب دعوات الأنبياء والمرسلين ومن سار على نهجهم وسلك سبيلهم من الدعاة المخلصين العاملين يدرك تمام الإدراك أن الفهم الرشيد والتطبيق السديد لخصيصة (الثبات والمرونة) في العمل الدعوي من أبرز عوامل نجاحه وتحقيق الثمار المرجوة منه.

وتبقى الضرورة قائمة والحاجة ماسة إلى ذلك الفهم الرشيد والتطبيق السديد لخصيصة (الثبات والمرونة) في العمل الدعوي ما بقيت في حياة الناس ظلمات تتلمس أن يبدها نور الدعوة إلى الله تعالى.

وقد استقر في أذهان العاملين في ميدان الدعوة أن هناك مجموعة من الركائز الثابتة في العمل الدعوي لا ينبغي تجاوزها أو تجاهلها، وإلا عاد ذلك بالخلل على العمل الدعوي كله، ومن تلك الركائز: أركان الدعوة (الداعي والمدعو وموضوع

الدعوة)، ومناهج الدعوة، والأهداف الدعوية المقررة في الكتاب والسنة، وضرورة التعاون والتكامل بين العاملين في ميدان الدعوة أفراداً ومؤسسات، والتخطيط للعمل الدعوي، وتوفير الدعم المادي والمعنوي للعاملين في ميدان الدعوة... إلخ.

أما جانب المرونة في العمل الدعوي فهو الذي تختلف فيه الرؤى، فهذا مؤيد وذاك معارض، وهذا موسّع وذاك مضيق؛ وما أكثر المشكلات التي يعج بها ميدان الدعوة بسبب سوء الفهم لجانب المرونة في العمل الدعوي وما يترتب عليه من خلل التطبيق.

ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث الذي جعلته بعنوان (المرونة في العمل الدعوي.. دراسة تأصيلية) في محاولة لبيان مفهوم المرونة في العمل الدعوي، وضوابطها، وتطبيقاتها، وآثارها، وبيان معوقات المرونة في العمل الدعوي، وسبل مواجهة تلك المعوقات، وذلك في إطار الكتاب والسنة وتراث علماء الأمة. وقد استخدمت في مجي هذا المنهج الاستردادي التحليلي.

ويتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهرس للمراجع وفهرس للموضوعات:

- المقدمة: وتشتمل على بيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج البحث وخطته.
- التمهيد: مفهوم المرونة في العمل الدعوي.
- المبحث الأول: ضوابط المرونة في العمل الدعوي.
- المبحث الثاني: تطبيقات المرونة في العمل الدعوي وآثارها.
- المبحث الثالث: معوقات المرونة في العمل الدعوي وسبل مواجهتها.
- الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.
- فهرس المراجع.

## ومن أبرز نتائج البحث ما يلي:

- ١- الدعوة إلى الله - تعالى - بحاجة إلى فقه المرونة في الدعوة بمعناها الأول، وهو (الدين)، وترجمة ذلك الفقه في خطابهم الدعوي في الميادين الدعوية المتنوعة؛ تيسيرا على الناس، وتأليفا لقلوبهم.
- وكذلك يحتاج الدعوة إلى فقه المرونة في الدعوة بمعناها الثاني، وهو (النشر والتبليغ)؛ لتطبيق المرونة وترجمتها في العمل الدعوي ذاته؛ للوصول به إلى أرقى مراتب التأثير والإقناع.
- ٢- أن فقه المرونة في العمل الدعوي يركز على أسس علمية دعوية ذكرها المختصون في علم الدعوة، استنباطا من مصادر الدعوة، والتطبيقات الدعوية عبر العصور، واستنادا إلى العديد من الدراسات، والكثير من التجارب والخبرات، فلا مجال للعشوائية أو الفوضوية باسم المرونة.
- ٣- المرونة في العمل الدعوي لا تؤتي ثمارها المرجوة في ميدان الدعوة إلا إذا كانت منضبطة بمجموعة من الضوابط الشرعية.
- ٤- المرونة في العمل الدعوي لا تقف عند تطبيقات محددة وثابتة، بل تترجم في تطبيقات كثيرة ومتنوعة ومتجددة.
- ٥- المرونة المنضبطة في العمل الدعوي ذات آثار إيجابية في ميدان الدعوة إلى الله تعالى.
- ٦- المرونة في العمل الدعوي تحتاج إلى العمل على التخلص من معوقات المرونة في العمل الدعوي لدى بعض الدعاة، مثل: التعصب للرؤية الشخصية، والتقليد الأعمى، واتباع الهوى، وضيق الأفق أو قصر النظر، والانكفاء على الذات... إلخ.

٧- المرونة في العمل الدعوي يمكن أن يكتسبها الدعوة إلى الله - تعالى - من خلال الإقرار الذاتي بوجود مشكلة عدم المرونة، وسعة المعرفة وتنوع الثقافة، والاستفادة من تجارب الدعوة قديما وحديثا، وتبادل الخبرات الدعوية، والحرص على التغيير لمواكبة التطوير مع عدم المساس بالثوابت الدينية والأهداف الدعوية، ونشر فقه المرونة في العمل الدعوي... إلخ.

#### ومن أبرز توصيات البحث ما يلي:

- ١- أوصي بالحرص على تطبيق المرونة في العمل الدعوي؛ لعظيم آثارها في ميدان الدعوة إلى الله تعالى.
- ٢- أوصي المؤسسات الدعوية بمتابعة العمل الدعوي للدعاة في ضوء الدراسات العلمية الدعوية؛ للتقييم والتقويم، ووضع كل شيء في موضعه.
- ٣- أوصي بعقد دورات علمية تدريبية للدعاة إلى الله - تعالى - لبيان فقه المرونة في العمل الدعوي، وكيفية اكتسابها، والتخلص من معوقاتهما.
- ٤- أوصي بعقد لقاءات تجمع عددا كبيرا من الدعاة مختلفي الجنسيات ومتنوعي البيئات ومتفاوتي الأعمار؛ لعرض تجاربهم وتطبيقاتهم للمرونة في العمل الدعوي، وبيان ما ترتب عليها من آثار في ميدان الدعوة إلى الله تعالى؛ لاستفادة كل داعية من خبرات الآخرين، وتطبيقاتهم الإيجابية للمرونة، وتفادي التطبيقات السلبية للمرونة في العمل الدعوي.
- ٥- أوصي المؤسسات الدعوية برصد عقبات المرونة في العمل الدعوي؛ لمواجهتها بما يتناسب معها.
- ٦- أوصي بعمل استطلاع رأي للمدعويين بين الحين والآخر؛ للوقوف على إيجابيات وسلبيات العمل الدعوي، ومدى تحقق جانب المرونة - بمعناها الصحيح - في أداء الدعوة.

٧- أوصي بعقد مؤتمر دعوي عالمي عن (المرونة وتطبيقاتها في العمل الدعوي)، مع تكثيف الإعلان عنه لكافة المؤسسات الدعوية، والعمل على تفعيل ما يسفر عنه المؤتمر من نتائج وتوصيات.

٨- أوصي بطباعة كتاب مفصل للمرونة في العمل الدعوي، وتعميمه على كل المؤسسات الدعوية؛ لتكون هناك نسخة بين يدي كل داعية؛ ليستفيد من هذا الكتاب وليحقق التوازن في عمله الدعوي: الثبات في موضع الثبات، والمرونة في موضع المرونة.

وإني إذ أكتب هذا البحث أشرف بتقديمه لكل من ينضوي تحت لواء الدعوة إلى الله - تعالى - راجياً رب العباد أن يجعله نور هداية وإرشاد، وسبيل توفيق وسداد، ونبع خير وإسعاد، يعمُّ ببركته العباد والبلاد ... آمين.

## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من أرسله ربه رحمة للعالمين، سيدنا محمد بن عبد الله، صلاة وسلاماً دائماً متلازمين بدوام ملك الله. أما بعد فإن (الثبات والمرونة) من أبرز الخصائص العامة للإسلام، حيث يجمع بينهما في تناسق مبدع، واضعاً كلا منهما في موضعه الصحيح.. الثبات فيما يجب أن يخلد ويبقى، والمرونة فيما من شأنه أن يتغير ويتطور، وهذا من روائع الإعجاز في هذا الدين، وآية من آيات عمومته وخلوده، وصلاحيته لكل زمان وكل مكان. وهذه الخصيصة البارزة لرسالة الإسلام لا توجد في شريعة سماوية ولا وضعية<sup>(١)</sup>.

وكما أن (الثبات والمرونة) من خصائص الدين الإسلامي فإنها من خصائص العمل الدعوي الذي يشمل كافة الجهود التي تبذل لتبليغ هذا الدين؛ إخراجاً للناس من الظلمات إلى النور.

وإن الناظر بعين التدقيق والتحقيق في موكب دعوات الأنبياء والمرسلين ومن سار على نهجهم وسلك سبيلهم من الدعاة المخلصين العاملين يدرك تمام الإدراك أن الفهم الرشيد والتطبيق السديد لخصيصة (الثبات والمرونة) في العمل الدعوي من أبرز عوامل نجاحه وتحقيق الثمار المرجوة منه.

وتبقى الضرورة قائمة والحاجة ماسة إلى ذلك الفهم الرشيد والتطبيق السديد لخصيصة (الثبات والمرونة) في العمل الدعوي ما بقيت في حياة الناس ظلمات تتلمس أن يدها نور الدعوة إلى الله تعالى.

وقد استقر في أذهان العاملين في ميدان الدعوة أن هناك مجموعة من الركائز الثابتة في العمل الدعوي لا ينبغي تجاوزها أو تجاهلها، وإلا عاد ذلك بالخلل على

العمل الدعوي كله، ومن تلك الركائز: أركان الدعوة (الداعي والمدعو وموضوع الدعوة)، ومناهج الدعوة، والأهداف الدعوية المقررة في الكتاب والسنة، وضرورة التعاون والتكامل بين العاملين في ميدان الدعوة أفراداً ومؤسسات، والتخطيط للعمل الدعوي، وتوفير الدعم المادي والمعنوي للعاملين في ميدان الدعوة... إلخ.

أما جانب المرونة في العمل الدعوي فهو الذي تختلف فيه الرؤى، فهذا مؤيد وذاك معارض، وهذا موسّع وذاك مضيق؛ وما أكثر المشكلات التي يعج بها ميدان الدعوة بسبب سوء الفهم لجانب المرونة في العمل الدعوي وما يترتب عليه من خلل التطبيق.

ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث الذي جعلته بعنوان (المرونة في العمل الدعوي.. دراسة تأصيلية) في محاولة لبيان مفهوم المرونة في العمل الدعوي، وضوابطها، وتطبيقاتها، وآثارها، وبيان معوقات المرونة في العمل الدعوي، وسبل مواجهة تلك المعوقات، وذلك في إطار الكتاب والسنة وتراث علماء الأمة.

وقد استخدمت في بحثي هذا المنهج الاستردادي التحليلي.

ويتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهرس للمراجع

وفهرس للموضوعات:

المقدمة: وتشتمل على بيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج البحث وخطته.

التمهيد: مفهوم المرونة في العمل الدعوي.

المبحث الأول: ضوابط المرونة في العمل الدعوي.

المبحث الثاني: تطبيقات المرونة في العمل الدعوي وآثارها.

المبحث الثالث: معوقات المرونة في العمل الدعوي وسبل مواجهتها.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

فهرس المراجع.

وإني إذ أكتب هذا البحث أشرف بتقديمه لكل من ينضوي تحت لواء الدعوة إلى الله - تعالى - راجياً رب العباد أن يجعله نور هداية وإرشاد، وسبيل توفيق وسداد، ونبع خير وإسعاد، يُعَمِّ بركته العباد والبلاد ... آمين.

## التمهيد

### مفهوم المرونة في العمل الدعوي

إن الوقوف على مفهوم المرونة في العمل الدعوي يتطلب تعريف (المرونة)، كما يتطلب تعريف (العمل الدعوي)، وبيان ذلك فيما يلي:

#### أولاً: مفهوم المرونة في اللغة والاصطلاح:

##### ١- المرونة في اللغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة: " (مَرَنَ) الميم والراء والنون أصل صحيح يدل على لين شيء وسهولة، ومَرَنَ الشيء يَمْرُنُ مَرُونًا: لَانَ" (٢).

وجاء في لسان العرب: "مَرَنَ يَمْرُنُ مَرَانَةً وَمُرُونَةً: وهو لين في صلابته. وَمَرَنْتَ يَدُ فُلَانٍ عَلَى الْعَمَلِ أَي صَلَبْتِ وَاسْتَمَرْتِ. وَالْمَرَانَةُ: اللَّيْنُ" (٣).

##### ٢- المرونة في الاصطلاح العام:

إن مصطلح المرونة كغيره من المصطلحات في العلوم الإنسانية تتعدد فيه المفاهيم وتختلف، ومرد ذلك الاختلاف إلى أن البعض ينظر إلى المرونة من خلال الوسط العلمي الذي يعيش فيه، فمنهم من يرى أن المرونة هي التوسط، ومنهم من يرى المرونة هي الحل الأيسر، ومنهم من يرى المرونة في اللين واليسر، ومنهم من يرى المرونة أنها القابلية للتغير إلى الأحسن والأفضل، ومنهم من يرى المرونة في تحقيق خير الخيرين ودفع شر الشرين، ومنهم من يرى المرونة في تقبل الآخرين وأفكارهم، ويشير

إلى هذا المعنى الأخير الدكتور / جاسم الياسين بقوله: "إن على الإنسان أن لا يتخلى عن المرونة في تعامله مع نفسه ومع الآخرين، وليس المقصود بالمرونة الرضى بما دون الحق، فليس ذلك من المرونة ولا من الشهامة والرجولة، التي يبينها الدين في الإنسان، وإنما المقصود ألا يقتصر الإنسان في فهمه وتعامله على جانب واحد من جوانب الحق، لا يتعداه إلى غيره من الجوانب، فإذا تعددت آراء العلماء الموثقين حول نقطة معينة، فلنا أن نأخذ برأي من هذه الآراء دون أن نحاول فرضه على الآخرين، ودون أن يمنعنا ذلك من اعتبار أن الآخرين قد يكونون على الحق ولو أخذوا رأياً آخر من غير أن تقوم بيننا مجادلات، أو تنشأ خلافات وخصومات" (٤). ويمكن أن يُستخلص من هذا التعريف أن المرونة تكون في تقبل آراء الآخرين، وأن لا يقتصر الإنسان على جانب واحد من الحق إن تعددت جوانبه، وأن لا يفرض رأيه على الآخرين.

ومنهم من يرى أن المرونة تكون في القدرة على التكيف والتلاؤم، وهي ميزة تساعد على الانفتاح. يقول أسعد رزوق صاحب موسوعة علم النفس عن المرونة: إنها "خاصة تتم عن القدرة على التكيف والتلاؤم، وميزة تشير إلى الانفتاح على صعيد القدرات والقوى والاستعداد من جانب المرء لتطويعها وملاءمتها بحيث تنطوي على قابلية التطويع" (٥).

وتعرف المرونة بأنها "الحد الفاصل بين الثبات المطلق الذي يصل إلى درجة الجمود، والحركة المطلقة التي تخرج بالشيء عن حدوده وضوابطه، أي أن المرونة حركة لا تسلب التماسك، وثبات لا يمنع الحركة" (٦).

ويلاحظ أن كل هذه المعاني السابقة من التوسط، والقابلية للتغير إلى الأحسن والأفضل، والأخذ بأيسر الحلول، والقدرة على التكيف والتلاؤم... وغيرها، معاني تتضمنها المرونة.

ولهذا يمكن القول: إن "المرونة هي الاستجابة الانفعالية والعقلية التي تمكن الإنسان من التكيف الإيجابي مع مواقف الحياة المختلفة، سواء كان هذا التكيف بالتوسط أو القابلية للتغير أو الأخذ بأيسر الحلول..."<sup>(٧)</sup>. وغني عن البيان أن المرونة لدى دعاة الحق تكون فيما لا يخرج عن الحق.

### ثانياً: مفهوم العمل الدعوي:

مما لا شك فيه أن الوقوف على مفهوم العمل الدعوي يستلزم تعريف الدعوة في اللغة والاصطلاح، وذلك كما يلي:

#### ١- الدعوة في اللغة:

مصدر للفاعل الثلاثي (دَعَا) يقال: دَعَا يَدْعُو دَعْوَةً فهو دَاعٍ، ويقال: داعية (للمبالغة)، والجمع: دُعَاةٌ ودَاعُونَ، مثل: قاض وقضاة وقاضون. وبالنظر في المعاجم اللغوية يتضح أن لكلمة (الدعوة) عدة معان، منها:

- النداء والطلب، يقال: (دَعَا الرَّجُلُ): ناداه وطلب إقباله.
- الحث على قصد الشيء، يقال: (دعاه إلى القتال): حثه عليه، ويقال: (دعاه إلى الدين): حثه على اعتقاده.

ومثال ذلك قوله - تعالى - ﴿ قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ ﴾<sup>(٨) (٩)</sup>.

وكل دعوة إلى دين أو مبدأ أو فكرة تحتاج من الداعي أن يتوجه إلى المدعو بالنداء طالباً منه الإقبال على اعتناق ما يدعو إليه، حاثاً إياه على الاستجابة والتلبية، مستخدماً المتاح والمناسب في سبيل تحقيق ذلك.

وقد اكتفيت بهذين المعنيين لكونهما أقرب المعاني اللغوية صلة بالمعنى الاصطلاحي للدعوة.

ولفظ الدعوة يستعمل في الخير والشر، كما في قوله - تعالى - ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾<sup>(١٠)</sup>، وكل داعٍ يتميز بإضافته إلى ما يدعو إليه من خير أو شر.

والاصطلاح أو المقام هو الذي يحدد المقصود من الدعوة.

## ٢- الدعوة في الاصطلاح:

إذا أطلقت كلمة (الدعوة) فإنها "تطلق على الإسلام، وعلى عملية نشره وتبليغه وبيانه للناس، وسياق إيرادها هو الذي يحدد المعنى المراد"<sup>(١١)</sup>.

والعلاقة وثيقة بين المعنيين، ولا غنى لأحدهما عن الآخر، والتلازم بينهما هو التلازم الذي بين الرسالة والرسول، فلا رسول بدون رسالة، والرسالة لا تصل ولا تثمر ثمارها بدون رسول صنعه الله على عينه واجتباها واصطفاه لتبليغ رسالة الحق إلى الخلق لإخراجهم من الظلمات إلى النور.

فالدعوة بمعنى (البلاغ) هي حياة الدعوة بمعنى (الدين)؛ إذ هي "إبراز لوجوده، وتنفيذه في الواقع الحي الملموس"<sup>(١٢)</sup>.

وقد تعددت تعريفات الدعوة في الاصطلاح تبعاً لتعدد رؤى الباحثين، وكل ما ورد من تعريفات للدعوة لا تخرج عن أحد مفهومي الدعوة: الدعوة بمعنى (الدين)، والدعوة بمعنى (البلاغ).

والذي يعنى به موضوع البحث هو الجانب التبليغي المبني على أساس علمي يرسخه المختصون في علم الدعوة، لذا سأذكر بعض تعريفات الدعوة المرتبطة بهذا الجانب، ومنها:

\* **الدعوة هي:** "مجموعة القواعد والأصول التي يتوصل بها إلى تبليغ الإسلام للناس وتعليمه، وتطبيقه" <sup>(١٣)</sup>، وقد ذكر الدكتور / محمد أبو الفتح البيانوني هذا التعريف باعتباره تعريفا لعلم الدعوة، وكما هو ملاحظ أن هذا التعريف يجمع بين الأساس العلمي والعمل الدعوي، فإذا جُرِّد هذا التعريف من الجزء العلمي التنظيري يبقى الجزء العملي الدعوي، فيكون العمل الدعوي هو: (تبليغ الإسلام للناس وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة) وهو ما ذكره الدكتور / محمد أبو الفتح البيانوني تعريفا لمصطلح الدعوة في موضع آخر من كتابه (المدخل إلى علم الدعوة) <sup>(١٤)</sup> هي: "العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق" <sup>(١٥)</sup>. فإذا جُرِّد هذا التعريف من الجزء العلمي التنظيري يبقى الجزء العملي الدعوي، فيكون العمل الدعوي هو: (كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق).

\* **الدعوة هي:** "فن يبحث في الكيفيات المناسبة التي تجذب بها الآخرين إلى الإسلام، أو يحافظ على دينهم بواسطتها" <sup>(١٦)</sup>، فإذا جُرِّد هذا التعريف من الجزء العلمي التنظيري يبقى الجزء العملي الدعوي، فيكون العمل الدعوي هو: (الكيفيات المناسبة التي تجذب بها الآخرين إلى الإسلام، أو يحافظ على دينهم بواسطتها).

وبناء على ما سبق يمكن تعريف العمل الدعوي بأنه: (بذل كافة الجهود القولية والعملية في ميدان الدعوة إلى الله - تعالى - بناء على الأسس العلمية الدعوية؛ لتحقيق أهداف الدعوة، وهي تعبيد الناس لرب العالمين، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وترجمة الإسلام إلى واقع معاش).

### ثالثاً: مفهوم المرونة في العمل الدعوي:

في ضوء ما سبق من بيان لمفهوم (المرونة)، ومفهوم (العمل الدعوي) يتضح مفهوم المرونة في العمل الدعوي، فأقول - مستعينا بالله -: (المرونة في العمل الدعوي تعني حرص الدعاة إلى الله - تعالى - على تحقيق جوانب التيسير، والقابلية للتغيير والتطوير، والقدرة على التكيف مع المتاح، ومراعاة الزمان والمكان والمدعو؛ لاختيار المناسب من وسائل الدعوة وأساليبها، مع الالتزام بالضوابط الشرعية؛ تحقيقاً لأهداف الدعوة، وهي تعبيد الناس لرب العالمين، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وترجمة الإسلام إلى واقع معاش).

ويمكن القول: إن المرونة في العمل الدعوي تعني (كل تحوُّل يقوم به الدعاة إلى الله -تعالى- في العمل الدعوي، منضبطاً بالضوابط الشرعية، رغبة في تحقيق أهداف الدعوة). وفي المباحث التالية بيان لضوابط المرونة في العمل الدعوي، وتطبيقاتها، وآثارها.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

## المبحث الأول

### ضوابط المرونة في العمل الدعوي

إن المرونة في العمل الدعوي من الأصول المقررة في دعوات الأنبياء والمرسلين، ولأن الأمر كذلك يجب أن يعلم الدعاة إلى الله - تعالى - أنها ليست أمراً عشوائياً، بل تضبطها عدة ضوابط من شأنها أن تجعلها ذات فاعلية في تحقيق الثمرة المرجوة والهدف المنشود، ومن هذه الضوابط ما يلي:

### أولاً: حراسة المرونة بالوحي:

فلا بد أن تكون المرونة في حراسة الوحي توجيهها وإرشادها، لا عن هوى أو عصبية أو تقليد أعمى.. إلخ، والمرونة مادامت في حراسة الوحي سيكون نتائجها الخير بإذن الله تعالى.

ومما يدل على هذا قول الله - عز وجل - : ﴿... لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَلَ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١٧)</sup>. وهذا اتباع لأمر الله ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(١٨)</sup>.

فإذا استصحب الداعية المرونة في العمل الدعوي وجب عليه أن يستصحب معها الأصل المقرر في دعوات الأنبياء والمرسلين مع مراعاة تطورات العصر ومستجدات الأحداث بما لا يتنافى مع شرع الله عز وجل.

وعلى سبيل المثال:

قصدُ ذوى الجاه والسلطان - مسلمين أو غير مسلمين - أمر مقرر في الشرع لدعوتهم إلى الله، ومما يدل على ذلك:

١- أمرُ الله - سبحانه - لسيدنا موسى وهارون - عليهما السلام - : ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾<sup>(٤٤)</sup> قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ﴾<sup>(٤٥)</sup> قَالَ لَا نَخَافُكَ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾<sup>(١٩)</sup>.

و (قولا لينا) أي: (قولا لطيفا رفيقا)<sup>(٢٠)</sup>، لا قول تملق ونفاق تظهر في نبراته أمارات الخوف والضعف، وإلا فما كان هناك داع للخوف، إذ الخوف إنما هو من عاقبة الصدع بكلمة الحق لدى فرعون متجبر، ولذلك كان التهديد الفرعوني والطغيان السلطاني وما تنازل موسى عن دعوة الحق.

٢- قيام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بإرسال الرسل والرسائل إلى الملوك والأمراء لدعوتهم إلى الله تعالى: ﴿...يَتَأْهَلُ الْكِنْدِبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٢١).

٣- عن طارق بن شهاب - رضي الله عنه - أن رجلا سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد وضع رجله في العُرْزِ: أي الجهاد أفضل؟ قال: (كلمة حق عند سلطان جائر) (٢٢).

"وإنما صار ذلك أفضل الجهاد لأن من جاهد العدو وكان مترددا بين رجاء وخوف لا يدري هل يَغْلِبُ أو يُغْلَبُ، وصاحب السلطان مقهور في يده، فهو إذا قال الحق وأمره بالمعروف فقد تعرض للتلف وأهدف نفسه للهلاك، فصار ذلك أفضل أنواع الجهاد من أجل غلبة الخوف. والله أعلم" (٢٣).

وبناء عليه فإنه إذا جاز للداعية أن يتحول إلى ذوي الجاه والسلطان لتأليف قلوبهم ودعوتهم إلى طريق الله، فإنه لا يحل له أن يسير في ركابهم أو يتملقهم بإصدار أحكام تتوافق مع أهوائهم البعيدة عن شرع الله عز وجل، إذ أن صاحب ذلك السلوك يسقط بدعوته في غيابت الجب. أعاذ الله دعاة الإسلام من هذا السلوك.

ويؤيد هذا الضابط بالضابط التالي:

ثانيا: عدم المساس بأهداف الدعوة إلى الله تعالى:

إن الأهداف التي تسعى الدعوة إلى تحقيقها كثيرة ومتنوعة، وفي مقدمتها: أن تكون كلمة الله هي العليا، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهدايتهم إلى صراط الله المستقيم، كما جاء في قوله - سبحانه - : ﴿... وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا

وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤﴾، وفي قوله - سبحانه - ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا  
وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢٥﴾  
وفي قوله - سبحانه -: ﴿الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى  
النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٢٦﴾.

فلا بد أن تكون المرونة في العمل الدعوي بمنأى عن المساس بالأهداف التي  
يجاهد الدعوة إلى الله - تعالى - من أجل تحقيقها في واقع الناس، والتي تأخذ سمة  
الثبات، ولا يجوز التحول عنها أو التهاون في المجاهدة من أجل تحقيقها، إذ أن التحول  
عنها يعد تحولاً عن تقرير الوحي الإلهي المبين لتلك الأهداف.

والثبات على تلك الأهداف أمر واجب، تحقيقاً لكلمات الله التي لا تبدل.

فالله - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿... وَلَا يُبَدِّلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٧﴾.

ويقول - جل شأنه -: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ  
الْعَلِيمُ ﴿٢٨﴾.

ويقول - عز من قائل -: ﴿... لَا يُبَدِّلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٢٩﴾.

ويقول - جل وعلا -: ﴿وَأْتَلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ يَجِدَ  
مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٣٠﴾.

ويقول - تباركت أسماؤه -: ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدِيَّ وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٣١﴾.

فلا تبديل لكلمات الله؛ لأن التبديل دليل قصور وعدم إحاطة، وسبحانه وتعالى أحاط بكل شيء علماً، علم ما كان وما يكون، ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

ولأنه لا تبديل لكلمات الله، والداعية الحق يجاهد إعلاء لكلمات الله، وتحقيقاً لهذا الهدف في دنيا الناس، فلا يجوز له بحال من الأحوال أن يتزحزح عن هدفه تزحزحاً قلبياً، وإن جاز له في حالة الاضطرار أن يظهر الرجوع عن الغاية والهدف، كما قال - سبحانه - : ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جُرْمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَنَّهُدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٢﴾ .

وقد مدح الله - سبحانه وتعالى - رجالاً مؤمنين بذلوا كل غال ونفيس في سبيل الثبات على عقيدتهم والدفاع عنها، فقال - عز من قائل - : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا بِبَدِيلًا﴾ (٣٣) ، وأعظم أسوة للمسلمين في الثبات على الأهداف والمبادئ والقيم وإغلاق أي باب للمساومة عليها هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

فقد جاء المشركون إلى عمه أبي طالب يهددون ويتوعدون: اصرف عنا ابن أخيك وإلا فخل بيننا وبينه، فما لانت عزيمة رسول الله، وما تحركت شعرة حركة خوف في جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما أعلنها كلمات مدوية بثبات

المؤمن المتصل بمولاه أغلق بها باب التنازلات عن الأهداف الدعوية فقال: "يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته" (٣٤).

وما أكثر المساومات والإغراءات التي عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيها هو "عتبة بن ربيعة يقول لقومه: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطه أيها شاء ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة، ورأوا أصحاب رسول الله يزيدون ويكثرون فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلمه، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا، حتى لا تقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا" (٣٥)، كل ذلك ليتنازل رسول الله أو يتهاون في دعوته، فما كان.

ويأتي رهط من قريش إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائلين: "يا محمد، هلم اتبع ديننا ونتبع دينك، تعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة، فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما في يدك قد شركت في أمرنا وأخذت بحظك، فقال: معاذ الله أن أشرك به غيره، فأنزل الله - تعالى - ﴿قُلْ يَتَأَيَّمُوا لِكُفْرَتِهِمْ ۚ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۚ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۚ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ۚ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۚ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۚ﴾ (٣٦)، فغدا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المسجد الحرام، وفيه الملاء من قريش فقرأها عليهم حتى فرغ من السورة فأيسوا منه عند ذلك" (٣٧).

وبعد المساومات والإغراءات كانت سياسة الإيذاء والتعذيب، فما انثنى عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا عزم أحد من أتباعه رغم ضعفهم وقلة حيلتهم، وإنما رفعوا لواء الحق والهدى، وجادوا بأنفسهم في سبيل تحول أرض الصخور إلى منبع للنور.

وكل ما حدث من تطبيقات المرونة في العمل الدعوي كان محققاً للهدف المنشود، ولا يخالف شرع الرب المعبود سبحانه وتعالى.

فالمرونة في العمل الدعوي في حياة الدعاة والمصلحين على مر الأزمان - وعلى رأسهم الأنبياء والمرسلون - قد تكون تحولاً مكانياً أو زمانياً أو حالياً، لكنها لا تنطرق إلى الغاية أو الهدف أو المبدأ الذي يأخذ سمة الثبات ويرخص في سبيل تحقيقه كل غال ونفيس.

وقد تبدو المرونة - كما يظن البعض - هروباً أو تقاعساً أو تراجعاً، لكنه مادامت الغاية ثابتة فلا بأس بتغيير المسار إذا كان الطريق المستقيم قد أقيمت به السدود والمعوقات، فالنهر إذا قابله سد منيع أو قابلته صخرة صلبة فإنه يغير مجراه ويحيط بالصخرة الصلبة ليواصل مسيره واندفاعه حتى يصل إلى المصب، وإذا كان تحول النهر يحدث بشكل طبيعي ينتهي إلى المصب بحسب طبيعة المجرى فإن الداعية له عقل يفكر به، يحدد به الهدف، ويغير به الوسائل والأساليب والمكان والزمان بما تراءى له فيه المصلحة وبما يحقق له الهدف الذي يجاهد من أجله، لكن بشرط ألا تخرج تحولاته وتغيراته عن إطار شرع الله، أو يكون هذا التحول مضرراً بالهدف ذاته في حالة تحققه، كأن يبقى هذا التحول المشبوه أو المشين نقطة سوداء في سجل الداعية وفي سجل البدايات الأولى لهذا الهدف، كمن يهدف إلى إصلاح أهله فيسلك طريق القطيعة مع والديه والمعاملة التي تأخذ شكل العقوق حتى يشعروهم بخطئهم، ولا ريب

في أن ذلك التحول يضر بالداعية وبالهدف الذي يسعى إلى تحقيقه أكثر مما ينفع، إذ أنه يخالف المنهج الإسلامي الذي تجلّى في قول الله - تعالى - : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ١٤ ﴾ وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ تَمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٨﴾ .

والمسلم عموماً والداعية خصوصاً لا بأس أن ينكفيء ويعتدل، المهم أن لا ينكسر عوده أو تلين عزيمته، فقد هزم المسلمون في غزوة أحد وما ضعفت عزيمتهم، وصالح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المشركين صلح الحديبية في آخر العام السادس من الهجرة النبوية وعاد وأصحابه دون الوصول إلى البيت الحرام في عامهم هذا، وفي غزوة الأحزاب التي جاء في وصف شدتها قول الله - تعالى - : ﴿ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ١٠ ﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿٣٩﴾ .

في هذا الموقف الصعب، وبعد أن اشتد على الناس البلاء، " بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى عيينة بن حصن، وإلى الحارث بن عوف، وهما قائدا غطفان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهما الصلح، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح، إلا المروضة في ذلك.

فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل، بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عباد - رضي الله عنهما - فذكر ذلك لهما، واستشارهما فيه، فقالا له: يا رسول الله، أمراً تحبه فنصنعه، أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به، أم شيئاً

تصنعه لنا؟ قال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم إلى أمر ما، فقال له سعد بن معاذ - رضي الله عنه -: يا رسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟! والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: فأنت وذاك.

فتناول سعد بن معاذ - رضي الله عنه - الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال: ليجهدوا علينا" (٤٠).

" والحكمة في استشارته - صلى الله عليه وسلم - لبعض أصحابه - رضي الله عنهم - في هذا الموقف أنه كان يريد أن يطمئن إلى مدى ما يتمتع به أصحابه الصادقون - رضي الله عنهم - من القوة المعنوية والاعتماد على نصر الله وتوفيقه رغم هذا الذي فوجئوا به من تكالب الأحزاب عليهم، حيث اجتمع أشدات المشركين عليهم في كثرة ساحقة إلى جانب ما طلعت به بنو قريظة في الوقت نفسه من نقض العهود والمواثيق" (٤١).

فالمؤمن كالحامة كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (مثل المؤمن كالحامة من الزرع، تفيؤها الريح مرة، وتعدلها مرة) (٤٢)، المهم أن لا تخرج المرونة في العمل الدعوي عن شرع الله عز وجل، وأن لا تمس الهدف المراد تحقيقه بما يشوهه أو يسيء إليه ويقلل من قيمته أو قدره عند تحققه.

**ثالثاً: ملازمة المرونة للحكمة في العمل الدعوي:**

فلا بد أن تكون المرونة منضبطة بالحكمة، ومن معاني الحكمة:

١- العلم والتفقه، كما قال الله - سبحانه -: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾<sup>(٤٣)</sup>.

٢- العلة، كما يقال: حكمة التشريع، وما الحكمة في ذلك؟<sup>(٤٤)</sup>.

المرونة في العمل الدعوي لا بد أن تكون منضبطة بالحكمة بمعنيها هذين، أي (بالعلم والتفقه، وإدراك العلة).

والداعية في ممارسته المرونة في العمل الدعوي بأي شكل من أشكالها أو تطبيق من تطبيقاتها عليه أن تجيب حكمته على تلك الأسئلة إجابات تنم عن حكمته، والأسئلة هي: متى تكون المرونة في العمل الدعوي؟ وكيف تكون؟ ولماذا؟

فالداعية الحكيم يتحين الوقت المناسب الذي يغلب فيه تحقق الثمرة المرجوة من المرونة في العمل الدعوي، وأستدل على ذلك بخطاب رب العالمين - سبحانه - لسيدنا لوط - عليه السلام - أمراً إياه بالتحول المكاني عن قريته التي كانت تعمل الخبائث: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِفِطْحِ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبُرَهُمْ وَلَا يَلْبَسْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾<sup>(٤٥)</sup>.

والداعية الحكيم يفقه - أيضا - كيف تكون المرونة؛ لتحقيق الثمرة، وأستدل على ذلك بقول الله - سبحانه - واصفاً حال سيدنا موسى - عليه السلام - أثناء تحوله عن أرض مصر، فرارا من الهلاك، وطلباً للنجاة بعد أن أخبر بما يدبر له: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّكَ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾<sup>(٤٦)</sup>.

فهو تحول مصحوب بالترقب والحيلة والحذر والدعاء الخالص لله - سبحانه - بأن ينجيه من القوم الظالمين.

وكما ظهر ذلك جليا في هجرة سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث كان التخطيط الدقيق وتوزيع الأدوار؛ ليتم نجاح أعظم تحول في تاريخ دعوة الإسلام.

والداعية الحكيم يدرك علة ممارسة المرونة في العمل الدعوي، والعلة الأساسية هي تحقيق مصلحة الدعوة وتعميم خيرها.

ويظهر هذا جليا في مصالحة الرسول - صلى الله عليه وسلم - للمشركين صلح الحديبية في العام السادس من الهجرة، وعودته دون أن يصل إلى البيت الحرام، فرغم أن ذلك الصلح بشروطه قد أحزن الصحابة - رضي الله عنهم - وأهاج خواطرهم إلا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يرنو إلى الفتح المبين الذي وعده الله به، وكان صلح الحديبية مقدمة بين يدي ذلك الفتح.

ويستكشف سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الأمر من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيقول: يا رسول الله، ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: بلى. قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى. قال: ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: يا ابن الخطاب، إني رسول الله ولن يضيعني الله أبداً، قال: فانطلق عمر فلم يصبر متغيظاً فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر، ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: بلى. قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: يا ابن الخطاب، إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبداً، قال: فنزل القرآن على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالفتح فأرسل إلى عمر فأقرأه إياه، فقال: يا رسول الله، أو فتح هو؟ قال: نعم. فطابت نفسه ورجع<sup>(٤٧)</sup>.

فالعلة في ذلك التحول الزماني تحقيق مصلحة الدعوة إلى الله تعالى.

هذه مقتطفات من الحكمة التي يجب أن تضبط بها المرونة في العمل الدعوي؛ ليؤتي ثماره اليانعة في دنيا الناس كما أراد رب العالمين وكما أراد رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

وفي المبحث التالي أبين - بإذن الله - أبرز تطبيقات المرونة في العمل الدعوي، مقترنة ببيان آثارها الإيجابية في حال انضباطها بالضوابط الشرعية المذكورة.

## المبحث الثاني

### تطبيقات المرونة في العمل الدعوي وآثارها

إذا كانت المرونة في العمل الدعوي تعني (كل تحوّل يقوم به الدعاة إلى الله - تعالى - في العمل الدعوي، منضبطاً بالضوابط الشرعية، رغبة في تحقيق أهداف الدعوة) فربما يقول قائل: إن التحول في العمل الدعوي - أيا كان - قد يمثل ضرورة لتحقيق مصلحة الدعوة، فأين المرونة في ظل الضرورة؟

ورداً على ذلك التساؤل أقول: ينبغي أن يعلم أن الذي يقرر أهمية ذلك التحول وضرورته بالنسبة للدعوة، واختيار الكيفية المناسبة للتحول، والزمان المناسب للتحول، والمكان المناسب للتحول... إلخ، هو القائم على أمر الدعوة - فرداً كان أو مؤسسة - مرتكزاً على التأصيل الإسلامي للتحول والتطبيق النبوي له، وهذا هو مناط المرونة في العمل الدعوي.

وفيما يلي بيان لأبرز تطبيقات المرونة في العمل الدعوي مقترنة ببيان آثارها، واستمرار حاجة الدعوة إليها في كل زمان ومكان، اهتداءً بهدي سيد الدعاة إلى يوم الدين محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

أولاً: التحول عن البشر في خلوة مؤقتة؛ للوقوف مع النفس وترتيب الأوراق:

إن التحول عن البشر في العمل الدعوي له مفهوم خاص وغاية عليا، وفيما يلي مزيد من الإيضاح:

### ١- المراد بالتحول عن البشر:

" لا ينبغي أن يفهم معنى التحول عن البشر بأنه الانصراف الكلي عن الناس واتخاذ الكهوف والجبال موطناً واعتبار ذلك فضيلة مجد ذاتها، فذلك مخالف لهديه صلى الله عليه وسلم، ولما كان عليه عامة أصحابه. إنما المراد هو استحباب اتخاذ الخلوة دواءً لإصلاح الحال، والدواء لا ينبغي أن يؤخذ إلا بقدر، وعند اللزوم، وإلا انقلب إلى داء ينبغي التوقي منه، وإذا رأيت في تراجم الصالحين من استمر على الخلوة والابتعاد عن الناس فمرد ذلك إلى حالة خاصة به، وليس عمله حجة على الناس " (٤٨).

### ٢- حاجة الدعوة إلى التحول عن البشر لفترة مؤقتة:

إن الدعوة إلى الله - تعالى - في كل عصر يحتاجون إلى التحول عن البشر لفترةٍ ما ووقفاً مع النفس وترتيباً للأوراق أو إعادة لترتيب الأوراق، مقتبسين القدوة في هذا من قائد الدعوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

فعن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أنها قالت: (أول ما بدىء به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حجب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء..) الحديث (٤٩).

" والخلاء: الخلوة، والسر فيه أن الخلوة فراغ القلب لما يتوجه له " (٥٠).

لقد حبيت الخلوة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - في غار حراء قبل أن يوحى إليه، فكان يتحنث ويتعبد ويرتب أفكاره، ويبنى مقدمات ليستخلص منها نتائج عامة وشاملة للكون وخالقه والعباد والمعبود، حتى نزل عليه وحى السماء مهذباً للنتائج التي توصل إليها ومثبتة عليها، ويستطيع كل ذي لب أن يخلص من هذا إلى أن النزول إلى ميدان الدعوة دون مقدمات لا يولد مصلحاً ذا شأن؛ إذ أنه - في الغالب - يكون تأثيره أكثر من تأثيره، وتتنازع الأهواء والرغبات الملحة من حوله فيتقاعس أو يصيبه الإحباط فيتنازل عن فكرته ويحيد عن منهجه، بل إن المصلح قبل أن ينزل إلى أرض الواقع ومخالطة من يريد إصلاحهم عليه أن يخلو بنفسه بانياً لها ومحيطاً بإياها بكل وسائل التحصين من خلال النظريات السليمة - التي تستمد سلامتها وصحتها من خلال منهج أثبت جدارته لقيادة البشر - التي يعتنقها وتتحول بداخله إلى عقيدة يتمسك بها ويدافع عنها بكل ما يستطيع، ثم ينزل إلى أرض الواقع ليضم التجربة الواقعية إلى الفكرة النظرية مع استبساله في عدم التأثر بالأهواء المحيطة وتذكير نفسه دائماً بالمنهج الصحيح ومشاورة أقرانه ورفقائه في الطريق الذي يسير فيه، وبهذا يصبح مصلحاً ذا شأن عظيم قدوته في ذلك سيد الدعاة وإمام المصلحين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

فالخلوة مع النفس للتفكير والتدبر في الكون وخالقه وأحوال البشر وكيفية التعامل معهم - ارتكازاً على أصول الدعوات السماوية مع الابتكار في الشكل دون المضمون - تعتبر ضرورة لكل داعية يحجز لنفسه مكاناً بارزاً مؤثراً في كتائب الدعوة إلى الله - تعالى - بعيداً عن النزول المفاجيء إلى ميدان الدعوة والتخبط العشوائي، وكما قد تكون الخلوة قبل النزول إلى الميدان لاختيار البداية الصحيحة الموفقة ووضع النقاط على الحروف وترتيب أوراق الدعوة، فلا مانع أن تأتي تلك الخلوة - التي تعني التحول عن مخالطة البشر والتفاعل معهم لفترة ما - بعد نزول الميدان وتجرع قدر

من التجربة الواقعية، وفي هذه الحالة تكون الخلوة ضرورية للداعية لإعادة ترتيب الأوراق.

وقد تكون خلوة الإنسان بنفسه خلوة تعبدية يثاب عليها، تُشْحَن فيها قواه الروحية بطاقات إيمانية كما هو الحال في سنة الاعتكاف بالمساجد، و " حقيقة الاعتكاف المكث في المسجد بنية التقرب إلى الله تعالى " (٥١).

وقد تكون خلوة الإنسان بنفسه خلوة لا انتقال فيها عندما يعتاد الإنسان الصمت للتفكير والتدبر ومحاسبة النفس واستخلاص العظة والعبرة مما يُسْمَع ويُرى ويُقرأ.

وقد تحدث فضيلة الشيخ / محمد الغزالي - رحمه الله - عن خلوته - صلى الله عليه وسلم - في غار حراء وأثر تلك الخلوة في نفسه - صلوات ربي وسلامه عليه - فقال: " كان محمد - صلى الله عليه وسلم - يهجر مكة كل عام ليقضي شهر رمضان في غار حراء، وهو غار على مسافة بضعة أميال من القرية الصاخبة، في رأس جبل من هذه الجبال المشرفة على مكة والتي ينقطع عندها لغو الناس وحديثهم الباطل، ويبدأ السكون الشامل المستغرق، في هذه القمة السامقة المنزوية كان محمد - صلى الله عليه وسلم - يأخذ زاد الليالي الطوال ثم ينقطع عن العالمين متجها بفؤاده المشوق إلى رب العالمين... في هذا الغار المهيب المحجب كانت نفس كبيرة تطل من عليائها على ما تموج به الدنيا من فتن ومغارم واعتداء وانكسار ثم تتلوى حسرة وحيرة لأنها لا تدري من ذلك مخرجاً، ولا تعرف له علاجاً.

وفي هذا الغار النائي كانت عين نفاذه محصية تستعرض تراث الهداة الأولين من رسل الله، فتجده كالمنجم المعتم لا يستخلص منه المعدن النفيس إلا بعد جهد جهيد، وقد يختلط التراب بالتبر فما يستطيع بشر فصله عنه.

في غار حراء كان محمد - عليه الصلاة والسلام - يتعبد، ويصقل قلبه، وينقي روحه، ويقترّب من الحق جهده، ويتعدّد عن الباطل وسعه، حتى وصل من الصفاء إلى مرتبة عالية انعكست بها أشعة الغيوب على صفحته المجلوة، فأسمى لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح. في هذا الغار اتصل محمد بالملا الأعلى " (٥٢).

وقد ذكر الدكتور / البوطي في كتابه (فقه السيرة) تحليلاً رائعاً لخلوته - صلى الله عليه وسلم - قبيل البعثة، من حيث ما تثمره خلوة الداعية بنفسه لفترة ما في ميدان الدعوة إلى الله، فقال: "إن لهذه الخلوة التي حبيت إلى قلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبيل البعثة دلالة عظيمة جداً لها أهمية كبرى في حياة المسلمين عامة والداعين إلى الله بصورة خاصة.

فهي توضح أن المسلم لا يكمل إسلامه مهما كان متحلياً بالفضائل قائماً بألوان العبادات حتى يجمع إلى ذلك ساعات من العزلة والخلوة يحاسب فيها النفس، ويراقب الله تعالى، ويفكر في مظاهر الكون، ودلائل ذلك على عظمة الله.

هذا في حق أي مسلم يريد لنفسه الإسلام الصحيح، فكيف بمن يريد أن يضع نفسه موضع الداعي إلى الله والمرشد إلى الطريق الحق؟

إن تلك الخلوة تطهر النفس من آفاتها، وتنبت في القلب محبة إلهية عارمة تجعله يستصغر كل عظيم ويحتقر كل مغربة من المغريات، ويستتهين بكل إيذاء وعذاب، ويستعلي فوق كل إذلال أو استهزاء، فتلك هي العدة الكبرى التي ينبغي أن يتسلح بها الدعاة إلى الله، وتلك هي العدة التي جهز الله بها حبيبه محمداً - صلى الله عليه وسلم - للقيام بأعباء الدعوة الإسلامية " (٥٣).

وهكذا تتضح أهمية وآثار التحول عن البشر لفترة ما في حياة المسلم عموماً وفي حياة الداعية إلى الله - تعالى - على وجه الخصوص؛ ترتيباً لأوراق طريق الحياة

بين الحين والآخر، أو إعادة لترتيب الأوراق، وهو من أبرز تطبيقات المرونة في العمل الدعوي.

**ثانياً: التحول من السرية إلى الجهرية ومن الجهرية إلى السرية في العمل الدعوي:**

إن التدرج منهج إسلامي أصيل خاصة فيما يتعلق بتغيير ما ألفتة النفوس وشبت عليه أزمانا متطاولة أخذ فيها سمة العصية لموروثات الآباء والأجداد، فالمطالبة بالتغيير المفاجيء تولد التصادم، وغالباً لا يكون هذا التصادم في مصلحة الدعوة الجديدة الوليدة التي تمثل نبتة في جبل من الأحجار الشديدة القسوة.

ومن هنا بدئت الدعوة الإسلامية سرا، بعد الأمر الإلهي للنبي الأُمي - صلى الله عليه وسلم - : (قُمْ فَأَنْذِرْ) <sup>(٥٤)</sup>، واستمرت مرحلة السرية ثلاثة أعوام تتسع فيها دائرة الدعوة رويداً رويداً لتشمل بمحيطها كل من يوثق به من الأهل والأقربين والأصدقاء والمحبين تقوية لنسيج الدعوة وغرساً لبذورها في أرض تعج بالعصية وتمعن في الضلال، وهذه مرحلة ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) <sup>(٥٥)</sup>.

ولما آن الأوان لتلك البذور الطيبة أن تشق الأرض الصلبة لترى الضياء والنور ولتملأ جو الدنيا بعبيرها وأريجها كان الأمر من رب العالمين لنبيه الأمين - صلى الله عليه وسلم - بأن يجهر بالدعوة (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) <sup>(٥٦)</sup>.

وقد استجاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصعد على جبل الصفا وأعلنتها كلمات مدوية صدع بها أذن الشرك والطغيان، وفطر بها قلوب الزيغ والضلال، وهز بها أركان الوثنية والبهتان.

(أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكتتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) <sup>(٥٧)</sup>.

ولا شك أن التحول في الدعوة من الاتصال الشخصي ذي الإطار المحدود الحذر إلى هذا الإعلام الدعوي العام كان حدثاً له تبعاته من السخرية والاستهزاء والإيذاء لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأتباعه، إلا أنه كان أمراً لا بد منه لبدء انطلاق نور الدعوة من الإطار المحلي المحدود إلى أفق العالمين، وفي سبيل ذلك تهون الصعاب وتطرق الأبواب.

وهذا التحول صالح للاستخدام في العمل الدعوي في كل زمان ومكان، عندما يكون ذلك في صالح الدعوة وأتباعها وحملتها لوائها، كأن تكون الدعوة وليدة في بلد لا يعرف عن الإسلام شيئاً ويرفع راية العصبيّة لعقيدته الخاصة، ولا يسمح بفتح الباب لعقيدة أخرى.

في هذا الموقف الذي يتشابه مع موقف بدء الدعوة الإسلامية يتعامل القائمون على أمر الدعوة معه بهذا التحول المرحلي الفعال.

وكذلك الأمر إذا هوجم الدعاة إلى الله، وذاقوا الويلات؛ لجهرم بالدعوة في بلد يحتاج إلى من ينشر الإسلام فيه، لهم أن يتحولوا من الجهرية إلى السرية في العمل الدعوي. فالتحول من السرية إلى الجهرية أو من الجهرية إلى السرية من أبرز تطبيقات المرونة في العمل الدعوي.

### ثالثاً: التحول من مكان إلى مكان:

إن التحول من مكان إلى مكان يعني اختيار المكان المناسب الذي تتحقق فيه مصلحة الدعوة، فقد يبلغ الداعية مبلغاً من الضيق بأرض تحارب فيها دعوته، فليس الأمر قاصراً على عدم الاستجابة فحسب، بل يضاف إلى ذلك الصد عن سبيل الله - تعالى - بشتى أنواع الصد قولياً وعملياً، وإلحاق الأذى بالداعية وأتباعه، رجاء وأد الدعوة في مهدها قبل أن ينتشر أمرها وتقوى شوكة أتباعها.

وهو أمر قابل للتكرار والوقوع في كل زمان ومكان، ويمثل عقبة كتوداً في طريق الدعاة المخلصين الصادقين، وعلى رأسهم الدعاة من الأنبياء والمرسلين.

ويدل على هذا قول الله - سبحانه - : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(٥٨)</sup>.

وقوله - سبحانه - مخاطباً خاتم أنبيائه ورسوله: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَآوَدُوا حَتَّىٰ أَنهَم نَصْرًا ... ﴾<sup>(٥٩)</sup>.

والتكذيب في تاريخ الرسالات هو أول طريق العداء والاجتراء والافتراء، وتجاه هذا الواقع المرقد يكون الخير في أن يتحول الداعية بدعوته عن تلك الأرض ذات الجفوة إلى أرض أخرى إبقاء على النفس التي تمثل عنصر التبليغ، ورجاء أن يفتح الله لدعوته قلباً تأخذ بقواها إلى كتائب الإسلام.

هذا التحول المكاني قد يقرره الداعية بإرادته حين يدرك ببصيرته الدعوية أن ذلك هو الأفضل بالنسبة للدعوة، وقد يكون هذا التحول إجبارياً تحت وطأة الأذى والعذاب والاضطهاد، وهذا هو الغالب في تاريخ دعوات الأنبياء والمرسلين وعلى رأسهم خاتمهم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فالمتبع لدعوات الأنبياء والمرسلين يدرك أن التحول المكاني يمثل مرحلة هامة أو معلماً أساسياً في تاريخها، وأنه لم يكن لمصلحة شخصية أو هوى، وإنما كان هجرة في سبيل الله وفراراً بالعقيدة الصحيحة من بؤرة مكانية تناصبها العداء إلى حيث يُسَمَح بالتأسيس والبناء.

فها هو سيدنا نوح - عليه السلام - يهاجر عبر لجة الطوفان من الأرض التي جفاه أهلها وسخروا به وآذوه ولم يؤمن معه إلا قليل رغم طول أعوام الدعوة إلى

أرض جديدة حيث تنبت فيها بذور الإيمان بعد هلاك الظالمين، قال - سبحانه -  
 واصفاً هذا التحول بمقدماته ونتائجه: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ  
 وَازْدَجَرَ ٩﴾ فدعا ربه: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ ١٠﴾ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ١١﴾ وفجرنا الأرض  
 عيوناً فالنقى الماء على أمرٍ قد قدر ١٢﴾ وحملته على ذات الريح ودسّر ١٣﴾ بحري بأعيننا جزاء لمن كان  
 كَفِرًا ١٤﴾ ولقد تركناها آية فهل من مُدَكِّرٍ ٦٠﴾ .

وفى موضع آخر يقول - جل شأنه -: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَنَسَمَاءَ أَقْلَبِي  
 وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُصِّي الْأَمْرَ وَاسْتَوتِ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٦١﴾ .

وها هو سيدنا إبراهيم - عليه السلام - يتحول في طريق دعوته هذا التحول  
 المكاني كما قال - سبحانه وتعالى - على لسان سيدنا إبراهيم: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ  
 رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٦٢﴾ .

يقول الإمام / الرازي في تفسيره: "لما بالغ إبراهيم في الإرشاد ولم يهتد قومه،  
 وحصل اليأس الكلي، حيث رأى القوم الآية الكبرى - نجاته من النار بأمر الله - ولم  
 يؤمنوا وجبت المهاجرة، لأن الهادي إذا دعا قومه ولم ينتفعوا ببقاؤه فيهم مفسدة، لأنه  
 إن دام على الإرشاد كان اشتغالاً بما لا ينتفع به مع علمه، فيصير كمن يقول للحجر:  
 صدق وهو عبث، أو يسكت، والسكوت دليل الرضا، فيقال: بأنه صار منا ورضي  
 بأفعالنا، وإذا لم يبق للإقامة وجه وجبت المهاجرة.

وقوله: (مهاجر إلى ربي) يعني: توجهي إلى الجهة المأمور بالهجرة إليها ليس  
 طلباً للجهة إنما هو طلب لله ٦٣﴾ .

ونظير هذه الآية قوله - سبحانه - على لسان سيدنا إبراهيم - أيضاً -: (وَقَالَ

إِنِّي دَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّهْدِينِ) ٦٤﴾ .

يقول الإمام / الرازي عند تفسيره لهذه الآية: "دلت هذه الآية على أن الموضع الذي تكثر فيه الأعداء تجب مهاجرته، وذلك لأن إبراهيم - صلوات الله عليه وسلامه - مع أن الله - سبحانه - خصه بأعظم أنواع النصره، لما أحسن منهم بالعداوة الشديدة هاجر من تلك الديار، فلأن يجب ذلك على الغير كان أولى" (٦٥).

وها هو سيدنا لوط - عليه السلام - يتحول هذا التحول المكاني بأمر من الله فراراً من الانحلال الأخلاقي الذي غرق فيه قومه، وانتكاس الفطرة الذي أصابهم إتياناً للذكور دون الإناث، وإنكارهم على آل لوط طهارتهم، وتوعدهم بالإخراج من القرية ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَيَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ أَلْ لُوطِ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَنْظَهُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

فيأمره الله بأن يتحول عن هذه القرية الخبيثة التي استحقت عقاب الله قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْفُتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَكِيًّا إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدُهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَاقِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَاهِي مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٦٧﴾.

وفي تفسير قول الله - سبحانه - ﴿فَمَا مِنْ لَهٍ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَجِيٍّ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٨﴾﴾، قيل: "يحتمل عود الضمير في قوله: (وقال إني مهاجر) على لوط لأنه هو أقرب المذكورين ويحتمل عوده على إبراهيم" (٦٩).

وها هو سيدنا شعيب - عليه السلام - يتوعد قومه بأن يخرجه ومن آمن معه من قريتهم لمخالفتهم في ملتهم، قال - سبحانه - ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَفَرِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلِّكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّعْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٧٠﴾ .

يقول الإمام / القرطبي عند تفسيره لهاتين الآيتين: " قوله - تعالى - : { قال الملائكة الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا } أي: لتصيرن إلى ملتنا، وقيل: كان أتباع شعيب قبل الإيمان به على الكفر. أي لتعودن إلينا كما كنتم من قبل. فقال لهم شعيب - عليه السلام - : { أولو كنا كارهين } أي: ولو كنا كارهين تجبروننا عليه؟ أي: على الخروج من الوطن أو العود في ملتكم؟ أي: إن فعلتم هذا أتيتم عظيمًا. قوله - تعالى - : { قد افترينا على الله كذبًا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها } إياس من العود إلى ملتهم. { وما يكون لنا أن نعود فيها } أي: في القرية بعد أن كرهتم مجاورتنا، بل نخرج من قريتكم مهاجرين إلى غيرها. { إلا أن يشاء الله ربُّنا } ردُّنا إليها " (٧١).

وها هو سيدنا موسى - عليه السلام - يأتيه الأمر من الله بأن يتحول وأتباعه هذا التحول المكاني فراراً بعقيدتهم وأنفسهم من بطش فرعون وجنوده: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٰ إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴾ (٧٢).

وها هو سيدنا يونس - عليه السلام - يضيق صدره بعناد قومه فيخرج من بينهم مغاضباً كما قال - سبحانه - : ﴿ وَذَا التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْلَضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٧٣).

وها هو نبي الله عيسى - عليه السلام - يهرب من اليهود حينما كذبوه وأرادوا الفتك به، وفي تفسير قول الله - جل جلاله - : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ

رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن سُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿٧٤﴾، يقول الإمام / ابن كثير - رحمه الله -: "كان من خبر اليهود عليهم لعائن الله وسخطه وغضبه وعقابه، أنه لما بعث الله عيسى ابن مريم بالبينات والهدى، حسدوه على ما آتاه الله - تعالى - من النبوة والمعجزات الباهرات التي كان يبريء بها الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، ويصور من الطين طائراً ثم ينفخ فيه فيكون طائراً يشاهد طيرانه بإذن الله عزَّ وجلَّ، إلى غير ذلك من المعجزات التي أكرمها الله بها وأجراها على يديه، ومع هذا كذبوه وخالفوه، وسعوا في أذاه بكل ما أمكنهم، حتى جعل نبي الله عيسى - عليه السلام - لا يساكنهم في بلدة، بل يكثر السياحة هو وأمه عليهما السلام" (٧٥).

وها هو خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - يرى ما يصيب أصحابه من البلاء في مكة، استضعافاً وإجحافاً، فيأمرهم بالهجرة إلى أرض الحبشة المحصنة بالعدل، خوفاً من أن يفتنوا في دينهم تحت وطأة الأذى والعذاب، وفي أول فرصة سانحة يقوم جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - المتحدث باسم المهاجرين المسلمين - بعرض أنوار الدعوة الإسلامية أمام ملك الحبشة بأبرع ما يكون الأسلوب الدعوي الدبلوماسي.

ويتحول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن مكة إلى الطائف رجاء أن يجد آذاناً صاغية وقلوباً واعية تؤمن بدعوته فلم يجد إلا الصدود والإعراض والأذى.

وتأتى الهجرة المباركة من مكة إلى المدينة لتمثل نقطة تحول في تاريخ المسلمين حيث تحول المسلمون بعدها من القلة إلى الكثرة، ومن الضعف إلى القوة، ومن الفقر إلى الغنى، ومن الذل إلى العز، ومن الهزيمة إلى النصر، وتكونت دولة إسلامية كبرى لم يعرف التاريخ لها مثيلاً.

ولم يكن ذلك التحول اختيارياً، بل فرضته مصلحة الدعوة التي تقف في وجهها قوى البغي والطغيان، ولذلك كان إخراجاً لا خروجاً، ويدل على هذا:

قول الله - سبحانه - : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾ (٧٦).

وقوله - تعالى - : ﴿ إِلَّا نَصْرُهُ فَكَدَّ نَصْرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧٧).

وقوله - سبحانه - : ﴿ وَكَانَ مِنْ قَرَبِهِ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْنِكَ الَّتِي أَخْرَجَكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾ (٧٨).

وقوله - سبحانه - : ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ (٧٩).

وقوله - عز من قائل - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَهُم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ... ﴾ (٨٠).

وقول ورقة بن نوفل لسيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد أن أخبره خبر الوحي: (هذا التاموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أو أخرجني هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً) (٨١).

فتعرض الدعوة إلى الله تعالى للمعاداة والإخراج متأصل بجذوره في دعوات الأنبياء والمرسلين.

وقوله - صلى الله عليه وسلم - في فضل مكة: (والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخْرِجْتُ منك ما خرجت) (٨٢).

ويهاجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من بلده التي تربى بين ربوعها، وتعلق فؤاده بكل حصاة من حصياتها، "وبهذه الهجرة تمت لرسولنا صلى الله عليه وسلم سنة إخوانه من الأنبياء من قبله، فما من نبي منهم إلا نبت به بلاد نشأته فهاجر عنها.. فلا غرابة أن هاجر - صلى الله عليه وسلم - من بلاد منعه أهلها من تميم ما أراد الله ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْدَلَ سُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (٨٣) (٨٤).

ودعاء المستضعفين من النساء والولدان هو - كما ذكر الله -: ﴿... رَبَّنَا أَخْرِجْنَا

مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَإِنَّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾ (٨٥).

وينبغي أن يعلم أن الذي يهاجر في سبيل الله ليست هجرته هرباً من طغيان الطغاة بقدر كونها محاولة لإيجاد أرض أخرى تبذر فيها بذور الدعوة إلى الله تعالى، ومن يدري؟ فقد يأتي الخير من حيث لا يُحْتَسَب، كما قد يأتي الشر من حيث لا يُحْتَسَب. "فالهجرة نفسها ضرب غير يسير من ضروب العذاب والألم في سبيل الدين، فهي ليست - في الحقيقة - هرباً من الأذى، وبحثا عن الراحة، بل هي تبادل للمحنة ريثما يأتي الفرج والنصر" (٨٦).

وباب الهجرة - عند خوف الفتنة في الدين - مفتوح، فمن قصر وفتن في دينه فقد ظلم نفسه وجنى عليها، اللهم إلا إذا كان صاحب عذر أو ضعف أو عجز عن الهجرة فهو على رجاء في عفو الله ومغفرته، ومن هاجر في سبيل الله عوضه الله خيراً إن أبقاه أو توفاه، وفي ذلك يقول الحق - سبحانه -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ ظَالِمِينَ

أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا

فَأُولَئِكَ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا  
يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿١٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿١٩﴾  
﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ  
وَرَسُولِهِ ثُمَّ يَدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾<sup>(٨٧)</sup>، فالتحول من مكان  
إلى مكان؛ تحقيقا لمصلحة الدعوة من أبرز تطبيقات المرونة في العمل الدعوي.

#### رابعاً: التحول من زمان إلى زمان:

إن التحول من زمان إلى زمان يعني اختيار الزمن المناسب للقيام بالعمل  
الدعوي الذي تتحقق به مصلحة الدعوة، وهذا يحتاج إلى فطنة وتخطيط وحس دعوي  
عالٍ تُدرك به إمكانية تحقق الغاية المرجوة في وقت دون آخر.

ولعل هذا التحول الزمني يُدرك من خلال تحوُّل الرسول - صلى الله عليه  
وسلم - الناس بالموعظة، إذ أن للنفوس إقبالاً وإدباراً.

فعن أبي وائل قال: ( كان عبد الله - هو ابن مسعود وكنيته أبو عبد الرحمن -  
يذكر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَرْتَنَا كُلَّ  
يَوْمٍ. قال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أُملِّكُكم، وإني أتخولكم بالموعظة كما  
كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يتخولُّنا بها مخافة السامة علينا)<sup>(٨٨)</sup>.

ولعل هذا التحول الزمني يُدرك أيضاً من خلال بدء الدعوة الإسلامية سرّاً  
لفترة ثلاث سنوات حتى أذن الله لنبيه بالجهار بالدعوة بعد أن تكونت كتيبة الإسلام  
الأولى التي تمثل بذرة طيبة لشجرة الإسلام التي امتدت فروعها وظللت بظلالها ربوع  
العالمين.

ولعل هذا التحول الزماني يدرك أيضا من خلال تأخر مشروعية القتال في الإسلام حتى خرج المسلمون من بؤرة الاستضعاف المكسي إلى ساحة الميدان المدني حيث انطلاق كتائب المجاهدين لنشر دين الله وإزالة كل حجر عثرة يقف في طريق دعوة الإسلام.

ولعل هذا التحول الزماني يُدرك أيضا من خلال إرساء النبي - صلى الله عليه وسلم - دعائم الاستقرار للدولة الجديدة الناشئة بعد الهجرة المباركة من مكة إلى المدينة، حيث إن طبيعة المرحلة تقتضي ترتيب الأوراق، والتخطيط الدقيق لهذا الطريق قبل الانطلاق، وإغلاق الباب أمام بواعث الفتنة والشقاق، فكان الدستور الذي نسج المسلمين جميعا بنسيج الوحدة الإسلامية حيث المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ونظم علاقة المسلمين بغيرهم حيث المعاهدة التي حددت لليهود ما لهم وما عليهم.

ولعل هذا التحول الزماني يُدرك أيضا من خلال قبول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلح الحديبية، وإعطائه المشركين كل ما سألوه من الشروط، وتساهله معهم في أمور لم يجد أحد من الصحابة ما يسوغ التساهل فيها، إذ أن هذا الصلح قد أثمر ثماراً طيبة للإسلام والمسلمين، إن أمر هذا الصلح كان مظهرًا لتدبير إلهي محض تجلّى فيه عمل النبوة وأثرها كما لم يتجل في أي عمل أو تدبير آخر، فقد كان نجاحه سرًا مرتبطًا بمكنون الغيب المطوي في علم الله وحده، ولذلك انتزع دهشة المسلمين أكثر مما اعتمد على فكرهم وتدبيرهم.

إن صلح الحديبية كان مقدمة بين يدي فتح مكة، وتلك هي سنة الله سبحانه وتعالى، أن يوطئ بين يدي الأمور التي تعلق إرادته بإنجازها مقدمات تؤذن بها وتدل عليها.

ولئن لم يكن المسلمون قد تنبهوا لهذا في حينه، فذلك لأن المستقبل غائب عنهم، فأنى لهم أن يفهموا علاقة الواقع الذي رأوه بالغيب الذي لم يتصوروه بعد؟

ولكن ما إن مضت فترة من الزمن حتى أخذ المسلمون يستشفون أهمية هذه الهدنة وعظيم ما قد انطوت عليه من خير، فإن الناس آمن بعضهم بعضاً، واختلط المسلمون بالكفار ونادوهم بالدعوة، وأسمعوهم القرآن، وناظروهم على الإسلام جهرة آمنين، وظهر من كان متخفياً بالإسلام" (٨٩).

وقد روى ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق عن الزهري قال: " ما فُتِحَ في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة، ووضعت الحرب، وآمن الناس بعضهم بعضاً، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يُكَلِّم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك الستين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر. ثم قال ابن هشام: والدليل على قول الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية في ألف وأربع مئة في قول جابر بن عبد الله، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بستين في عشرة آلاف" (٩٠).

ومن أجل هذا الخير العميم والفتح العظيم الذي أعقب هذا الصلح سمي الله هذا الصلح فتحاً، فقال - سبحانه - : ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسِكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (٩١)، " وهو صلح الحديبية " (٩٢).

ويظل هذا التحول الزماني من أبرز تطبيقات المرونة في العمل الدعوي، ويبقى صالحاً للاستخدام في ميدان الدعوة في كل زمان ومكان؛ تحقيقاً لمصلحة الدعوة.

#### خامساً: التحول إلى ما يناسب المدعو من الوسائل والأساليب:

إن دعوة الناس قد تبدو أمراً يسيراً لمن نظر إليها على أنها مجرد دعوة فحسب دون أن ينظر إلى تحقق ثمرة تلك الدعوة.

وإذا كان ذلك كذلك فإن الذي يعنيه أمر الدعوة من حيث الغاية والنتيجة يدرك بيقين أن الوصول إلى موقع الإقناع العقلي والتأثير القلبي لدى بني الإنسان ليس أمراً يسيراً، بل هو من الصعوبة بمكان، نظراً لتفاوت إدراكاتهم وتباين اتجاهاتهم، ومن هنا اهتم الإسلام اهتماماً عظيماً بمدد يد العون الفكري والقلبي للإنسان، ليصل من خلال إدراكه الواعي وإرادته الحرة إلى دين الحق.

وبدون هذا العون الإلهي يصبح الوصول إلى الحق أمراً عسيراً، "لقد جاء هذا الدين يخاطب الإدراك البشري بكل قواه وطاقاته: يخاطب العقل المفكر، ويخاطب الوجدان المنفعل" (٩٣).

يقول فضيلة الشيخ / محمد الغزالي - رحمه الله -: "إن الإسلام في تكوينه للعقيدة يخاطب القلب والعقل، ويستثير العاطفة والفكر، ويوقظ الانفعالات النفسية مع إيقاظه للقوى الذهنية" (٩٤).

وما الحواس البشرية الظاهرة إلا سبل تنتقل من خلالها وقائع العالم الخارجي إلى النفس الإنسانية المدركة (عقلاً وقلبا)، ليصدر الحكم عليها من خلال الدستور الكامن فيها، ذلك الدستور الذي عنيت الدعوة الإسلامية بتسطير مواده في ازدواجية تجمع بين قناعة العقل وعاطفة القلب، والأصل في ذلك قول الله - عز وجل - مخاطباً نبيه الأمين - صلى الله عليه وسلم - وكلُّ من يملك مؤهلات الدعوة إلى يوم القيامة: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... ﴾ (٩٥).

فبالحكمة والمجادلة تخاطب طاقة الفكر، وبالموعظة الحسنة تخاطب عاطفة القلب، فالداعية عليه أن يتحول في دعوته إلى ما يناسب المدعو، وهو ما يسمى بمراعاة أحوال المخاطبين (٩٦)، وكل نفس (مطمئنة أو لوامة أو أمارة بالسوء) لها ما يناسبها ويجدي معها في ميدان الدعوة إلى الله تعالى.

\* فمن المدعويين من يناسبه التركيز على الجانب العقلي، ومنهم من يناسبه التركيز على الجانب العاطفي، ومنهم من يناسبه المزج أو الجمع بينهما، وقدوة الدعاة في ذلك سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعن سليم بن عامر عن أبي أمامة قال: (إن فتى شابا أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال: ادنه، فدنا منه قريبا، قال: فجلس، قال: أتجبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتجبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتجبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتجبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعلماتهم، قال: أفتجبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء)<sup>(٩٧)</sup>.

فانظر كيف تعامل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع الجانب العقلي الإقناعي ثم أتبعه بالتعامل مع الجانب العاطفي التأثيري، وكيف أثمر هذا التعامل ثمرته مع هذا الشاب.

\* ومن المدعويين من يناسبه القول، ومنهم من يناسبه القدوة والسلوك، ومنهم من يناسبه الجمع بينهما، كما ظهر ذلك جليا عندما عقد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع المشركين صلح الحديبية وحزن المسلمون لكونهم جاءوا معتمرين فصدوا عن البيت، "فأقبل النبي - صلى الله عليه وسلم - على أصحابه فقال لهم: قوموا فانحروا ثم احلقوا - وكرر ذلك ثلاثا - فوجم جميعهم وما قام منهم أحد، فدخل على زوجته أم سلمة، وذكر لها ما لقي من الناس، فقالت له: يا رسول الله، أتجبه ذلك؟ اخرج لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك،

فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك: نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يخلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل الآخر لفرط الغم" (٩٨).

\* ومن المدعويين من يناسبه الترغيب، ومنهم من يناسبه الترهيب، ومنهم من يناسبه الجمع بينهما على حسب الحال... إلخ.

والداعية ببصيرته الدعوية يتحول إلى ما يناسب المدعو، وهذا يستلزم أن يكون الداعي عالماً بأحوال الناس، خبيراً بأمراض الاجتماع؛ ليدعو ويرشد كل فريق بما يناسبه، فإن كان يجهل أحوال الناس وعللهم أخطأ كثيراً في إصلاح القلوب وعلاج النفوس، وكان كمتطبب جرب دواءً في مرض خاص فنجع فصار يصف ذلك الدواء بعينه لكل مريض، وخطر ذلك على الأبدان جسيم، فكذا على القلوب" (٩٩).

وأود التنبيه إلى أن العمل الدعوي اليوم بحاجة إلى التجديد في الدعوة وعدم الجمود على بعض الأساليب الرتيبة التي تولد رتابتها نفورا وإعراضا في نفوس المدعويين.

كما أن العمل الدعوي اليوم يحتاج إلى تطوير وسائله وتوظيف التقنية الحديثة في نشر دين الله، وأن تكون للمسلمين وسائلهم الإعلامية القادرة على المنافسة بل الهيمنة على المستوى الإعلامي المحلي والعالمي، والتأثير في دنيا الناس بإعلام إسلامي متخصص ذي إمكانيات ومؤهلات على مستوى المؤسسة الإعلامية أفراداً وآلات.

ولعل انصراف كثير من الناس عن الدعوة والدعاة يرجع إلى عدم قدرة الأجهزة الدعوية على التنافس مع الوسائل الإعلامية والتثقيفية الأخرى من حيث التطور والاستحواذ على العقول والقلوب.

وهذا يتطلب من القائمين على أمر الدعوة إلى الله - تعالى - أن يشمروا عن ساعد الجد كي يدرسوا ويتدارسوا أمر الدعوة بين الواقع وما يجب أن يكون من خلال مؤتمرات عالمية للدعوة والدعاة بشرط أن تخرج توصيات تلك المؤتمرات إلى حيز التنفيذ في ظل متابعة دقيقة للتقييم والتقويم.

ولن يتحقق هذا إلا بإدراك حقيقي لأهمية الدعوة في النهوض بالمجتمعات وإخلاص النية لله - تعالى - في العمل على رفعة شأن الدعوة والدعاة.

فالتحول إلى ما يناسب المدعو من الوسائل والأساليب ومواكبة تطورات العصر ومستجدات الأحداث مع عدم المساس بثوابت الدين من أبرز تطبيقات المرونة في العمل الدعوي.

#### سادساً: التدرج في العمل الدعوي:

إن التدرج التشريعي منهج إسلامي أصيل؛ إذ أن إثقال النفوس بالتكاليف دفعه واحدة يسلك بها مسلك الإعراض وعدم الاستجابة، ومثال هذا: التدرج في تحريم الخمر، والتدرج في تحريم الربا.

وكما أن التدرج التشريعي منهج إسلامي أصيل فكذلك التدرج التبليغي منهج إسلامي أصيل، والداعية الحكيم يفقه كيف يستخدم المرونة متدرجا بالناس في العمل الدعوي.

ومن هنا تجلت حكمة النبي - صلى الله عليه وسلم - ومعرفته بطبائع النفوس عندما بعث معاذاً إلى اليمن فقال - موجهاً له -: (إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله - عز وجل - فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم)<sup>(١٠٠)</sup>.

وأبرز ما يجلي ذلك التدرج التبليغي (التوسع الدعوي من المحلية إلى العالمية)، والذي نحتاج إليه في يومنا هذا أكثر من ذي قبل، ولا يخفى أن العمل على بث المبادئ الجديدة في نفوس حاوية أو في نفوس ذات باع طويل في اعتناق النقيض لا يكون دفعة واحدة ولا يحقق ثمرته مرة واحدة.

وقد ظهر هذا التدرج أثناء التوسع الدعوي في دعوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأجلى ما يكون، فبعد التحول من السرية إلى الجهرية في الدعوة إلى الله - تعالى - بدأت مسيرة التوسع من المحلية إلى العالمية رويداً رويداً، كما يلي:

\* لما هاجر المسلمون إلى الحبشة وكان استجواب النجاشي لهم، أجاب سيدنا جعفر بن أبي طالب إجابة عرض فيها دعوة الإسلام - بصفائها ونقاها - عقيدة وعبادة وشريعة وأخلاقاً، عرضاً امتلك به لب النجاشي الذي أمنتهم في دياره.

\* ولما اشتد أذى المشركين بمكة برسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحول بدعوته إلى خارج مكة، تحول إلى الطائف، "وهي تبعد عن مكة نحو ستين ميلاً، وكان كلما مر على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الإسلام فلم تجب إليه واحدة منها" (١٠١)، فلما وصل إلى الطائف دعا أهلها إلى الله وإلى نصرته الإسلام فكانوا أشد عليه من أهل مكة، فلجأ إلى الله - سبحانه - شاكياً إليه ضعف قوته وقلة حيلته وهوانه على الناس، وهذا اللجوء إلى الله هو ما يجب أن يكون عليه حال الدعاة إلى الله في كل آن خاصة عندما تواجههم الشدائد وتعرضهم العقبات، فإن اللجوء إلى الله يعقب المحنة منحة، وهو ما حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة حين يئس من خير ثقيف، حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي، فمر به نفر من الجن الذين ذكرهم الله، فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا، فقص الله خبرهم عليه - صلى الله عليه وسلم - فقال - سبحانه - : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِّنْ

الْحِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٦١﴾  
 قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى  
 طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ، يَعْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ  
 أَلِيمٍ ﴿١٠٢﴾، وقال - تبارك وتعالى - ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْخَنِفِ قَالُوا إِنَّا  
 سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ، وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ ﴿١٠٣﴾، إلى آخر ما ورد  
 من خبرهم في هذه السورة الكريمة " (١٠٤) .

\* ثم أخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعرض دعوته على قبائل العرب في  
 المواسم، وما سمع رسول الله بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف إلا  
 وتصدى له فدعاه إلى الله وعرض عليه ما عنده.

\* ثم كانت بيعة العقبة الأولى في موسم الحج سنة ١٢ من النبوة، يوليو سنة ٦٢١م،  
 حيث التقى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - باثني عشر رجلاً من أهل يثرب  
 عند العقبة فبايعهم وبايعوه بيعة النساء، أي وفق بيعتهن التي نزلت بعد الحديبية.

عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه  
 وسلم - قال وحوله عصابة من أصحابه: (تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله  
 شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين  
 أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن  
 أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئاً  
 فستره الله فأمره إلى الله: إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه) قال: فبايعناه على ذلك (١٠٥).

\* وبعد أن تمت البيعة وانتهى الموسم بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - مع هؤلاء  
 المبايعين إلى يثرب أول سفير في الإسلام، وهو مصعب بن عمير - رضي الله عنه -  
 ليعلم المسلمين فيها شرائع الإسلام، ويفقههم في الدين، وليقوم بنشر الإسلام بين

الذين لم يزالوا على الشرك، وقد وفق الله مصعب في مهمته حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون أو على الأقل ذكراً لدعوة الإسلام<sup>(١٠٦)</sup>.

\* ثم كانت بيعة العقبة الثانية في موسم الحج التالي، حيث التقى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين من أهل يثرب، فقالوا: يا رسول الله، علام نبايعك؟ قال: (تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم ولكم الجنة)<sup>(١٠٧)</sup>، فبايعوه، وبعد أن تمت البيعة طلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يختاروا اثني عشر زعيماً يكونون نقباء على قومهم، يكلفون بالمسئولية عنهم في تنفيذ بنود هذه البيعة<sup>(١٠٨)</sup>.

\* ثم كانت الهجرة النبوية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة بداية التوسع الدعوي كما ينبغي أن يكون.

\* ثم كانت مشروعية القتال، ولا يخفى أن من أسباب مشروعيته إزالة كل حجر عثرة يقف في طريق نشر الدعوة وحمل لوائها إلى ربوع العالمين.

\* ثم كانت بداية مكاتبات الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى ملوك وأمراء الآفاق يدعوهم إلى الله - عز وجل - وإلى الدخول في دين الإسلام، إذ أن الناس غالباً على دين ملوكهم، وكان ذلك في آخر سنة ست من الهجرة حين رجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الحديبية، فمنهم من آمن ومنهم من كفر، وقد كانت هذه المكاتبات ذات أثر فعال في الإعلام العالمي بهذا الدين العظيم ونبيه الكريم صلى الله عليه وسلم<sup>(١٠٩)</sup>.

\* ثم كان فتح مكة سنة ٨ هـ، ودخل الناس في دين الله أفواجا، وتوالت الوفود إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليبايعوه على الإسلام، وقد سمي العام التاسع الهجري بعام الوفود<sup>(١١٠)</sup>.

\* كما حرص النبي - صلى الله عليه وسلم - على إرسال دعواته إلى الأمصار لدعوة أهلها إلى الله وتعليمهم الإسلام، فقد بعث - صلى الله عليه وسلم - سيدنا معاذاً إلى اليمن كما سبق ذكره.

وهكذا يتضح أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يترك سبيلاً إلا وسلكه تحقيقاً لعالمية الإسلام:

كما قال - سبحانه -: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً)<sup>(١١١)</sup>.

وكما قال - صلى الله عليه وسلم -: (وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة)<sup>(١١٢)</sup>.

وهذا التوسع من المحلية إلى العالمية أمر طبيعي ومنطقي لنجاح كل دعوة، فالإنسان يتحمل مسؤوليته أولاً عن نفسه ثم عن أهله وعشيرته ثم عن أهل حيه وبلدته ثم بعد ذلك عن كافة الناس بقدر استطاعته.

ومن ثم فإنه يجب على المؤسسات الدعوية أن تطرق كل باب فيه نشر للإسلام وتحقيق لعالميته وفقاً لمنهج التدرج التبليغي الذي يعد من أبرز تطبيقات المرونة في العمل الدعوي التي تفيد في اختيار الخطوة الملائمة بحسب رؤية القائمين على أمر الدعوة.

### سابعاً: استخدام المداراة في بعض الأحوال:

إن المرونة في العمل الدعوي تقتضي إمكانية استخدام الداعية المداراة في بعض الأحوال؛ تحقيقاً لمصلحة الدعوة والداعية والمدعو كذلك.

قال ابن بطلال: "المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس، ولين الكلمة وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة، وسل السخيمة... والمداراة هي الرفق بالجاهل الذي يستتر بالمعاصي ولا يجاهر بالكبائر، والمعاطفة في رد أهل الباطل إلى مراد الله بلين ولطف حتى يرجعوا عما هم عليه" (١١٣).  
وقال ابن حجر: "المداراة الدفع برفق" (١١٤).

وقال المناوي: "المداراة: الملاينة و الملاطفة" (١١٥).

وقال أحد الباحثين: "المداراة معناها التلطف بالمدعو، وإظهار البشاشة له، ومراعاته، دون إخفاء أو تحسين لباطل أو تغيير لحقيقة" (١١٦).

وللمداراة أمثلة تطبيقية في حياة النبي ﷺ.

فقد أفرد الإمام البخاري في صحيحه باباً بعنوان (المداراة مع الناس) وأورد فيه حديثاً عن عروة بن الزبير أن عائشة - رضي الله عنها - أخبرته أنه استأذن على النبي - صلى الله عليه وسلم - رجل فقال: (اأئذوا له، فيئس ابن العشييرة - أو بئس أخو العشييرة - فلما دخل أَلانَ له الكلام، قلت: يا رسول الله، قلت ما قلت ثم أَلنتَ له في القول. فقال: أي عائشة، إن شرَّ الناس منزلة عند الله من تركه - أو ودعه - الناس اتقاءً فحشيه) (١١٧).

وبناء عليه فالمداراة لمصلحة الدعوة صورة من صور المرونة في العمل الدعوي.

ولأنه قد يكون هناك تداخل عند البعض بين مفهوم المداراة والمداهنة فالأمر

يتطلب توضيح مفهوم المداهنة:

قال الجرجاني: (المداهنة هي أن ترى منكرا وتقدر على دفعه ولم تدفعه حفظاً لجانب مرتكبه أو جانب غيره أو لقلّة مبالاة في الدين) <sup>(١١٨)</sup>.

فمن خلال مفهوم المداهنة السابق ذكره يتضح أن المرونة والمداراة - التي هي صورة من صور المرونة - شيء، و المداهنة شيء آخر، فالمرونة والمداراة جائزة بخلاف المداهنة فإنها محرمة شرعاً.

ويشير إلى هذا المعنى الإمام / ابن القيم بقوله: (وكذلك المداراة صفة مدح، والمداهنة صفة ذم، والفرق بينها أن المداري يتلطف بصاحبه حتى يستخرج منه الحق أو يرده عن الباطل، والمداهن يتلطف به ليقره على باطله ويتركه على هواه، فالمداراة لأهل الإيمان والمداهنة لأهل النفاق) <sup>(١١٩)</sup>. وهذا ما يؤكد ابن بطال بقوله: (وقد ظن من لم ينعم النظر أن المداراة هي المداهنة، وذلك غلط، لأن المداراة مندوب إليها، والمداهنة محرمة) <sup>(١٢٠)</sup>.

ويوضح القرطبي محل الفرق بقوله: (والفرق بين المداراة والمداهنة، أن المداراة: بذل الدنيا لصالح الدنيا أو الدين، وهي مباحة ومستحسنة في بعض الأحوال، والمداهنة المذمومة المحرمة: هي بذل الدين لصالح الدنيا) <sup>(١٢١)</sup>.

ونخرج من ذلك أن المداراة صورة من صور المرونة، وأن المداهنة شكل من أشكال النفاق.

كانت تلك أبرز تطبيقات المرونة في العمل الدعوي مقترنة بآثارها في ميدان الدعوة إلى الله تعالى.

### المبحث الثالث

#### معوقات المرونة في العمل الدعوي وسبل مواجهتها

إن المرونة في العمل الدعوي تمثل جانبا من منظومة الدعوة إلى الله تعالى، وبناء عليه يصيبها ما يصيب المنظومة، وتتعرض للكثير من المعوقات التي تجعلها غير ملموسة في ميدان الدعوة في كثير من الأحيان، الأمر الذي يتطلب مواجهة تلك المعوقات بما يناسبها، وفي هذا المبحث بيان لأبرز تلك المعوقات وسبل مواجهتها، وذلك كما يلي:

#### أولا: معوقات المرونة في العمل الدعوي:

إن أغلب معوقات المرونة في العمل الدعوي وثيقة الصلة بذات الداعية، وسيوضح ذلك من خلال استعراض تلك المعوقات على النحو التالي:

#### ١- التعصب للرؤية الشخصية:

إن التعصب لأسلوب دعوي معين، أو وسيلة دعوية معينة، من أبرز معوقات المرونة في العمل الدعوي، والتعصب هو " شيمة من شيم الضعف، وخلة من خلل الجهل، يبتلى بها الإنسان فتعمي بصره و تغشي عقله، فلا يرى حسناً إلا ما حَسُنَ في رأيه، وصواباً إلا ما ذهب إليه أو من تعصب له " (١٢٢)، وغالبا ما يأتي هذا التعصب بنتائج سلبية في ميدان الدعوة إلى الله تعالى: جمودا للدعوة، وإعراضا عنها، ونفورا من الداعي، وفي المقابل تفاعل مع دعاة آخرين يترجمون المرونة، ولكن - وللأسف - ربما يتبنون غير الحق.

إن التعصب من قِبَل بعض الدعاة لأسلوب دعوي معين أو وسيلة دعوية معينة دون نظر إلى أسلوب آخر ربما يكون أقوى تأثيرا، أو وسيلة أخرى ربما تكون أسرع

وصولاً وأوسع نطاقاً، دليل على عدم فقه المرونة في العمل الدعوي، فالأمر - بالنسبة لاستخدام الأساليب والوسائل - فيه سعة طالما أنه في إطار المشروع أو المباح، المحقق لأهداف الدعوة بإذن الله.

## ٢- التقليد الأعمى لبعض الدعاة المبرزين:

إن التقليد منه ما هو محمود ومنه ما هو مذموم، وبما أنه قد ذكر في إطار المعوقات فمن المؤكد أن المراد هنا هو التقليد الباطل المذموم، الذي عرفه شيخ الإسلام / ابن تيمية - رحمه الله - بأنه "قبول قول الغير بلا حجة" (١٢٣). كما عرفه الخطيب البغدادي بأنه "قبول القول من غير دليل" (١٢٤).

وهذا النوع من التقليد هو المذموم في الشريعة الإسلامية، قال - جل وعلا -:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (١٢٥).

وبما أن الحديث عن العمل الدعوي، فيمكن القول: إن التقليد الأعمى في هذا الميدان هو (السير في ركاب بعض الدعاة تقليداً لأساليبهم ووسائلهم دون النظر إلى اختلاف الزمان أو المكان أو المدعويين)، وهذا التقليد الأعمى من أبرز معوقات المرونة في العمل الدعوي؛ إذ أنه يعطل العقل، ويضيق عليه ويقيده، فلا يسمح له برؤية المناسب والمفيد.

## ٣- اتباع الهوى:

يعرف الهوى بشكل عام بأنه "ميل الطبع إلى ما يلائمه" (١٢٦)، واتباع الهوى من أبرز معوقات المرونة في العمل الدعوي؛ وما ذلك إلا لأن الهوى يصد صاحبه عن رؤية المناسب والمفيد في ميدان الدعوة، ويجعله يستبعد ما عند الآخر حتى وهو يعلم أنه صواب، ويمنعه من الاعتراف بالخطأ، ويبعده عن الإنصاف والموضوعية في الحكم.

وقد ذم الإسلام من اتبع الهوى دون عقل أو تفكير في غير موضع من آيات القرآن:

قال - تعالى -: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَن أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(١٢٧)</sup>، وقال - تعالى -: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾<sup>(١٢٨)</sup>، وقال - تعالى -: ﴿ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴾<sup>(١٢٩)</sup>.

#### ٤ - ضيق الأفق أو قصر النظر:

إن مفهوم ضيق الأفق أو قصر النظر في الاصطلاح الشرعي والدعوى هو "ضعف أو خلل في البصيرة يؤدي إلى حصر التفكير أو الرؤية في حدود ضيقة لا تتجاوز المكان و الزمان، أو بعبارة أخرى، هو ضعف أو خلل في البصيرة يؤدي إلى رؤية القريب وما تحت القدمين فقط، دون النظر إلى البعيد، ودون تقدير الآثار و العواقب"<sup>(١٣٠)</sup>، وبمعنى آخر "هو النظر إلى الأمور بسطحية دون مقاصدها وأبعادها"<sup>(١٣١)</sup>، وضيق الأفق من أبرز معوقات المرونة في العمل الدعوي؛ إذ أنه يجعل صاحبه ينظر إلى الأمور بزاوية واحدة مما يجعله يصطدم بكثير من العقبات التي تواجهه، فتجده غير قادر على استيعابها أو الالتفاف حولها، يقول الدكتور / السيد نوح: "إن ضيق الأفق أو قصر النظر، سيواجه في طريقه الكثير من العقبات والصعاب، ولن يستطيع - لضيق أفقه أو قصر نظره - استيعاب هذه العقبات، وتلك الصعاب، ومحاولة التغلب عليها"<sup>(١٣٢)</sup>، وبالتالي تكون النتيجة الجمود، والاعتراض على كل جديد، ومصادرة آراء الآخرين.

وإن الناظر في السيرة النبوية يرى كيف كان النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يحطم الأصنام التي حول الكعبة خلال ثلاث عشرة سنة من الدعوة، وما فعل ذلك

إلا يوم فتح مكة، وما ذلك إلا لسعة أُفقه - صلى الله عليه وسلم - وبعد نظره "لأنه كان يرى أن البدء بتحطيم هذه الأصنام قبل تحطيم الأصنام الموجودة بداخل النفوس، تلك التي توجه وتدعو إلى الشرك والإثم والرذيلة، سيساعد على إعادة بناء هذه الأصنام من الذهب، بدلا من الحجارة، بل سيضعف من عددها، لذا تركها، وعمد إلى إصلاح النفوس من داخلها، تطبيقا لقوله - تعالى - : (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) <sup>(١٣٣)</sup>، حتى إذا صلحت هذه النفوس واستقامت على منهج الله وترابطت فيما بينها قادها - صلى الله عليه وسلم - وفتح بها مكة وحطم بها هذه الأصنام" <sup>(١٣٤)</sup>.

#### ٥- الانكفاء على الذات:

ويقصد بالانكفاء على الذات هنا "التمركز العقلي حول الذات أو عدم إعطاء وجهة النظر الأخرى أي اعتبار أو عدم وضع الإنسان نفسه مكان الطرف الآخر عند مناقشة أية قضية أو مسألة أو موضوع أو مشكلة من المشاكل أو عدم تفهم رأيه أو موقفه من تلك المشكلة أو الموضوع" <sup>(١٣٥)</sup>. وهذا الانكفاء يخرج عقلية أحادية، عقلية البعد الواحد، وصاحب هذه العقلية من الصعب معاشته، وما ذلك إلا لأن الآخر لا يعني له أي شيء، وليس عنده الاستعداد لتقبل وجهة نظر الآخر أو تفهم الطرف الآخر، فلغة إقصاء الآخر عنده بارزة وواضحة، وبناء عليه لا يوجد عنده أدنى اهتمام بالبحث عن المناسب والمفيد في العمل الدعوي؛ مما يجعل الناس يتخذون منه موقف سلبياً، فينعزلون عنه، ولا يرغبون فيه <sup>(١٣٦)</sup>.

كانت تلك أبرز معوقات المرونة في العمل الدعوي، والتي تحتاج إلى سبل

مناسبة لمواجهتها، وبيان ذلك فيما يلي:

ثانياً: سبل مواجهة معوقات المرونة في العمل الدعوي:

#### ١- الإقرار الذاتي بوجود مشكلة عدم المرونة:

إن أول خطوة في طريق العلاج هي اعتراف المريض بمرضه وحاجته للعلاج، وبعد ذلك يكون تشخيص الداء ووصف الدواء، والعامل في ميدان الدعوة إلى الله - تعالى - إذا لم يكن لديه القدر الكافي من المرونة في العمل الدعوي، فإنه بحاجة إلى الاعتراف والإقرار الذاتي بوجود مشكلة عدم المرونة حتى يبدأ تحليل المشكلة بدقة ووضع أنسب السبل لمواجهتها في ضوء دراسات علمية دعوية دقيقة؛ إذ في ظل عدم الاعتراف والإقرار يكون العناد، وبالتالي يبقى الحال على ما هو عليه.

#### ٢- سعة المعرفة وتنوع الثقافة:

إن سعة المعرفة وتنوع الثقافة من أبرز سبل مواجهة معوقات المرونة في العمل الدعوي، والمقصود أن يكون العامل في ميدان الدعوة إلى الله ذا قدر كبير من المعرفة وتنوع شامل في ميدان الثقافة<sup>(١٣٧)</sup>، ويتحقق هذا بأمر كثيرة، منها:

أ- طلب العلم، والمقصود هنا بالعلم جميع العلوم المباحة بجميع أنواعها، وليس المقصود علوم الشريعة فقط، وإن كانت علوم الدين أشرف العلوم وأفضلها، وإن الإنسان المسلم إذا أخلص في طلب العلم، فإنه يرزق نور العقل مع نور البصيرة بإذن الله، كما أن العلم يضيف لصاحبه سعة في الإدراك، وزيادة في الوعي، ودرجة في الفهم، وحسناً في التأني، ولهذا كان طلب العلم من أهم طرق كسب المرونة.

ب- القراءة الكثيرة المتنوعة في كافة المجالات على وجه الاستمرار لا الانقطاع، وخاصة ما يتعلق بالعلوم الشرعية، والدراسات النفسية، والاجتماعية، والتاريخية... إلخ.

ولا يخفى أن أولى كلمات وحي السماء (اقرأ باسم ربك الذي خلق) (١٣٨)،  
فالقراءة مفتاح العلم والمعرفة، ولأن مجالات القراءة متعددة ومطلوب من المسلم أن  
ينهله بقدر طاقته، لا يدخر وسعا في ذلك، لم يُذكر المفعول به في الآية، ليفيد ذلك  
معنى العموم.

إن القراءة المستمرة في المجالات السابقة الذكر وغيرها، تكسب الإنسان سعة في  
الآفاق وبعداً في النظر، فهو يرى كيف تجري سنة الله في البشر، وكيف يقرب الله الأيام  
بين الناس، ويعلم طبائع النفس الإنسانية، والطرق المثلى للتعامل معها.  
بل إن القراءة في هذه المجالات لا تكسب الإنسان المرونة، بل تكسبه الكثير  
والكثير من المرونة.

ج- محاورة أهل العلم والخبرة في كل فن، فاستخراج ما عند أهل العلم والخبرة لا  
يكون إلا بلغة الحوار وحسن السؤال، فإنه بالحوار تفتح للإنسان أبواب من الخير  
لم يكن يتوقعها، وحسن السؤال مفتاح للعلم، يقول الزهري: "العلم خزائن  
ومفاتيحها السؤال" (١٣٩). وإن لم يستطع الإنسان محاورة أهل العلم والخبرة  
مباشرة، فليستفد من تقنيات العصر، فيمكن للإنسان اليوم أن ينشئ حواراً مع  
من يشاء في أرجاء المعمورة وهو جالس في منزله عن طريق شبكة "الإنترنت" بكل  
يسر وسهولة.

### ٣- الاستفادة من تجارب الدعاة - المرتبطة بالمرونة - قديماً وحديثاً:

إن الاستفادة من تجارب الدعاة - المرتبطة بالمرونة - قديماً وحديثاً توفر  
الأعمار، وتختصر الأزمان، وتعطي مؤشرات ذات مصداقية عالية لأثر ونتائج تلك  
التجارب في ميدان العمل الدعوي، وتتيح للعامل في ميدان الدعوة البناء على أساس.  
وخير التجارب الجديرة بالاطلاع عليها التجارب المذكورة في سير الأنبياء

عليهم السلام، وفي مقدمتهم سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم. ثم التجارب المذكورة في سير الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم أجمعين - ومن بعدهم من الدعاة والمصلحين إلى زماننا هذا، فإن حياتهم مليئة بأنواع من التجارب والخبرات في مجالات الدعوة المختلفة<sup>(١٤٠)</sup>.

#### ٤- نشر فقه المرونة في العمل الدعوي:

وأعني بذلك نشر الفهم الصحيح لجانب المرونة في العمل الدعوي، وإبراز الدراسات والأبحاث العلمية التي تعنى به، والاهتمام بتدريسه مفصلاً في كافة الكليات والأقسام والمعاهد المعنية بتخريج الدعاة إلى ميدان الدعوة، وتكثيف الدورات التدريبية التي تعنى ببيان فقه المرونة في العمل الدعوي للدعاة على الله تعالى، وتركيز وسائل الإعلام الإسلامية على هذا الموضوع.

والمجال مفتوح لذكر مقترحات لمواجهة معوقات المرونة في العمل الدعوي.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

## الختام

أولاً: أهم نتائج البحث:

- ١- الدعاة إلى الله - تعالى - بحاجة إلى فقه المرونة في الدعوة بمعناها الأول، وهو (الدين)، وترجمة ذلك الفقه في خطابهم الدعوي في الميادين الدعوية المتنوعة؛ تيسيراً على الناس، وتأليفاً لقلوبهم.
- وكذلك يحتاج الدعاة إلى فقه المرونة في الدعوة بمعناها الثاني، وهو (النشر والتبليغ)؛ لتطبيق المرونة وترجمتها في العمل الدعوي ذاته؛ للوصول به إلى أرقى مراتب التأثير والإقناع.
- ٢- أن فقه المرونة في العمل الدعوي يرتكز على أسس علمية دعوية ذكرها المختصون في علم الدعوة، استنباطاً من مصادر الدعوة، والتطبيقات الدعوية عبر العصور، واستناداً إلى العديد من الدراسات، والكثير من التجارب والخبرات، فلا مجال للعشوائية أو الفوضوية باسم المرونة.
- ٣- المرونة في العمل الدعوي لا تؤتي ثمارها المرجوة في ميدان الدعوة إلا إذا كانت منضبطة بمجموعة من الضوابط الشرعية.
- ٤- المرونة في العمل الدعوي لا تقف عند تطبيقات محددة وثابتة، بل تترجم في تطبيقات كثيرة ومتنوعة ومتجددة.
- ٥- المرونة المنضبطة في العمل الدعوي ذات آثار إيجابية في ميدان الدعوة إلى الله تعالى.
- ٦- المرونة في العمل الدعوي تحتاج إلى العمل على التخلص من معوقات المرونة في العمل الدعوي لدى بعض الدعاة، مثل: التعصب للرؤية الشخصية، والتقليد الأعمى، واتباع الهوى، وضيق الأفق أو قصر النظر، والانكفاء على الذات... إلخ.

٧- المرونة في العمل الدعوي يمكن أن يكتسبها الدعاة إلى الله - تعالى - من خلال الإقرار الذاتي بوجود مشكلة عدم المرونة، وسعة المعرفة وتنوع الثقافة، والاستفادة من تجارب الدعاة قديما وحديثا، وتبادل الخبرات الدعوية، والحرص على التغيير لمواكبة التطوير مع عدم المساس بالثوابت الدينية والأهداف الدعوية، ونشر فقه المرونة في العمل الدعوي... إلخ.

#### ثانيا: التوصيات:

- ١- أوصي بالحرص على تطبيق المرونة في العمل الدعوي؛ لعظيم آثارها في ميدان الدعوة إلى الله تعالى.
- ٢- أوصي المؤسسات الدعوية بمتابعة العمل الدعوي للدعاة في ضوء الدراسات العلمية الدعوية؛ للتقييم والتقويم، ووضع كل شيء في موضعه.
- ٣- أوصي بعقد دورات علمية تدريبية للدعاة إلى الله - تعالى - لبيان فقه المرونة في العمل الدعوي، وكيفية اكتسابها، والتخلص من معوقاتها.
- ٤- أوصي بعقد لقاءات تجمع عددا كبيرا من الدعاة مختلفي الجنسيات ومتنوعي البيئات ومتفاوتي الأعمار؛ لعرض تجاربهم وتطبيقاتهم للمرونة في العمل الدعوي، وبيان ما ترتب عليها من آثار في ميدان الدعوة إلى الله تعالى؛ لاستفادة كل داعية من خبرات الآخرين، وتطبيقاتهم الإيجابية للمرونة، وتفادي التطبيقات السلبية للمرونة في العمل الدعوي.
- ٥- أوصي المؤسسات الدعوية برصد عقبات المرونة في العمل الدعوي؛ لمواجهتها بما يتناسب معها.
- ٦- أوصي بعمل استطلاع رأي للمدعويين بين الحين والآخر؛ للوقوف على إيجابيات وسلبيات العمل الدعوي، ومدى تحقق جانب المرونة - بمعناها الصحيح - في أداء الدعاة.

٧- أوصي بعقد مؤتمر دعوي عالمي عن (المرونة وتطبيقاتها في العمل الدعوي)، مع تكثيف الإعلان عنه لكافة المؤسسات الدعوية، والعمل على تفعيل ما يسفر عنه المؤتمر من نتائج وتوصيات.

٨- أوصي بطباعة كتاب مفصل للمرونة في العمل الدعوي، وتعميمه على كل المؤسسات الدعوية؛ لتكون هناك نسخة بين يدي كل داعية؛ ليستفيد من هذا الكتاب وليحقق التوازن في عمله الدعوي: الثبات في موضع الثبات، والمرونة في موضع المرونة.

**الهوامش والتعليقات:**

- (١) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص ٢٠٣، ٢٠٤ بتصرف.
- (٢) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط / عبد السلام هارون، ٣١٣/٥.
- (٣) لسان العرب، لابن منظور، مادة (مرن)، ٤٧٣/٣.
- (٤) الإنسان بين المرونة والصلابة، د/ جاسم الياسين، مجلة المنار، جدة، عدد ٦٥، ص ١٥، ١٤٢٣هـ.
- (٥) موسوعة علم النفس، أسعد رزوق، مراجعة / عبد الله عبد الدايم، ص ٢٧٨.
- (٦) مفهوم الأصالة والمعاصرة وتطبيقاته في التربية الإسلامية، حمدان عبد الله الصوفي، ص ١٤١.
- (٧) راجع تفصيل التعريفات الاصطلاحية المذكورة في: المرونة، أنس سليم الأحمد، ص ٣، ٤.
- (٨) سورة يوسف، من الآية رقم (٣٣).
- (٩) راجع: مادة (دعا) في: لسان العرب ١/ ٩٨٧، ٩٨٦؛ المعجم الوجيز، ص ٢٢٨.
- (١٠) سورة البقرة، من الآية رقم (٢٢١).
- (١١) انظر: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، د / حمد بن ناصر العمار، ص ٢٠، ٢١ بتصرف -
- (١٢) الدعوة الإسلامية في عهدها المكّي: مناهجها وغاياتها، د / رؤوف شليبي ص ٢٥.
- (١٣) المدخل إلى علم الدعوة، د / محمد أبو الفتح البيانوني، ص ١٩.
- (١٤) المدخل إلى علم الدعوة، د / محمد أبو الفتح البيانوني، ص ٤٠.
- (١٥) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د / أحمد أحمد غلوش، ص ١٠.
- (١٦) الدعوة والإنسان، د / عبد الله الشاذلي، ص ٣٩.
- (١٧) سورة يونس، من الآية رقم (١٥).
- (١٨) سورة الأنعام، الآية رقم (١٠٦).

- (١٩) سورة طه، الآيات رقم (٤٣-٤٦).
- (٢٠) صفوة التفاسير، ٢/٢١٦.
- (٢١) سورة آل عمران، من الآية رقم (٦٤).
- (٢٢) أخرجه الإمام / أحمد في مسنده برقم (١٨٨٣٠)، (٣١/١٢٦)، وقال المحقق: إسناده صحيح.
- (٢٣) معالم السنن، للإمام / أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي، ٤/٣٥٠.
- (٢٤) سورة التوبة، من الآية رقم (٤٠).
- (٢٥) سورة الأنعام، الآية رقم (١٥٣).
- (٢٦) سورة إبراهيم، الآية رقم (١).
- (٢٧) سورة الأنعام، من الآية رقم (٣٤).
- (٢٨) سورة الأنعام، من الآية رقم (١١٥).
- (٢٩) سورة يونس، من الآية رقم (٦٤).
- (٣٠) سورة الكهف، من الآية رقم (٢٧).
- (٣١) سورة ق، الآية رقم (٢٩).
- (٣٢) سورة النحل، الآيات رقم (١٠٦ - ١١٠).
- (٣٣) سورة الأحزاب، الآية رقم (٢٣).
- (٣٤) البداية والنهاية، ٢/٥٨.
- (٣٥) انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ١/١٧٥ بتصرف.
- (٣٦) سورة الكافرون بتمامها.
- (٣٧) أسباب النزول، للإمام الشيخ / أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، ص ٤٠٠.
- (٣٨) سورة لقمان، الآيتان رقم (١٤، ١٥).
- (٣٩) سورة الأحزاب، الآيتان رقم (١٠، ١١).

- (٤٠) انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ١٦٣/٢ بتصرف.
- (٤١) انظر: فقه السيرة، د/ البوطي ص ٢٣٣ بتصرف.
- (٤٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن كعب بن مالك الأنصاري في كتاب (المرضى) باب (ما جاء في كفارة المرض) حديث رقم (٥٦٤٣) (الفتح ١٠/١٢٧).
- (٤٣) سورة لقمان، من الآية رقم (١٢).
- (٤٤) المعجم الوجيز، ص ١٦٥.
- (٤٥) سورة الحجر، الآية رقم (٦٥).
- (٤٦) سورة القصص، الآيتان رقم (٢٠، ٢١).
- (٤٧) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي وائل، في كتاب (الجهاد والسير) باب (صلح الحديبية) حديث رقم (١٧٨٥) (بشرح النووي ١٢/١٤١).
- (٤٨) انظر: فقه السيرة، د/ محمد سعيد رمضان البوطي، ص ٦٦ بتصرف.
- (٤٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (بدء الوحي) باب (٣) حديث رقم (٣) (الفتح ١/٢٨، ٢٩).
- (٥٠) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ١/٣٠.
- (٥١) فقه السنة، السيد سابق، ١/٣٣٢.
- (٥٢) فقه السيرة، فضيلة الشيخ / محمد الغزالي، ص ٩٠.
- (٥٣) انظر: فقه السيرة، د/ البوطي، ص ٦٤ - ٦٦ بتصرف.
- (٥٤) سورة المدثر، الآية رقم (٢).
- (٥٥) سورة الشعراء، الآية رقم (٢١٤).
- (٥٦) سورة الحجر، الآية رقم (٩٤).
- (٥٧) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في كتاب (التفسير) باب (سورة ١١١ "تبت يدا أبي لهب وتب") حديث رقم (٤٩٧١) (الفتح ٨/٩٥٦).

- (٥٨) سورة المؤمنون، الآية رقم (٤٤).
- (٥٩) سورة الأنعام، من الآية رقم (٣٤).
- (٦٠) سورة القمر، الآيات رقم (٩ - ١٥).
- (٦١) سورة هود، الآية رقم (٤٤).
- (٦٢) سورة العنكبوت، من الآية رقم (٢٦).
- (٦٣) انظر: تفسير الفخر الرازي، ٥٦/٢٥ بتصرف.
- (٦٤) سورة الصافات، الآية رقم (٩٩).
- (٦٥) تفسير الفخر الرازي، ١٥١/٢٦.
- (٦٦) سورة النمل، الآيات رقم (٥٤ - ٥٦).
- (٦٧) سورة هود، الآيات رقم (٨١ - ٨٣).
- (٦٨) سورة العنكبوت، الآية رقم (٢٦).
- (٦٩) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٣/٢١٤٩.
- (٧٠) سورة الأعراف، الآيتان رقم (٨٨، ٨٩).
- (٧١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للإمام / القرطبي، ٩/٢٨٥، ٢٨٤ بتصرف.
- (٧٢) سورة الشعراء، الآية رقم (٥٢).
- (٧٣) سورة الأنبياء، الآية رقم (٨٧).
- (٧٤) سورة النساء، الآية رقم (١٥٧).
- (٧٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/٧٨٦.
- (٧٦) سورة الأنفال، الآية رقم (٣٠).
- (٧٧) سورة التوبة، الآية رقم (٤٠).
- (٧٨) سورة محمد، الآية رقم (١٣).

- (٧٩) سورة الحج، من الآية رقم (٤٠).
- (٨٠) سورة الممتحنة، من الآية رقم (١).
- (٨١) أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة - رضي الله عنها - في كتاب (بدء الوحي) باب (٣) حديث رقم (٣) (الفتح ١/٢٩).
- (٨٢) أخرجه الترمذي في سننه عن عبد الله بن عدي في كتاب (المناقب) باب (في فضل مكة) حديث رقم (٣٩٢٥) (٥/٦٧٩) وقال: حديث حسن غريب صحيح.
- (٨٣) سورة الأحزاب، الآية رقم (٦٢).
- (٨٤) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الشيخ / محمد الخضري، ص ٧٨.
- (٨٥) سورة النساء، من الآية رقم (٧٥).
- (٨٦) انظر: فقه السيرة، د/ البوطي، ص ١٠١ بتصرف.
- (٨٧) سورة النساء، الآيات رقم (٩٧-١٠٠).
- (٨٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (العلم) باب (من جعل لأهل العلم أياماً معلومة) حديث رقم (٧٠) (الفتح ١/٢١٦، ٢١٧).
- (٨٩) انظر: فقه السيرة، د/ البوطي، ص ٢٤٨، ٢٤٩ بتصرف.
- (٩٠) انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٢/٢٤٠ بتصرف.
- (٩١) سورة الفتح، الآية رقم (٢٧).
- (٩٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤/٢٦٣٥ بتصرف.
- (٩٣) انظر: في ظلال القرآن للشيخ / سيد قطب، ١/٢٩١ بتصرف.
- (٩٤) عقيدة المسلم، الشيخ / محمد الغزالي ص ٦.
- (٩٥) سورة النحل، من الآية رقم (١٢٥).
- (٩٦) للدكتور / فضل إلهي كتاب بعنوان (مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين) فليرجع إليه من أراد الوقوف تفصيلاً على هذا الموضوع.

- (٩٧) أخرجه الإمام / أحمد في المسند برقم (٢٢١١٢) (٢٣٧/١٦) وقال المحقق أ / حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.
- (٩٨) فقه السيرة، د/ البوطي، ص ٢٤٧، ٢٤٨.
- (٩٩) هداية المرشدين، ص ١٠٢.
- (١٠٠) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (الإيمان) باب (الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام) حديث رقم (١٩) (بشرح النووي ١/١٩٩، ٢٠٠).
- (١٠١) انظر: الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، ص ١٢٥ بتصرف.
- (١٠٢) سورة الأحقاف، الآيات رقم (٢٩ - ٣١).
- (١٠٣) سورة الجن، الآيات رقم (١، ٢).
- (١٠٤) راجع: السيرة النبوية لابن هشام، ١/ ٢٦٤ - ٢٦٦.
- (١٠٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (مناقب الأنصار) باب (وفود الأنصار إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - بمكة وبيعة العقبة) حديث رقم (٣٨٩٢) (الفتح ٧/٢٧٨).
- (١٠٦) راجع: فتح الباري ٧/ ٢٧٨ - ٢٨٢؛ السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٧٢ - ٢٧٦؛ الرحيق المختوم ص ١٣٩ - ١٤١.
- (١٠٧) أخرجه الإمام / أحمد في المسند برقم (١٤٣٩٣) (١١/٤٥٣، ٤٥٤) وقال المحقق أ/ حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.
- (١٠٨) راجع: البداية والنهاية لابن كثير، ٢ ص ١٨٦ وما بعدها للوقوف على الوفود تفصيلاً.
- (١٠٩) للوقوف على هذه المكاتبات راجع: الرحيق المختوم، ص ٣٠٤ - ٣١٣.
- (١١٠) للوقوف على الوفود تفصيلاً راجع: السيرة النبوية لابن هشام، ٢/ ٤١٤ وما بعدها.
- (١١١) سورة الأعراف، من الآية رقم (١٥٨).
- (١١٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله في كتاب (الصلاة) باب (قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: " جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ") حديث رقم (٤٣٨) (الفتح

(٧٠١/١).

(١١٣) شرح صحيح البخاري، لابن بطلال، علي بن خلف بن عبد الملك، ٣٠٥، ٣٠٦/٩.

(١١٤) فتح الباري، ١٠/٥٤٥.

(١١٥) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، ص ٦٤٥.

(١١٦) المداراة التربوية، أحمد محمد العليمي، ص ١٤.

(١١٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (الأدب) باب (مداراة الناس) حديث رقم (٦١٣١).

صحيح البخاري، للإمام / أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ص ١٥٣٣، ١٥٣٢.

(١١٨) التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني، ص ٩٠.

(١١٩) الروح، لابن القيم الجوزية، ص ٢٠٨.

(١٢٠) شرح صحيح البخاري، لابن بطلال، ٣٠٦/٩.

(١٢١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، ٥٧٣/٦.

(١٢٢) مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم، محمد العبد، د/ طارق عبد الحكيم، ص ٧٩.

(١٢٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٥/٢٠.

(١٢٤) الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، ١/٦٦.

(١٢٥) سورة البقرة، من الآية رقم (١٧٠).

(١٢٦) ذم الهوى، ابن الجوزي، ص ١٢.

(١٢٧) سورة القصص، الآية رقم (٥٠).

(١٢٨) سورة الفرقان، الآية رقم (٤٣).

(١٢٩) سورة الروم، الآية رقم (٢٩).

(١٣٠) آفات على الطريق، د / السيد نوح، ص ٦١.

(١٣١) المرونة، أنس سليم الأحمد، ص ٤٢.

- (١٣٢) انظر: آفات على الطريق، د / السيد نوح، ص٦٤ بتصرف.
- (١٣٣) سورة الرعد، من الآية رقم (١١).
- (١٣٤) آفات على الطريق، د / السيد نوح، ص٦٤.
- (١٣٥) الانكفاء على الذات: طبيعته، مظاهره، علاجه، سعيد بن علي بن مانع، ص١٣.
- (١٣٦) انظر: المرونة، أنس سليم الأحمدى، ص٣٩-٤٦ بتصرف.
- (١٣٧) لمزيد من البيان عن الثقافة التي يحتاجها الداعية راجع: ثقافة الداعية، د / يوسف القرضاوي.
- (١٣٨) سورة العلق، الآية رقم (١).
- (١٣٩) جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، لابن عبد البر، ص١٤٥.
- (١٤٠) انظر: المرونة، أنس سليم الأحمدى، ص٤٧-٥١ بتصرف.

### فهرس المراجع

ملحوظة: المراجع مرتبة ترتيباً هجائياً بعد (ال).

- آفات على الطريق، د / السيد نوح، دار الوفاء، المنصورة، ط الأولى ١٤٠٧ هـ (نسخة إلكترونية).
- أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، د / حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار، دار إشبيلية، الرياض، ط الثالثة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- أسباب النزول، للإمام الشيخ / أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ) دراسة وتحقيق د / السيد الجميلي، دار الريان للتراث.
- الانكفاء على الذات: طبيعته، مظهره، علاجه، سعيد بن علي بن مانع، (بدون)، ط الأولى ١٤١٠ هـ.
- البداية والنهاية، لشيخ الإسلام الإمام الحافظ المفسر المؤرخ / عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) دار الغد العربي، القاهرة، ط الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
- التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، للإمام / محمد الرازي فخر الدين (٥٤٤-٦٠٤ هـ) دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- تفسير القرآن العظيم، للإمام الجليل الحافظ / عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، دار السلام، الرياض، ط السادسة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
- التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر، دمشق، ١٤١٠ هـ.
- ثقافة الداعية، د / يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة.
- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، أبو عمر يوسف ابن عبد البر القرطبي، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ١٤٠٢ هـ.

- الجامع الصحيح (سنن الترمذي) لأبي عيسى بن سورة (٢٠٩-٢٩٧ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- الجامع لأحكام القرآن، للإمام / أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٧هـ.
- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د/ أحمد أحمد غلوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٧م.
- الدعوة الإسلامية في عهدنا المكي منهاجها وغاياتها، د/ رؤوف شلي، مطبعة الفجر الجديد، القاهرة.
- الدعوة والإنسان د/ عبد الله الشاذلي، المكتبة القومية الحديثة، طنطا.
- الرحيق المختوم، صفى الرحمن المياكفوري، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ذم الهوى، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٣٨١هـ.
- الروح، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، دار القلم، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- السيرة النبوية، لأبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري، تحقيق د/ أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة.
- شرح صحيح البخاري، لابن بطلال، علي بن خلف بن عبد الملك، ضبط وتعليق / ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٠ هـ.
- صحيح البخاري، للإمام / أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، دمشق، ط الأولى ١٤٢٣هـ.
- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، مكتبة الغزالي، دمشق، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت.
- عقيدة المسلم، للشيخ / محمد الغزالي، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ط الرابعة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ / أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ) حقق أصلها / عبد العزيز بن باز، ورقم كتبها وأبوابها وأحاديثها / محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٠هـ-١٩٨٩ م.
- فقه السنة، الشيخ / السيد سابق، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة.
- فقه السيرة، د/ محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، ط السابعة، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨ م.
- فقه السيرة، فضيلة الشيخ / محمد الغزالي، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ط الثامنة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢ م.
- الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط الثانية عشرة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦ م.
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري (٦٣٠-٧١١هـ)، دار لسان العرب، بيروت.
- مجلة المنار، جدة، العدد ٦٥، ١٤٢٣ هـ.
- المداراة التربوية، أحمد محمد العليمي، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢١هـ.
- المدخل إلى علم الدعوة، د/ محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثالثة ١٤١٥هـ-١٩٩٥ م.
- مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين، د / فضل إلهي.
- المسند، للإمام / أحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ) شرحه ووضع فهارسه أ/ أحمد محمد شاكر (ج١-٨) أ / حمزة أحمد الزين (ج٩-١٨) دار الحديث، القاهرة، ط الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٥ م.
- المرونة، أنس سليم الأحمد، مؤسسة الأمة، الرياض (نسخة إلكترونية).
- معالم السنن، للإمام / أبي سليمان محمد بن محمد الخطابي البستي (ت ٣٨٨هـ)، وهو شرح سنن الإمام / أبي داود (ت ٢٧٥هـ) المكتبة العلمية، بيروت، ط الأولى ١٣٥٢هـ-١٩٣٣ م.
- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط / عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة، طبعة وزارة التربية والتعليم، ١٤١٩هـ-١٩٩٨ م.

- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٧هـ.
- مفهوم الأصالة والمعاصرة وتطبيقاته في التربية الإسلامية، حمدان عبد الله الصوفي، رسالة دكتوراه غير منشورة، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤١٦هـ.
- مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم، محمد العبد، د/ طارق عبد الحكيم، دار القلم، الكويت، ١٤٠٦هـ.
- موسوعة علم النفس، أسعد رزوق، مراجعة / عبد الله عبد الدايم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩م.
- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، للشيخ / محمد الحضري، تحقيق وتعليق / سمير أحمد العطار، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

## رابعاً: التاريخ والحضارة الإسلامية



**أختام الصحابة والعلماء المسلمين  
خلال القرون الثلاثة الهجرية  
(ألفاظها. رسومها. دلالاتها)  
"دراسة تاريخية"**

**شريفة بنت صالح المنديل**

قسم التاريخ - جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن



## أختام الصحابة والعلماء المسلمين خلال القرون الثلاثة الهجرية

(ألفاظها. رسومها. دلالاتها)

"دراسة تاريخية"

شريفة بنت صالح المنديل

### المقدمة:

تنوعت مظاهر الحضارة الإسلامية وتعددت أشكالها ومظاهرها، بعد أن عُنيت بشؤون الإنسان وجوانب حياته المختلفة، فكانت رافداً أثرى الحضارة الإنسانية إضافة وتطويراً. وكانت ظاهرة الأختام بأنواعها المختلفة مما عُني به المسلمون، سواء منها الرسمية أو الخاصة، فأخذت في ظل الإسلام بعداً تاريخياً وحضارياً، وحرص المسلمون على استعمالها والاستفادة منها في معاملاتهم المختلفة. ورغم وجود ظاهرة استخدام الأختام عند المسلمين منذ ظهور الإسلام وتطور استخداماتها إلا أن عناية الباحثين المحدثين تركزت على أختام الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده من الخلفاء سواء الراشدين أو الأمويين أو العباسيين، في حين أن أختام الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم من التابعين وعلماء المسلمين لم تلق العناية من قبل الباحثين رغم كثرتها وأهميتها التاريخية والحضارية، ولذا فقد رأيت أن اسلط الضوء على هذا الجانب محاولة من خلال ذلك - بعد تعريف بالختام في اللغة والاصطلاح، ونبذة تاريخية عن استعماله قبل الإسلام - الإشارة لبداية ظهور الأختام عند المسلمين، ثم الحديث عن أختام الصحابة والعلماء المسلمين وذلك من خلال تسليط الضوء على المواد المصنعة منها الأختام، وآداب لبس الخاتم وطريقة لبسه، ثم الكتابات المنقوشة على الأختام ودلالاتها، سواء كانت العبارات المكتوبة، أو الصور والرسوم. ثم أتبع ذلك بخاتمة استعرضت فيها أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة. وقد اكتفيت بالقرون الثلاثة الأولى الهجرية لاهتمام المسلمين بهذه الأختام بشكل واضح، وكثرة المستعملين لها في حياتهم الخاصة وأعمالهم الرسمية.

أسأل الله أن أكون بذلك قد أضفت جديداً ومفيداً.

### أولاً: تعريف الخاتم.

ختم الشيء من باب ضرب فهو مختوم ومختم شديد للمبالغة، وختم الله له بخير وختم القرآن بلغ آخره واختتم الشيء ضد افتتحه. والخاتم بفتح التاء وكسرها والخيتام والخاتام كله بمعنى واحد، والجمع خواتيم. وتختّم لبس الخاتم.<sup>(١)</sup>

وقيل معنى ختم وطبع في اللغة واحد وهو التغطية على الشيء والاستيثاق من أن لا يدخله شيء كما قال تعالى: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾<sup>(٢)</sup> وفيه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾<sup>(٣)</sup> بمعنى غلبَ وغطى على قلوبهم ما كانوا يكسبون، وقوله عز وجل: ﴿فَإِن يَشَاءِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾<sup>(٤)</sup>.

والختم والخاتم والخائتم والخاتام والخيتام: من الحلي كأنه أول وهلة ختم به فدخل بذلك في باب الطابع، ثم كثر استعماله لذلك وإن أُعيد الخاتم لغير الطبع.<sup>(٥)</sup>

والخاتم ما يوضع على الطينة من الأسماء، والختام الطين الذي يختم به على الكتاب. ويقال الختم يعني الطين الذي يختم به.<sup>(٦)</sup>

أما تعريف الخاتم اصطلاحاً فهو تلك الحلية المعروفة من الذهب أو الفضة، يلبسه الناس في أصابعهم للزينة أو لغايات أخرى، من أهمها احتواء ذلك الخاتم على الختم الخاص بصاحبه أو بشخص آخر.<sup>(٧)</sup>

والختم من الألفاظ العربية الأصيلة التي وردت في القرآن الكريم، وبمعان مختلفة، فقال تعالى في محكم آياته: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾<sup>(٨)</sup>، بمعنى طبع الله على قلوبهم، فلا تعقل ولا تعي شيئاً.<sup>(٩)</sup>

وجاءت بمعنى التغطية في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(١٠)</sup>

وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَاءِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾<sup>(١١)</sup>

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَنَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مَن إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾<sup>(١٢)</sup>

وجاءت بمعنى نهاية الشيء في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾<sup>(١٣)</sup>

وفي اللغة الإنجليزية (seals) تعني الأختام، واشتقت هذه الكلمة من عجل البحر والذي يُسمى أيضا (seal) حيث يترك أثارا واضحة عند زحفه على شاطئ البحر.<sup>(١٤)</sup>

واستطاع الإنسان التوصل إلى فكرة استخدام الخاتم في عمليات التوثيق والمراسلات بعد سلسلة زمنية طويلة استغرقت عدة حضارات متلاحقة ابتداءً منذ الألف الخامس ق. م، واستمرت إلى يومنا هذا.

### ثانياً: نبذة تاريخية عن الأختام قبل الإسلام:

تعد الأختام نقلة حضارية، ومظهراً من مظاهر تطور الفن، حيث ساعدت في رصد الأحداث التاريخية وتشخيصها، وأعطت فكرة عن الأقوام التي استعملتها.

وقد اخترع الإنسان الختم في الألف الخامس قبل الميلاد، وصنعه من الحجر الطري والطين على أشكال منها المثلث، والهرم، والفأس، والريشة، والمخروط،

والمنجل، أو على شكل حيوان. ووضع في طرف الختم ثقب لتعليقه حليةً أو تيممة بالمعصم أو العنق. وقد يكون الختم على شكل قرص، أو أسطوانة، سطوحه مستوية أو محدبة، ومنقوشة أو عليها رسوم.<sup>(١٥)</sup>

وفي العصر الحجري الحديث (٥٠٠٠-٣٠٠٠ ق.م) استخدم الإنسان الختم تيممة لحماية نفسه، وعليها رسوم تدل على الصيد والرعي، وأشكال هندسية ونباتية وحيوانية للتقرب من الآلهة<sup>(١٦)</sup>.

وأول من استعمله سكان بلاد الشام في الألف الثالث قبل الميلاد، وكانوا يهتمون به الجرار وغيرها. وينقشون الأشكال معكوسة على سطح الختم فتظهر صحيحة بعد طبعها<sup>(١٧)</sup>.

ومع بدء نشوء الممالك (٢٩٠٠-٢٣٥٠ ق.م) كانت الأختام رديئة الصنع، ثم اتجه صانعوها نحو تحسينها، ونقش الموضوعات المهمة عندهم عليها، من أشكال متناظرة وغيرها، وبجانبتها اسم صاحب الختم أو رسمه وهو يتعبد.

وفي العصر الأكدي<sup>(١٨)</sup> (٢٣٥٠-٢١٥٠ ق.م) أصبح رسم الختم باسم صاحبه تقليداً، واحتل موضوع تصوير الأرباب على الختم منذ العام ٢١٥٠ ق.م أهمية خاصة.

كما صور البابليون رمز الإله بدلاً من صورته، وكانت الأختام لديهم اسطوانية الشكل. وقد عثر على نماذج منها يرجع تاريخها إلى حوالي عام ٣٣٠٠ ق.م. وتدل هذه على ارتقاء هذا الفن في ذلك العصر السحيق. وكانت الخواتم تلبس في الأصابع والأذان والمعاصم أو تربط بجبل وتعلق في العنق. وكذلك فعل الآشوريون وحافظوا على تقاليد صناعة الأختام.

وفي العصر الكاشي<sup>(١٩)</sup> (١٥٠٠-١٢٠٠ ق. م) كُتِبَ على الختم مقاطع دينية، مثل مقاطع من صلواتهم.

وكانت أختام الميتانيين<sup>(٢٠)</sup>، والآشوريين (١٥٠٠-١٢٠٠ ق. م)، متميزة عن الكاشية، وتحمل صور لأشجار أو حيوانات، أو صفائر، أو قرص الشمس، وغير ذلك.

في حين فقدت هذه الأختام أهميتها لدى الآراميين لأنهم كتبوا على الحجر، والجلد، وورق البردي، واستعملوا في هذا العصر «الختم القرصي»<sup>(٢١)</sup>.

أما الكلدانيون<sup>(٢٢)</sup> (٦١٢-٥٣٩ ق. م)، فاستعملوا الختم الأسطواني والختم القرصي المزين سطحه برمز الإله، وأمامه متعبد، مع النقوش الهندسية.

وقلد الأخمينيون<sup>(٢٣)</sup> (٥٢٠-٣٣٠ ق. م) أختام حضارة بلاد الشام، والرافدين. وزينوا أختامهم بنقوش مستمدة من زخارف أختام الآشوريين والبابليين ونقوشها. وبانقضاء العصر الأخميني، استغنى الناس عن الختم الأسطواني، واتخذوا بدلاً منه الختم القرصي. أما الختم الفارسي فكان يحمل صورة الملك الفارسي، وهو يصطاد، أو يصارع الأعداء، أو صور الحيوانات الأليفة.

وانفردت حضارة مصر القديمة في مطلع القرن الثالث قبل الميلاد بصنع الختم على شكل «الجُعل» وهو «خنفس الزبل»، تمثيلاً للمعتقد المصري «الخلق من العدم»، كما استخدم الختم لديهم كحلية، وتميمة. وكتبت على سطحه مأثورات دينية، واستخدموا الختم الأسطواني أحياناً بتأثير حضارة بلاد الشام.<sup>(٢٤)</sup>

أما الممالك اليونانية فقد استخدم فيها الختم للأعمال الاقتصادية، ولتحديد الملكية. وأصبح الختم والخاتم نوعين في بلاد الإغريق، لأنه يستعمل حلية للأصبع

وختماً للوثائق. ووضعا تشريعات صارمة ضد تزوير الأختام، واستخدم ختم «الخنفس» بتأثير من حضارة مصر القديمة وحضارة الكنعانيين.<sup>(٢٥)</sup>

أما الأختام الرومانية فقد شهدت تطورا ملحوظا في صناعتها واستخداماتها، ووصلت إلى مرحلة من التقدم والرقى تفوق جميع المراحل السابقة<sup>(٢٦)</sup>.

### ثالثاً: بداية ظهور الأختام عند المسلمين.

عُرف الختم على الرسائل والصكوك للملوك بعد الإسلام واحتلت الأختام أهمية بالغة عند المسلمين، حيث كان لكل خليفة ووالٍ وقاضٍ وكثير من خاصة الناس ختم خاص به<sup>(٢٧)</sup>، وحتى إن بعض الفقهاء درسوا شرعية استعمال الأختام وأشاروا إلى أن التختم بالفضة يُعد سنة للرجال ذوي المكانة الشرعية والسياسية في المجتمع<sup>(٢٨)</sup>. وقد استخدم المسلمون الختم بشكله التقليدي، ونفروا من التصوير عليه. واتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم خاتماً من ورق (فضة)، وثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب إلى قيصر (ملك الروم) فقبل له إن العجم لا يقبلون كتاباً إلا أن يكون مختوماً فاتخذ خاتماً من فضة، ونقش فيه "محمد رسول الله"، قال البخاري جعل الثلاث الكلمات ثلاثة أسطر، السطر الأول (الله) والسطر الثاني (رسول) والسطر الثالث (محمد) ويُقرأ من الأسفل إلى الأعلى، وختم به وقال لا ينقش أحد مثله، قال وتختم به أبو بكر وعمر وعثمان ثم سقط من يد عثمان في بئر أريس<sup>(٢٩)</sup> وكانت قليلة الماء فلم يدرك قعرها.<sup>(٣٠)</sup>

والأصل في ذلك حديثاً عن ابن عمر رضي الله عنهما قال اتَّخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتِماً مِنْ وَرَقٍ وَكَانَ فِي يَدِهِ ثُمَّ كَانَ بَعْدُ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ ثُمَّ كَانَ بَعْدُ فِي يَدِ عُمَرَ ثُمَّ كَانَ فِي يَدِ عُثْمَانَ حَتَّى وَقَعَ بَعْدُ فِي بَيْرِ أَرِيَسَ<sup>(٣١)</sup> نَقَشَهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ<sup>(٣٢)</sup>

وفي صحيح مسلم عن بن عُمرَ قال اتَّخَذَ النبي صلى الله عليه وسلم خاتماً من ذهبٍ ثمَّ أَلْقَاهُ ثمَّ اتَّخَذَ خاتماً من ورقٍ ونَقَشَ فيه مُحَمَّدُ رسولَ اللَّهِ وقال لا يَنْقُشُ أَحَدٌ على نَقْشِ خاتمي هذا<sup>(٣٣)</sup>.

وكان استعمال الخلفاء لختمه صلى الله عليه وسلم تبركاً، فقد كان لكل منهم ختم خاص به. فكان ختم أبي بكر رضي الله عنه مكتوب عليه (نعم القادر الله) ومكتوب على ختم عمر رضي الله عنه (كفى بالله واعظاً يا عمر)، وذكر أن نقش عثمان رضي الله عنه كان (آمنت بالذي خلق فسوى)، وقيل (لتصبرن أو لتندمن)، ونقش علي رضي الله عنه على ختمه (الملك لله الواحد القهار)، وقيل (الله الملك الحق)<sup>(٣٤)</sup>. وسيراً على نهج المصطفى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين فقد شاع استعمال الأختام بين المسلمين بين عامة المسلمين.<sup>(٣٥)</sup>

الجدير بالذكر أن للختم في أيام الدولة الأموية ديوان<sup>(٣٦)</sup> مفرد يسمى "ديوان الخاتم"<sup>(٣٧)</sup>.

#### رابعاً: أختام الصحابة والعلماء المسلمين.

اهتم الصحابة والعلماء المسلمين بعد الرسول صلى الله عليه وسلم باقتناء الأختام اقتداءً برسولهم الكريم، ونهجوا نهجه في اقتناء الختم في معاملاتهم. وحرصوا على أن يتخذ كلُّ منهم ختمه الخاص به الذي يميزه عن غيره. وقد استخدمت الأختام لأغراض شتى، منها توقيع حوائجهم الشخصية، فكان لكل منهم ختم خاص به نقش عليه عبارة معينة تميزه عن غيره، تثبت شخصية الموقع. كما وجدت أختام شخصية استعملها الأفراد لأغراضهم الخاصة، وهناك أختام خاصة بشؤون جباية أموال الدولة وتوزيعها سُجلت على بعضها أسماء الولاة وأسماء الخلفاء وتأريخ الختم<sup>(٣٨)</sup>.

## ١- المواد المصنعة منها الأختام:

إن المادة المصنوع منها الختم وطريقة صنعه تعطي دلالة واضحة على المستوى المادي والنفوذ اللذين تمتع بهما صاحب الختم، كما تشير إلى مستوى الصنعة في العصر الذي ينتمي إليه الختم<sup>(٣٩)</sup>.

وكان ختم الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وهو أول ختم عُرف في الإسلام صُنع من الفضة وقيل من الحديد المطلي بالفضة، كما ذكر أن ختم علي بن أبي طالب رضي الله عنه عُمل من الورق (الفضة)، وختم عثمان رضي الله عنه عُمل له من الفضة<sup>(٤٠)</sup> مما يدل على نهى لبس الذهب للرجال<sup>(٤١)</sup>.

وقد نُقشت الأختام الإسلامية على مواد مختلفة فبعضها نُقش على المعادن كالفضة والحديد والنحاس والذهب<sup>(٤٢)</sup>، وبعضها الآخر نُقش على نصوص من الأحجار الاعتيادية والحجر الأسود والحجر الأخضر والكريستال والحجر السيلاني والحصى أو الأحجار الثمينة كالعقيق بأنواعه المختلفة.

فقد ورد عند ابن سعد<sup>(٤٣)</sup> أن إبراهيم النخعي<sup>(٤٤)</sup> كان يتختم بخاتم من حديد<sup>(٤٥)</sup> كما كان لأبي نواس<sup>(٤٦)</sup> خاتمان أحدهما عقيق مربع والآخر حديد صيني<sup>(٤٧)</sup> وكان عبدالله بن مسعود<sup>(٤٨)</sup> رضي الله عنه يتختم بالحديد<sup>(٤٩)</sup>.

وورد عند الذهبي أن أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم<sup>(٥٠)</sup> قال، قال أبو الغصن المدني<sup>(٥١)</sup>: رأيت في يد أبي بكر بن حزم خاتم ذهب فسه ياقوتة حمراء<sup>(٥٢)</sup>، وأيضا كان للضحاك بن مزاحم<sup>(٥٣)</sup> خاتماً من فضة. ومثله كان خاتم الحسن بن يسار<sup>(٥٤)</sup>، وكان فسه منه<sup>(٥٥)</sup>. وقد ورد عند ابن سعد أن طلحة بن عبيد الله<sup>(٥٦)</sup> كان يتختم بخاتم من ذهب<sup>(٥٧)</sup>، وكذا خباب<sup>(٥٨)</sup> بن الأرت<sup>(٥٩)</sup> والبراء<sup>(٦٠)</sup> بن عازب<sup>(٦١)</sup>، وكان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يتختم بالذهب ايضاً<sup>(٦٢)</sup>. وروى البلاذري

أن عبد الله بن يزيد<sup>(٦٣)</sup> كان يلبس خاتماً من ذهب<sup>(٦٤)</sup>، وذكر الطحاوي<sup>(٦٥)</sup>: عن مُصعب بن سعد<sup>(٦٦)</sup> قال: رأيت في يد طلحة بن عبيد الله خاتماً من ذهبٍ ورأيتُ في يدِ صُهَيْبِ<sup>(٦٧)</sup> خاتماً من ذهبٍ ورأيتُ في يدِ سعدِ خاتماً من ذهبٍ. . على الرغم من كراهة الصحابة للبس الذهب، فعن أبي ثعلبة الخشني<sup>(٦٨)</sup> قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في يدي خاتماً من ذهبٍ فجعلَ يَقْرَعُ يدهُ يعودُ معه فعفلَ النبي صلى الله عليه وسلم عنه فأخذَ الخاتَمَ فرمى به فنظَرَ النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرهُ في إصبعِهِ فقال ما أَرَأنا إِلا قد أوجعناكَ وأغرَمناكَ.<sup>(٦٩)</sup>

وعبد الله بن عباس أنه قال: رأى عمر بن الخطاب في خلافته في يدي خاتماً من ذهب فبان غضبه لكي ينزعه من أصبعي فبسطت أصبعي له فاستله فخذف به.<sup>(٧٠)</sup>

وكان عوف بن مالك الأشجعي<sup>(٧١)</sup> يلبس خاتماً من ذهب وعندما نهاه عمر رضي الله عنه عن هذا لبس خاتماً من حديد، فناه عن هذا، فلبس خاتماً من ورق<sup>(٧٢)</sup>. وورد أن سالم بن عبد الله كان له خاتم من ورق<sup>(٧٣)</sup>.

## ٢ - آداب لبس الخاتم وطريقة لبسه:

اختلف أهل العلم في لبس الخاتم في الجملة، فأباحه أكثر أهل العلم، ولم يكرهوه، استناداً لما في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: اتَّخَذَ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتماً من ورقٍ، وحديث انس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة فيه فص حبشي كان يجعل فسه في بطن كفه<sup>(٧٤)</sup>. كما ثبت لبس الخاتم عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم<sup>(٧٥)</sup>. قال العلماء: إن التختم سنة لمن يحتاج إليه، كالسلطان والقاضي ومن في معناهما، لأن النبي صلى الله عليه وسلم وهو المسؤول عن الأمة آنذاك اتخذ الخاتم للضرورة، فمن مسؤولاً واحتاج الخاتم، فهو متبع لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وعليه فالخاتم في

حقه سنة. أما غير أولئك فالأفضل عدم التختم، وإن تختم غيرهم فهو من باب الزينة وهو جائز. إذاً الأصل في الخاتم أنه ليس سنة إلا لمن احتاج إليه، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، فمن احتاج إلى الخاتم للضرورة فهو سنة، ومن لم يحتج إليه فهو جائز في حقه. <sup>(٧٦)</sup>

لهذا تختم كثير من المسلمين بالخاتم، وكان لهم في لبسه آداب وطرق اختلفت باختلاف أصحابها، فكان البعض يلبسه في يمينه أسوة بالرسول الكريم، والبعض كان يلبسه في يساره، أسوة بالرسول الكريم أيضاً <sup>(٧٧)</sup>، فقد ورد عند النسائي أن عبد الله بن جعفر قال أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتختم بيمينه <sup>(٧٨)</sup>

وورد في معجم الصحابة: رأيت ابن أبي رافع يتختم في يمينه فسأله عن ذلك فذكر أنه رأى عبد الله بن جعفر يتختم في يمينه وقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتختم بيمينه. <sup>(٧٩)</sup>

وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله يتختم في يمينه وقبض عليه الصلاة والسلام والخاتم في يمينه قال بعض من مدحه عليه الصلاة والسلام (كف الرسالة ليس يخفى حسنها وتما حسن الكف لبس الخاتم). <sup>(٨٠)</sup>

وعلى الرغم من ذلك فقد أشار بعض الصحابة إلى أن التختم في اليمين منسوخ، وأن التختم في الشمال هو آخر الأمرين، والذي جاء في حديث ابن عمر أن ذلك كان في خاتم الذهب قبل نزعه <sup>(٨١)</sup>، ولا ريب أن هذا كان قبل تختمه بالفضة عليه الصلاة والسلام، كما وقع التصريح به في حديث ابن عمر وأنس. . وقول أنس كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم في هذا، إنما أراد خاتمه الذي أستر يلبسه حتى مات عليه الصلاة والسلام وهو الفضة، وقد جاء التصريح بأن تختمه عليه في يساره كان آخر الأمرين حديث رواه بن محمد الفاقلاني عن عبدالله بن عطاء عن نافع عن

ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه ثم حوله إلى يساره.<sup>(٨٢)</sup> فكان الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه يتختم باليسار وربما لبسه في يمينه<sup>(٨٣)</sup>.

وبناء على هذا كان أكثر تختم المسلمين باليسار<sup>(٨٤)</sup>. وقد ورد أن حسناً وحسيناً رضي الله عنهما كانا يتختمان في يسارهما<sup>(٨٥)</sup> كما كان الشافعي يتختم في يساره<sup>(٨٦)</sup> وإبراهيم النخعي أيضاً،<sup>(٨٧)</sup> وكان محمد بن سيرين أيضاً كذلك.<sup>(٨٨)</sup> والقاسم بن محمد في يده اليسرى في الخنصر، وكذلك سالم بن عبد الله وفي الخنصر أيضاً.<sup>(٨٩)</sup> وكذلك قتادة ابن دعامة السدوسي<sup>(٩٠)</sup>.

وكان يُكره لبس الخاتم في الأصبع الوسطى والسبابة، عن أبي موسى قال: سمعت علياً يقول نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القسي<sup>(٩١)</sup> والميثره الحمراء<sup>(٩٢)</sup> وأن ألبس خاتمي في هذه وفي هذه وأشار إلى السبابة والوسطى<sup>(٩٣)</sup>. وإنما يفضل لبسه في خنصر اليد<sup>(٩٤)</sup> وأجمع المسلمون على أن السنة جعل خاتم الرجل في الخنصر.

وكان الخاتم يُنزع إذا دخل احدهم الخلاء أو أراد أن يتوضأ صونا لما كتب عليه،<sup>(٩٥)</sup> عن أنس قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ، نَزَعَ خَاتَمَهُ<sup>(٩٦)</sup>.

ولا يتخرج من لبسه في الإحرام<sup>(٩٧)</sup> فقد روى ابن سعد عن سالم بن عبد الله قال حدثنا خالد قال رأيت سالماً عليه خاتمه وهو محرم.<sup>(٩٨)</sup>

ولكن على الرغم من اتخاذ البعض للخواتم للتوثيق في المراسلات وغيرها، فإن بعضهم كان لا يلبسه كما هو الحال عند مكحول الشامي،<sup>(٩٩)</sup> بينما البعض الآخر. يجعله عند صفيه فإذا أراد أن يختم أرسل إليه ليحضره، كما هو الحال عند ابن عمر رضي الله عنهما، حيث ذكر ابن سعد في الطبقات: ذكروا عند نافع خاتم ابن عمر

فقال: كان ابن عمر لا يتختم إنما كان خاتمه يكون عند صافية فإذا أراد أن يختم أرسلني فجئت به<sup>(١٠٠)</sup>.

### ٣ - الكتابات والصور والرسومات على الأختام ودلالاتها:

#### أ - العبارات المكتوبة:

نُقِشت عبارات مختلفة على الأختام، اختلفت باختلاف أصحابها، وإن كره البعض نقش آيات من القرآن الكريم أو ذكر الله سبحانه على الأختام، لما في ذلك من صون لكلام الله سبحانه وذكره من أن يلتمسه المحدث أو يحمله معه إلى الخلاء ونحو ذلك<sup>(١٠١)</sup>، ولكن وعلى الرغم من ذلك فقد وجدت خواتم تخص علماء من المسلمين فيها آيات من القرآن الكريم وذكر الله سبحانه<sup>(١٠٢)</sup>، فقد ورد عند ابن رجب أن خاتم الحسن بن علي رضي الله عنهما كان منقوش عليه عبارة "لا إله إلا هو الحي القيوم الملك الحق المبين" وخاتم أخوه الحسين رضي الله عنه "إن الله بالغ أمره"<sup>(١٠٣)</sup>، كما ورد عند ابن سعد أن نقش خاتم سعيد بن زيد بن عمرو<sup>(١٠٤)</sup>

آية من كتاب الله<sup>(١٠٥)</sup>، وقيل إن نقش خاتم أبي عثمان الأنصاري قاضي مرو "إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم"<sup>(١٠٦)</sup> كما كان نقش خاتم مالك بن أنس رضي الله عنه "حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء"<sup>(١٠٧)</sup> وقيل كان نقشه حسيبي الله ونعم الوكيل<sup>(١٠٨)</sup> والبعض كان ينقش على خاتمه أمثلة وأدعية وعبارات للوعظ حيث كان لأبي نواس خاتماً مكتوب عليه "تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظماً"<sup>(١٠٩)</sup>، وكان لزرعه بن ثوب أيضاً خاتماً منقوش عليه "لكل عمل ثواب"<sup>(١١٠)</sup> ونقش زيد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم على خاتمه "أصبر تؤجر اصدق تنج"<sup>(١١١)</sup>

وفي رواية "أصبر تؤجر، وتوق تنج" <sup>(١١٢)</sup>. بينما كان نقش إبراهيم النخعي بالله وله بحق <sup>(١١٣)</sup>، ونقش القاضي شريح خاتمه "الخاتم خير من الظن" <sup>(١١٤)</sup> والشيخ الجنيد "إن كنت تأمله فلا تأمنه" <sup>(١١٥)</sup> وكان نقش خاتم أبي مسلم: لا تؤخر عمل اليوم لغد <sup>(١١٦)</sup>

بينما كان نقش خاتم مكحول الشامي "أعد مكحولا من النار" <sup>(١١٧)</sup>، وخاتم ابن شهاب الزهري <sup>(١١٨)</sup> "محمد يسأل الله العافية" <sup>(١١٩)</sup>،

وخاتم الأحنف بن قيس "نعبد الله" <sup>(١٢٠)</sup>. وكان نقش خاتمه وهب بن منبه <sup>(١٢١)</sup> "أصمت تسلم وأحسن تغنم"

وكان بعضهم ينقش عبارات الشكر والثناء لله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام، فهذا حذيفة اليمان <sup>(١٢٢)</sup> كان نقش خاتمه عبارة "الحمد لله" <sup>(١٢٣)</sup>، وأنس بن مالك "محمد رسول الله" <sup>(١٢٤)</sup>. وأسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١٢٥)</sup>

وأما البعض فكان يستخدم نقش خاتمه للتخلص من أي إنسان يستثقله في مجلسه، فيخرج الخاتم ويريه إياه فيقوم، وكما يُذكر أن الخليفة العباسي المأمون نصحه طبيبه بختيشوع <sup>(١٢٦)</sup> حيث قال: لا تجالس الثقلاء فإننا نجد في الطب: مجالسة الثقيل همى الروح. <sup>(١٢٧)</sup>

وبناء على هذا نقش مسهر بن عبد الأعلى <sup>(١٢٨)</sup> على خاتمه أبرمت فقم "فكان إذا ثقل عليه الرجل من جلسائه حرك خاتمه في يده ونظر إلى نقشه ثم رمى به إلى الرجل فيقرأ ما على خاتمه فيقوم." <sup>(١٢٩)</sup>

وكذلك نقش الأعمش<sup>(١٣٠)</sup> على خاتمه أبرمت فقم، وكان حرجاً ضيق الأخلاق فكان إذا جلس إليه ثقيل ناوله إياه<sup>(١٣١)</sup>. وكذلك كان لابن سيرين خاتم منقوش عليه أبرمت فقم فإذا استثقل إنساناً دفعه إليه<sup>(١٣٢)</sup>.

وكان يُنقش أيضاً على الأختام أسماء أصحابها وحاملتها، حيث نهى عليه السلام أن لا ينقش أحد على نقش خاتمه من أجل أن ذلك اسمه وصفته برسالة الله له إلى خلقه.

وإنما يباح مادون ذلك، وذلك لان خاتم الرجل إنما ينقش فيه ما يكون تعريفاً له وسمه تميزه من غيره، فذكر ابن سعد في الطبقات أن فص القاسم بن محمد مكتوب فيه اسمه واسم أبيه<sup>(١٣٣)</sup>، وخاتم سالم بن عبد الله نقشه "سالم بن عبد الله<sup>(١٣٤)</sup>"، وزاد البعض في الاسم وجعله مرتبطاً بالله سبحانه كما كان عند الإمام الشافعي حيث نقش على خاتمه "الله ثقة محمد بن إدريس".

ونقش آخرون على الأختام أبياتاً شعرية يغلب عليها الوعظ، فقد ذكر أن خاتم الحسن بن علي رضي الله عنهما كان منقوشاً عليه<sup>(١٣٥)</sup>.

قدم لنفسك ما استطعت من التقى  
إنما لمنية نازل بك يا فتى  
أصبحت ذا فرح كأنك لا ترى  
أحباب قلبك في المقابر والبلدى

وكان نقش خاتم أبي عمرو<sup>(١٣٦)</sup> ابن العلاء

وإن أمراء دنياه أكبر همه  
لمستمسك منها مجبل غرور<sup>(١٣٧)</sup>

وكان للحسن بن هانيء خاتمان خاتم فسه من عقيق مربع عليه مكتوب

تعاظمني ذنبي فلما عدلته  
بعفوك ربي كان عفوك أعظما

والآخر حديد صيني عليه (لا اله إلا الله مخلصاً) فأوصى عند موته أن تعلق

وتغسل وتجعل في فمه<sup>(١٣٨)</sup>.

ولكن ذهب قوم إلى كراهة نقش الخواتيم، بشيء من العربية، واحتجوا في ذلك بحديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تستضيئوا بنيران أهل الشرك ولا تنقشوا عربياً قال فسألت الحسن عن ذلك فقال قوله لا تنقشوا عربياً لا تنقشوا في خواتيمكم محمد رسول الله وقوله لا تستضيئوا بنيران أهل الشرك يقول لا تُشاوروهم في أموركم، قال أبو جعفر فذهب قوم إلى كراهة نقش الخواتيم بشيء من العربية واحتجوا في ذلك بهذا الحديث ولم يروا ينقش غير العربية بأساً واحتجوا في ذلك بما كان على خواتيم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. (١٣٩) ومصدق ذلك ماورد في الطبقات عن جابر عن عامر قال كتب عمر إلى عماله لا تجدوا خاتماً فيه نقش عربي إلا كسرتموه. .

قال فوجد في خاتم عتبة بن فرقد (١٤٠) "عتبة العامل" فكسر (١٤١)، مما يدل على كراهية صحابة رسول الله رضي الله عنهم لذلك.

## ب - الصور والرسوم:

لا شك أن صور ذوات الأرواح من بني الإنسان أو الحيوان محرمة، للوعيد الشديد للمصورين، ولأن الصور تمنع دخول الملائكة إلى البيوت التي فيها تصاوير، ففي حديث أبي طلحة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة" (١٤٢) وفي حديث سعيد بن أبي الحسن قال كنت عند ابن عباس وسأله رجل فقال يا بن عباس إني رجل إنما معيشتي من صنعة يدي وإني أصنع هذه التصاوير قال: فإني لا أحدثك إلا بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صور صورة فإن الله عز وجل معذبه يوم القيامة حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً قال ربا (١٤٣) الرجل ربوة شديدة فاصفر وجهه فقال له ابن عباس ويحك إن آبيت إلا أن تصنع فعليك بهذا الشجر وكل شيء ليس فيه روح (١٤٤)

وبالرغم من ذلك<sup>(١٤٥)</sup> فقد وجد من الخواتم ما هو على شكل طاووس مثلاً كما هو الحال عند زياد بن أبي سفيان<sup>(١٤٦)</sup> أو على شكل صورة طائر كما هو الحال عند الضحاك بن مزاحم<sup>(١٤٧)</sup>، وكان نقش خاتم القاضي شريح أسدان بينهما شجرة<sup>(١٤٨)</sup>، بينما النعمان بن مقرن المزني<sup>(١٤٩)</sup> كان نقش خاتمه إبل باسط إحدى يديه قابضة الأخرى<sup>(١٥٠)</sup> وختم أبي موسى الأشعري<sup>(١٥١)</sup> على خاتمه أسد بين رجلين<sup>(١٥٢)</sup>.

كما نقش أنس بن مالك رضي الله عنه على خاتمه كركي<sup>(١٥٣)</sup> له رأسان<sup>(١٥٤)</sup>. وقال ابن سيرين كان نقش خاتم أنس أسد رابض<sup>(١٥٥)</sup>

وقيل ذئب أو ثعلب<sup>(١٥٦)</sup>. وكان في خاتم حذيفة كركيان بينهما الحمد لله، وقيل كان خاتم حذيفة من ذهب فيه فص ياقوت أسما نجونيه فيه كركيان متقابلان بينهما الحمد لله<sup>(١٥٧)</sup>. وكان في خاتم أبي عبيدة<sup>(١٥٨)</sup> رأس كركيين أو نقش كركيين<sup>(١٥٩)</sup> ويذكر أن عبدالرحمن بن عوف<sup>(١٦٠)</sup> والبراء بن عازب رضي الله عنهم كانا يلبسان خاتمين من ذهب في نص احدهما صورة لبوتين<sup>(١٦١)</sup>.

بالإضافة إلى وجود صور الحيوانات على الخواتم وجد صور لتمثيل فهذا نقش خاتم عمران بن الحصين تمثال لرجل متقلد السيف<sup>(١٦٢)</sup>، وأيضاً وجدت صور للشمس والقمر كما هو الحال مع خاتم جرير بن عبد الله بن الشليل البجلي<sup>(١٦٣)</sup> حيث كان نقش خاتمه ربنا [الله] وصورة شمس وقمر<sup>(١٦٤)</sup> والغاية من ذلك التذكير بآيات القرآن الكريم<sup>(١٦٥)</sup>.

كما وجدت على الخواتم إلى جانب صور الحيوانات والتمثيل رسوم وخطوط، فقد ورد في الطبقات قال كان في خاتم الحسن البصري<sup>(١٦٦)</sup> خطوط.

## الخاتمة

لقد خرجنا من هذه الدراسة التي تناولت أختام الصحابة والعلماء المسلمين خلال القرون الثلاثة الهجرية إلى أن الأختام الخاصة كانت منتشرة على نطاق واسع في أوساط الناس الذين جعلوا من المصطفى صلى الله عليه وسلم قدوة لهم في ذلك، كما تبين أن لها آداباً يلتزم بها منطلقاً من تعاليم الإسلام.

وكان من أهم الاستخدامات للأختام، هو إثبات وتوثيق وصحة الرسائل والأوامر وغيرها. فكانت الأختام تؤدي ما يؤديه التوقيع.

وقد رأينا أن الأختام لم تصنع من مادة واحدة، وإنما تعددت مواد صنعها كل حسب إمكاناته وظروفه، مع الالتزام بتعاليم الدين في هذا الجانب، فكانت المواد من الذهب والفضة والنحاس والحديد والورق.

من جانب آخر فقد اختلفت العبارات المنقوشة عليها، حيث تحكم في ذلك في الغالب ثقافة الرجل، أو توجهه، بل نفسيته ووضعه الاجتماعي في بعض الأحيان، فكان من العبارات المنقوشة آيات قرآنية وحكم وعبارات دينية، وفي بعض الأحيان ينقش اسم صاحب الختم عليه، ومنهم من رأي أن يضع على خاتمه رسومات أو صور كانت في الغالب لحيوانات أو طيور.

وقد درج بعض المسلمين على عدم وضع الخاتم في أحد أصابعه يده اليمنى أو اليسرى في بعض الأحيان، وربما في جيبه، كما كان البعض يعهد به إلى ابنه أو خادمه.

أرجو أن أكون قد وفقت في إبراز هذا الجانب الحضاري في حياة المسلمين، وأن أكون قد وفيت جوانب الدراسة، وأتيت بالمفيد في هذا الموضوع. والله الموفق أولاً وآخرًا.

### الهوامش والتعليقات:

- ١- الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ج١، ص٧١.
- ٢- ابن منظور: محمد بن مكرم، لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، ج١٢، ص١٦٣.
- ٣- سورة محمد، الآية رقم (٢٤).
- ٤- سورة المطففين آية رقم (١٤).
- ٥- الفراهيدي: الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ج٤، ص٢٤١.
- ٦- الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠١م، ج٧، ص١٣٧؛ الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي، أساس البلاغة، دار الفكر، بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ج١، ص١٥٣.
- ٧- ناصر بن محمد الغامدي: لباس الرجل، أحكامه وضوابطه في الفقه الإسلامي، (رسالة دكتوراه)، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م، ج١، ص٣٩٣.
- ٨- سورة البقرة الآية رقم (٧).
- ٩- ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص١٦٣.
- ١٠- سورة يس الآية رقم (٦٥).
- ١١- سورة الشورى آية رقم (٢٤).
- ١٢- سورة الأنعام الآية رقم (٤٦).
- ١٣- سورة الأحزاب الآية رقم (٤٠).
- ١٤- علي يونس خالد المناصير، الأختام الإسلامية (دراسة تاريخية وصفية لمجموعة خاصة من الأختام)، (رسالة ماجستير)، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠١م، ص٥.

١٥- الموسوعة العربية، م ١، ص ٥١٣

١٦- الموسوعة العربية، م ٨، ص ٧٣.

١٧- جواد علي، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط ١٤١٣، ١٤٢هـ / ١٩٩٣م، ج ٨، ص ٨٧

١٨- قام سرجون الأكدي بتأسيس سلالة حاكمة عرفت بالسلالة الأكديّة أو الدولة الأكديّة التي عمرت ما بين ٢٣٣٤-٢١٥٤ ق. م أو ٢٣٧١-٢٢٣٠ ق. م دامت الدولة الأكديّة أكبر من قرن ونصف. التسمية أكدي أو أكديون مشتقة من اسم مدينة أكد أو أكادة التي أسسها سرجون واتخذها عاصمة له. وهي بذلك تسمية لاحقة لوجود الأكديين في وادي الرافدين: ساميون نرحوا إليها منذ أقدم العصور التاريخية وعاشوا مع أقوام أخرى وفي مقدمتهم السومريون وشاركوا في إنتاجها الحضاري. وأصبحت اللغة الأكديّة اللغة الرسميّة (وهي لغة السامية الشرقية). تفوقت بعد ذلك على اللغة السومرية وأصبحت اللغة السائدة منذ العصر البابلي القديم (الألف الثاني ق. م) واستعملت في التدوين والكتابة لكن دون القضاء على اللغة السومرية، واقتصر عليها كلغة حضارية مدونة جنباً إلى جنب مع اللغة الأكديّة. انظر: طه باقر، مقدمه في تاريخ الحضارات القديمة (حضارة وادي النيل)، ط ١، بيت الوراق للطباعة والنشر والتوزيع، ج ٢ ص ٤٢٨

١٩- الكاشيون جماعات بشرية قديمة استوطنت وادي الرافدين. ويعتبر الكاشيون دون شك من أقلها شهرة وأكثرها غموضاً. ويبدو أنهم جاءوا من أواسط جبال زاغروس بإيران وبدأوا في الانتقال إلى بلاد الرافدين والانتشار شيئاً فشيئاً فيها خلال القرنين الثامن عشر والسابع عشر قبل الميلاد. ويعتقد بأن الكاشيين كانوا في البداية أجراء يعملون في الزراعة وتذكر وثائق إدارية وتجارية تعود إلى القرن السابع عشر قبل الميلاد أسماء كاشية لأفراد توطدت أقدامهم سلمياً في جسد الدولة القائمة آنذاك وفي ذلك القرن أسست جماعة من أولئك الكاشيين دولة صغيرة مستقلة على حدود بلاد الرافدين بمنطقة تسمى حنا. . . وقد أسس الكاشيون على أنقاض بابل مملكة أو أسرة مالكة ظلت تحكم بابل مدة لا تقل عن ٤٣٨ عاماً وتعتبر بذلك واحدة من أطول الأسر المالكة حكماً في العراق القديم. انظر: الموسوعة العربية، م ١، ص ٥١٣

٢٠- المملكة الميتانية مملكة حورية بين القرن الخامس عشر ق. م وبدايات القرن الرابع عشر ق. م في شمال الهلال الخصيب في سوريا وما بين النهرين. بلغت رقعة المملكة الميتانية في أوج توسعها من نوزي شرقاً، (كيليكيا) كلها، وصولاً إلى حلب غرباً، وربما بلغت اللاذقية وحمص، وكانت مركز المملكة عند منابع الخابور، حيث كانت إحدى عواصم المملكة (واشوكانو/ واشوكاني) التي تدل على انها تل الفخرية في بالقرب من رأس العين في شمال شرق سوريا ويلاحظ أن امتداد هذه الرقعة في منطقة الجزيرة السورية وجنوب شرق تركيا وشمال شرق سوريا محيطة بالعاصمة واشوكاني. انظر: الموسوعة العربية، م ١، ص ٥١٣.

٢١- الموسوعة العربية، م ١، ص ٧٧٨

٢٢- الدولة الكلدانية البابلية (٦٢٥ إلى ٥٣٩ ق. م): أسسها نابوبلاصر الكلداني (٦٢٦-٥٦٢) كان قد قتل آخر ملوك الأشوريين سنة ٦٢٦ ق. م وفي عام ٦٢٥ ق. م فتح بابل وأسس إمبراطورية بابلية كلدانية عظيمة وفي وقته وصلت بلاد ما بين النهرين إلى ذروة العظمة والمجد وخلف نابوبلاصر على حكم الدولة الكلدانية البابلية الثانية ابنه نبوخذ نصر الثاني (بختنصر الكلداني) الذي دام حكمه من ٦٠٥ إلى ٥٦٢ قبل الميلاد. وقد قام نبوخذ نصر بإجلاء اليهود من فلسطين في السبي الأول سنة ٥٩٧ ق. م، وفي السبي الثاني الذي قاده بنفسه سنة ٥٨٦ ق. م. وخلف نبوخذ نصر بعد وفاته ملوك ضعفاء إلى أن قضى الفرس الأخمينيين بقيادة كورش الفارسي على الدولة البابلية الثانية سنة ٥٣٩ ق. م وأباد معظم الكلدان. انظر: الموسوعة العربية، م ٣، ص ١١٠

٢٣- الأخمينيون هم أسرة ملكية فارسية كونت لها إمبراطورية في فارس عام ٥٥٩ ق. م. واستولت علي ليديا (غرب الأناضول) إيران والهلال الخصيب ومصر، التي امتدت في أوجها إلى جميع أرجاء الشرق الأدنى، من وادي السند إلى ليبيا، وشمالاً حتى مقدونيا. وهكذا فقد تمكنوا من السيطرة على جميع الطرق التجارية المؤدية إلى البحر الأبيض المتوسط عبر البر والبحر. وأسقط الإسكندر الأكبر هذه الإمبراطورية عام ٣٣١ ق. م. ومن ملوكها قمبيز وقورش (سيروس). وتعتبر فترة حكم هذه الإمبراطورية هي فترة الحضارة الفارسية. انظر: الموسوعة العربية، م ١، ص ٥٥٤

٢٤- علي يونس خالد المناصير، الأختام الإسلامية، ص ١٠.

- ٢٥- نفس المرجع، ص ١٠- ١٢
- ٢٦- علي يونس خالد المناصير، الأختام الإسلامية، ص ١٣
- ٢٧- أسامة النقشبندي: الأختام الإسلامية في المتحف العراقي، دار الحرية، بغداد ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص ١١.
- ٢٨- ابن رجب الحنبلي: كتاب أحكام الخواتيم وما يتعلق بها، صححه وعلق عليه، أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٢٤؛ ناصر الغامدي: لباس الرجل، ج ١ ص ٣٩٤
- ٢٩- بئر أريس: بئر مهملة ومعروفة في المدينة قريبة من مسجد قباء. انظر: البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ، ط ٣، ج ١، ص ١٤٣؛ الحميري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إ. لافي بروفنسال، دار الجليل، ط ٢، بيروت ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ج ١، ص ٢٢
- ٣٠- القلقشندي: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨١، ج ٣، ص ٢٨٩؛ ابن كثير: إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ج ٦، ص ٥؛ الواقدي: محمد بن عمر بن واقد، فتوح الشام، دار الجليل، بيروت، ج ٢، ص ٤٠؛ ابن أبي شيبه: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبه الكوفي، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط ١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ، ج ٥، ص ١٩٢؛ ابن بطلال: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال البكري القرطبي، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط ٢، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، ج ٩، ص ١٣٣- ١٣٤.
- ٣١- يُذكر أن معيقب بن أبي فاطمة الدوسي من الأزد، وكان ممن أسلم قديماً بمكة ثم هاجر إلى أرض الحبشة، ويقال: بل رجع إلى بلده ثم قدم مع أبي موسى الأشعري والأشعريين على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر، وشهد خيبر وبقي إلى خلافة عثمان، وكان على خاتم رسول الله

صلى الله عليه وسلم وهو الذي سقط منه في بئر أريس. انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ، ج٤ ص ١١٦؛ البخاري الجعفي: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخاري الجعفي، التاريخ الكبير، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت، ج١، ص ٤٣٦

٣٢- البخاري: محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط٣، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ج٥، ص ٢٢٠٤

٣٣- مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٣، ص ١٦٥٧؛ الصالحي: محمد بن يوسف الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ، ج٧، ص ٣٣٤؛ الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة، الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، تحقيق: سيد عباس الجلبي، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٢هـ، ج١، ص ٩٥.

٣٤- القلقشندي: صبح الأعشى، ج٦، ص ٣٤١

٣٥- ابن رجب الحنبلي: كتاب أحكام الخواتيم، ص ٦٧

٣٦- القلقشندي: صبح الأعشى، ج٦، ص ٣٤١

٣٧- هو أحد الدواوين التي أنشأها الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان حتى تخرج التوقيعات سرية فلا يعلم أحد ما تحتويه من أسرار غير الخليفة، وبذلك لا تتعرض هذه التوقيعات للتزوير والتعديل. ويرجع السبب الذي دعا معاوية إلى إطلاق الختم على الكتب الخلافية إلى أنه أمر لعمر بن الزبير عند زياد بن أبيه بالكوفة بمائة ألف ففتح الكتاب، وغير المائة مائتين، ورفع زياد حسابه، فأفكر معاوية وطلب بها عمرو وحبسه حتى قضاها عنه أخوه عبد الله، فأخذ معاوية عند ذلك ديوان الخاتم، وخرم الكتب، ولم تكن تُخرم من قبل، وأسند ديوان الخاتم إلى عبد الله بن محسن الحميري، وقيل ولاه عبد الله بن أوس الغساني. وأصبح الديوان يضم عدداً من الكتاب القائمين على إنفاذ كتب السلطان والختم عليها إما بالعلامة أو الخرم. وكان الخرم يتم

عن طريق لصق رأس الصحيفة على ما تنطوي عليه من الكتاب، وقد جعل مكان الإلصاق علامة يؤمن معها من فتحه والاطلاع على ما فيه، وهي لا تخرج عن ختم المكان الملتصق بخاتم منقوش قد غمس في مذاب من الطين معد لذلك، أحمـر اللون. انظر: الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٣، ص ٢٦٤، ٥٣٤؛ اليعقوبي: أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ج ٢، ص ٢٣٢؛ الصولي: أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي، أدب الكتاب، تحقيق: أحمد حسن بسح، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ج ٢، ص ١٤٧. ٣٧.

٣٨- علي يونس خالد المناصير، الأختام الإسلامية ص ١٩.

٣٩- تاج السر أحمد حران: المدخل إلى علم التاريخ، ط ١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٥٨.

٤٠- الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ١٩٦-١٩٧.

٤١- ابن رجب الحنبلي: كتاب أحكام الخواتيم، ص ٣٣-٤٠. ولا شك أن أفضل أنواع الخواتم للرجال، خاتم الفضة للأحاديث الواردة في هذا الشأن. وقد سئل الإمام أحمد: ما السنة؟ يعني في التختم؟ فأجاب بقوله: لم تكن خواتيم القوم إلا من الفضة. انظر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت، الموسوعة الفقهية الكويتية، دار السلاسل - الكويت، مطابع دار الصفاة - مصر ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ، ج ١١، ص ٢٥؛ ناصر الغامدي: لباس الرجل؛ أحكامه وضوابطه في الفقه الإسلامي، ج ١ ص ٤٠٨.

٤٢- والصحيح أن خاتم الذهب للرجل محرم ولا يجوز لبسه. . وإن كان جائزاً في بادئ الأمر أي في أول الإسلام، لكن الإباحة نسخت بالتحريم كما في الأدلة السابقة، وإن كان هناك من العلماء من أباحه كابن حزم رحمه الله، وهناك من العلماء من كرهه ولم يجرمه، ولكن الأدلة الماثورة حجة عليهم، فقولهم مرجوح بالنصوص الشرعية الصحيحة التي لا تُطعن فيها. وقد وردت النصوص الشرعية بالوعيد الشديد لمن لبس الذهب من الرجال، ولكن مع الأسف فهناك ثلة من المسلمين لم يرتدعوا بل عصوا الله عز وجل، وتمردوا على أوامر نبيه صلى الله عليه وسلم. انظر: الزهراني: يحيى بن موسى، من أحكام الخاتم، ص ٧.

- ٤٣- محمد بن سعد بن منيع الزهري، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ج٦، ص٣٠١.
- ٤٤- إبراهيم النخعي: إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي، أبو عمران، الكوفي، الفقيه، عالم أهل الكوفة وفتيها. انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤ ص ٥٢٠
- ٤٥- ابن سعد: الطبقات الكبرى ج٦، ص٢٨٢-٢٨٣؛ أبو نعيم الأصفهاني: أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥، ج٤، ص ٢٢٩.
- ٤٦- أبو نواس أو الحسن بن هانئ الحكمي الدمشقي شاعر عربي من أشهر شعراء العصر العباسي، المعروف بأبي نواس، ولد في أهواز من بلاد خوزستان. انظر: النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ط١، ج٤ ص ٩٤
- ٤٧- ابن عساکر: مؤرخ الشام أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساکر الدمشقي، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م، ص٤٦٣؛ الأبشيهي: شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ط٢، ج٢، ص٦٢-٦٣.
- ٤٨- هو عبد الله بن مسعود، الإمام الخبر، فقيه الأمة، أبو عبد الرحمن الهذلي، حليف بني زهرة. صحابي جليل أحد أوائل المهاجرين حيث هاجر الهجرتين وصلى على القبلتين، وأول من جهر بقراءة القرآن. تولى قضاء الكوفة وبيت المال في خلافة عمر وصدر من خلافة عثمان. كان من السابقين الأولين، وشهد بدرًا، وهاجر الهجرتين، وكان يوم اليرموك على النقل، روى علما كثيرا. كان عبد الله رجلاً نحيفاً أحمر الساقين - (رفيع الساقين) - قصيراً شديد الأدمة وكان لا يغير شيبه. وكان لطيفاً فطناً. كما كان معدوداً في أذكيا العلماء. وكان رضي الله عنه من أجود الناس ثوباً، وأطيب الناس ريحاً. متواضعاً مع علمه وورعه وتقواه. انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١، ص٤٦٦، ٤٦٧، ٤٨٠.

٤٩ - ابن قتيبة: ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف - القاهرة، ج١، ص٢٤٩.

٥٠ - أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان الأنصاري الخزرجي النجاري المدني، أحد الأئمة الثقات، ولي أمرة المدينة ثم قضائها، قيل انه كان أعلم أهل زمانه بالقضاء، وقيل كان كثير العبادة والتهجد، توفي رحمه الله سنة ١٢٠ وقيل ١١٧ للهجرة. انظر: سير أعلام النبلاء، ج٥، ص٣١٣-٣١٤؛ الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج١٠، ص١٥٥.

٥١ - هو أبو الغصن، ثابت بن قيس الغفاري، من صغار التابعين. يروي عن: أنس بن مالك، وسعيد بن المسيب، ونافع بن جبير، وخارجة بن زيد الفقيه، وأبي سعيد كيسان المقبري، والقدماء، حدث عنه: معن بن عيسى، وعبد الرحمن بن مهدي، وبشر بن عمر الزهراني، وجماعة. . وأخطأ من زعم أنه جحا صاحب النوادر. قال ابن سعد: عاش ثابت بن قيس مائة وخمس سنين، ومات سنة ثمان وستين ومائة. انظر: ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، ط١، دار الرشيد - سوريا - ١٤٠٦ - ١٩٨٦، ج١، ص١٣٣؛ العيني: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفى، شرح أبي داود، تحقيق: خالد بن إبراهيم المصري، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج٦، ص٢٨٣.

٥٢ - ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٦٦، ص٤٨.

٥٣ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٦، ص٣٠١؛ الكتاني: الشيخ عبد الحي، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، دار الكتاب العربي، بيروت، ج٢، ص٦٩.

٥٤ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص١٦٠.

٥٥ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص٢٦٧.

٥٦ - الإمام طلحة بن عبيد الله رضي الله تعالى عنه ويجمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة، وكان رضي الله عنه من الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، ووقاه

بيده ونفسه، فشلت يده وجرح يومئذ أربعاً وعشرين جراحة، وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم طلحة الخير، قتل رضي الله عنه يوم الجمل سنة ست وثلاثين، وقبره بالبصرة. انظر: الشعراني: أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي المعروف بالشعراني، الطبقات الكبرى المسماة بلوائح الأنوار في طبقات الأخيار، تحقيق: خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج ١ ص ٣٤

٥٧- الطبقات الكبرى، ج٧، ص٢٦٧. وقد ورد عند مالك في الموطأ لا ينبغي للرجل أن يتختم بذهب ولا حديد ولا صفر ولا يتختم إلا بالفضة. فأما النساء فلا بأس بتختم الذهب لهن أنظر: الأصبحي: مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، موطأ مالك - رواية محمد بن الحسن، تحقيق: تقي الدين الندوي، ط١، دار القلم - دمشق - ١٤١٣-١٩٩١، ج٣، ص٣٢٨.

٥٨- خباب بن الأرت من بنى سعد بن زيد مناة حليف بنى زهرة كنيته أبو يحيى وقد قيل أبو عبد الله مولى ثابت بن الأرت بن أم أعمار الخزاعية مات بالكوفة سنة سبع وثلاثين وهو ابن خمسين سنة وصلى عليه على بن أبي طالب. ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد البستي، الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ج٣ ص ١٠٦.

٥٩- الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي - لبنان/ بيروت - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ط١، ج٣ ص ٥٦٤

٦٠- البراء بن عازب هو ابن الحارث، الفقيه الكبير أبو عمارة الأنصاري الحارثي المدني، نزيل الكوفة، من أعيان الصحابة. روى أحاديث كثيرة، وشهد غزوات كثيرة مع النبي صلى الله عليه وسلم. السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج١ ص ٢١١

٦١- الفسوي: أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي، المعرفة والتاريخ، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ج٣ ص ١٧٣؛ الترمذي: محمد بن علي بن الحسن بن بشر، المنهيات، تحقيق: محمد عثمان الحشت، ط١، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج١ ص ٤٣؛ ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله النمري: التمهيد لما في الموطأ من

المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ، ج ٢٤ ص ٣٣٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٩٦.

٦٢- البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: د. سهيل زكار، د. رياض زركلي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦، ج ١٠ ص ١٥.

٦٣- عبد الله بن يزيد المخزومي مدني ثقة. انظر: العجلي الكوفي: الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح نزيل طرابلس الغرب، معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، ط ١، مكتبة الدار، المدينة المنورة، السعودية، ١٤٠٥ / ١٩٨٥، ج ٢ ص ٦٥.

٦٤- البلاذري: أنساب الأشراف ج ٧ ص ٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٩٧.

٦٥- أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة أبو جعفر الطحاوي، شرح معاني الآثار، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٩٩، ط ١، ج ٤ ص ٢٥٩.

٦٦- مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهري القرشي كنيته أبو زرارة يروى عن علي بن أبي طالب وطلحة وابن عمر، مات سنة ثلاث ومائة. انظر: ابن حبان: الثقات ج ٥ ص ٤١١؛ ويروى أن مصعب بن سعد كان يلبس خاتمًا من ذهب أيضاً. انظر: البلاذري: أنساب الأشراف ج ١٠ ص ١٥.

٦٧- الصحابي الجليل صهيب بن سنان الرومي، وقد كان صهيب في بداية حياته غلامًا صغيراً يعيش في العراق في قصر أبيه الذي ولاه كسرى ملك الفرس حاكمًا على الأبلّة (إحدى بلاد العراق)، وكان من نسل أولاد النمر بن قاسط من العرب، وقد هاجروا إلى العراق منذ زمن بعيد، وعاش سعيدًا ينعم بثراء أبيه وغناه عدة سنوات. وذات يوم، أغار الروم على الأبلّة بلد أبيه، فأسروا أهلها، وأخذوه عبدًا، وعاش العبد العربي وسطالروم، فتعلم لغتهم، ونشأ على طباعهم، ثم باعه سيده لرجل من مكة يدعى عبد الله بن جدعان، فتعلم من سيده الجديد فنون التجارة، حتى أصبح ماهرًا فيها، ولما رأى عبد الله بن جدعان منه الشجاعة والذكاء والإخلاص

في العمل، أنعم عليه فأعتقه. وعندما أشرقت في مكة شمس الإسلام، كان صهيب ممن أسرع لتلبية نداء الحق، فذهب إلى دار الأرقم، وأعلن إسلامه أمام رسول الله. انظر: البغدادي: محمد بن حبيب البغدادي، المنمق في أخبار قريش، تحقيق: خورشيد أحمد فارق، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م، ج ١ ص ٢٥٧

٦٨- أبو ثعلبة الخشني، صاحب النبي -صلى الله عليه وسلم-. روى عدة أحاديث. اختلف في اسمه فقيل: جرهم بن ناشم. وقيل: جرثوم بن لاشر، وقيل جرثوم بن ناشم، من أهل بيعة الرضوان. وأسهم له النبي -صلى الله عليه وسلم- يوم خيبر، وأرسله إلى قومه، وأخوه عمرو بن جرهم، أسلم على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-. توفي سنة خمس وسبعين. انظر: الفسوي: المعرفة والتاريخ ج ٢ ص ٨٩

٦٩- ابن حنبل: المسند ج ٤ ص ١٩٥.

٧٠- ابن مسلم القرشي: عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي أبو محمد المصري، الجامع في الحديث، تحقيق: د. مصطفى حسن حسين أبو الخير، دار ابن الجوزي - السعودية - ١٩٩٦ م، ط١، ج ٢ ص ٦٨٨.

٧١- عوف بن مالك الأشجعي، كانت له صحبة، ويكنى أبا عمرو، ومات بالشام في أيام معاوية، ويقال في سنة ثلاث وسبعين. انظر: البلاذري: أنساب الأشراف ج ١٣ ص ٢٢٠.

٧٢- ابن سعد: الطبقات الكبرى ج ٤ ص ٢٨١.

٧٣- ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٢٢٠؛ في المعارف لابن قتيبة أن طلحة بن عبيد الله كان له خاتم من فضة، فضه ياقوته حمراء. انظر: ج ١، ص ٢٣١

٧٤- أبي عوانة: يعقوب بن إسحاق الأسفرائني، مسند أبي عوانة، دار المعرفة، بيروت، ج ٥، ص ٢٥٨.

٧٥- ابن رجب الحنبلي: كتاب أحكام الخواتيم، ص ٢٢

٧٦- ابن مودود الموصلية: عبد الله بن محمود بن مودود الحنفي، الاختيار لتعليل المختار، تحقيق: عبد اللطيف محمد عبد الرحمن، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م، ج ٤، ص ١٦٩؛ الموسوعة الفقهية الكويتية ج ١١، ص ٢٦.

- ٧٧- المقرئزي: تقي الدين أحمد بن علي، إمتاع الأسماع بما للنبى من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسى، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج٧، ص٥٧. قال أبو بكر بن العربي في القبس شرح المؤطأ: صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تختم في يمينه وفي يساره، واستقر الأكثر على أنه كان يتختم في يساره، فالتختم في اليمين مكروه، ويتختم في الخنصر، لأنه بذلك أتت السنة عنه صلى الله عليه وسلم والإقتداء به حسن ولكون في اليسار ابعء عن الإعجاب. انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية ج١١، ص٢٤.
- ٧٨- النسائي: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، المجتبى من السنن، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج٨، ص١٧٥.
- ٧٩- البغوي: عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان، معجم الصحابة، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، ط١، مكتبة دار البيان، الكويت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج٣، ص٥١٢؛ ابن أبي شيبه: محمد بن محمد بن أبي شيبه الكوفي، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ، ج٥، ص١٩٧. ابن عبد البر: التمهيد، ج١٧، ص١١٠، وعند الترمذي قال: حدثنا محمد بن حميد الرازي ثنا جرير عن محمد بن إسحاق عن الصلت بن عبد الله قال: كان ابن عباس يتختم في يمينه. انظر: الشرائع المحمدية، ج١، ص٩٤.
- ٨٠- الأشبهي: المستطرف ج٢، ص٦٢-٦٣؛ المقرئزي، إمتاع الأسماع، ج٧، ص٥٧.
- ٨١- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الشعب، القاهرة، ج١٠، ص٨٧؛ السفاريني الحنبلي: محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ج٢، ص٢٣٠.
- ٨٢- قال متروك الحديث. انظر: المقدسي: محمد بن طاهر، ذخيرة الحفاظ، تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي، ط١، دار السلف، الرياض، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج٢، ص٨٣٠.
- ٨٣- ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى (القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم)، تحقيق: زياد محمد منصور، ط٢، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٠٨هـ، ج١،

ص ٤٣٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٨، ص ١١٣؛ النفراوي المالكي: أحمد بن غنيم بن سالم، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ، ج ٢، ص ٣٠٩.

٨٤- برهان الدين مازة: محمود بن أحمد بن الصدر الشهيد النجاري، المحيط البرهاني، ج ٥، ص ٢٠١؛ العيني: عمدة القاري ج ٢٢، ص ٣٧؛ الحنفي: زين الدين ابن نجيم، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ط ٢، دار المعرفة، بيروت، ج ٨، ص ٢١٧. وقيل إن الأعمش يقول: (ما رأيتُ أحداً من الفقهاء إلا وهو يتختم في يساره) انظر: الصيرفي الحنبلي: أبو الحسيني المبارك بن عبد الجبار، الطويريات من انتخاب الشيخ أبي طاهر السلفي، تحقيق: دسمان يحيى معالي، عباس صخر الحسن، ط ١، أضواء السلف، الرياض، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ج ٧، ص ٦٢٧. ونقول: لبس الخاتم في اليمين هو دلالة السنة الصحيحة الصريحة، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لبسه في يمينه، ولبسه في يساره، وكان في اليمين أكثر كما قاله أبو زرعة، ولأن اليمين محل تكريم وتشريف، بعكس اليسرى فهي آلة الاستنجاء، فيصان الخاتم عن أن تصيبه النجاسة بل قال البخاري رحمه الله: إن حديث عبد الله ابن جعفر أصح شيء ورد فيه، والذي ورد في حديث بن جعفر أن التختم في اليمين، وأخرج الشيخان في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ التَّمِيمُ فِي تَنْعُلِهِ، وَتَرَجُلِهِ، وَطُهُورِهِ، وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ". انظر: العيني: عمدة القاري، ج ٤، ص ١٧١؛ ابن حجر الهيتمي: الفتاوى الكبرى الفقهية، دار الفكر، ج ١، ص ٢٦٤

٨٥- القلقشندي: مآثر الإنافة، ج ١، ص ١٠٦؛ ابن أبي شيبة: المصنف ج ٥، ص ١٩٦.

٨٦- الخراساني: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردني، الجامع في الخاتم، تحقيق: عمرو علي عمر، ط ١، الدار السلفية، بومباي، الهند، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ج ١، ص ٦٥.

٨٧- ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٢٨٣.

٨٨- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٦١٨.

٨٩- ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ١٩٠، ١٩٦-١٩٧؛ أبي شيبة: المصنف، ج ٥، ص ١٩٦

- ٩٠- ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص ٢٣١.
- ٩١- وَالْقَسِيُّ -: ثياب مخططة بالحرير.
- ٩٢- وَالْمَيْثِرَةُ الْحَمْرَاءُ: الفرش المتخذة من الحرير.
- ٩٣- الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٤، ص ٢٤٩.
- ٩٤- السفاريني الحنبلي: غداء الألباب شرح منظومة الآداب ج٢، ص ٢٣٠.
- ٩٥- ابن حبان: الثقات، ج٩، ص ٤٧. وقد نهى عن الاستنجاء باليمين والأدب في الاستنجاء باليسار ولا يخلو نقش خاتم من اسم الله تعالى فوجب تنزيهه عن مواضع النجاسة. انظر: الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، يتمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد محمد قمحية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج٤، ص ٧٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٤٠٤؛ ابن رجب الحنبلي: أحكام الخواتيم، ص ١٠١-١٠٥.
- ٩٦- الترمذي: سنن الترمذي، ج٤، ص ٢٢٩. لكن الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء وضع خاتمه مع من كان مخصصاً لحمله وهو معيقب بن أبي فاطمة الدوسي رضي الله عنه، كما جاء ذلك في كتب السير. الزهراني: من أحكام الخاتم ص ١٢
- ٩٧- المقرئ: إمتاع الأسماع، ج٧، ص ٥٧. ويرى جمهور أهل العلم أنه يجوز للمحرم لبس الخاتم حال إحرامه، كما يجوز له لبس النظارة والكمر والساعة فكذا الخاتم جائز. الزهراني: من أحكام الخاتم ص ١٦
- ٩٨- ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص ١٩٦-١٩٧
- ٩٩- مكحول الشامي: تابعي جليل القدر، إمام أهل الشام في زمانه، قال الزهري: العلماء أربعة، سعيد بن المسيب بالحجاز، والحسن البصري بالبصرة، والشعبي بالكوفة، ومكحول بالشام. ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط١، دار صادر، بيروت، ١٣٥٨هـ، ج٧، ص ١٧٣؛ أبي المحاسن: النجوم، ج ١ ص ٢٧٢
- ١٠٠- ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٤، ص ١٧٥-١٧٦.

- ١٠١- فقد سئل سعيد بن جبير عن الخاتم يُكتب فيه ذكر الله فكرهه. انظر: ابن عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ، ج١، ص٣٤٨. كما كره الشعبي أن تنقش الآية في الخاتم. انظر: ابن أبي شيبة: الكتاب المصنف، ج٥، ص١٩٢.
- ١٠٢- الهروي القاري: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا، جمع الوسائل في شرح السمائل، المطبعة الشرفية، مصر، ج١، ص١٤٨.
- ١٠٣- ابن رجب الحنبلي: كتاب أحكام الخواتيم، ص ٦٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى ج٦، ص٣٤١؛ ابن العديم: كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة: بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، ج٩، ص٤٠٤١؛ ابن عبد الرزاق: المصنف، ج١، ص٣٤٨؛ القلقشندي: مآثر الإنافة ج١، ص١٠٦.
- ١٠٤- سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي، أحد العشرة المبشرين بالجنة، اسلم قبل أن يدخل النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، لم يشهد معركة بدر، لان النبي كان قد بعثه هو وطلحة بن عبيد الله يتجسسان أخبار قريش، فلم يرجعا حتى فرغ من بدر، فضرب لهما الرسول الكريم بسهمهما وأجرهما، وقد شهد أحد والخندق وصلح الحديبية، توفي رضي الله عنه عام ٥١ للهجرة وهو ابن بضع وسبعين سنة، ودفن بالمدينة المنورة. الواقدي: أبو عبد الله بن عمر، فتوح الشام، دار الجيل، بيروت، ج١ ص ٢٠٤؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج١، ص٢٧٠، ج١٠، ص٢٨٦؛ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي، البلدان، دار مطبعة بريل، ليدن، ط١، ١٨٦٠م، ج١ ص١١٦؛ الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج١٥ ص١٣٧.
- ١٠٥- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٣٨٤.
- ١٠٦- أبو بشر: محمد بن أحمد بن حماد الدولابي، الكنى والأسماء، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ج٣، ص١٠٥.

- ١٠٧- أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء، ج٦، ص٣٢٩.
- ١٠٨- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الشعب، القاهرة، ج١٠، ص٨٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص١١٣.
- ١٠٩- الأبهشي، المستطرف ج٢، ص٦٢-٦٣.
- ١١٠- ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص١٠-١٢؛ الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج٢، ص١٩٥.
- ١١١- ابن العديم: بغية الطلب ج٩، ص٤٠٤١.
- ١١٢- أبو الفرج الأصفهاني: علي بن الحسين، مقاتل الطالبين، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط١، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ج١، ص١٣٢.
- ١١٣- أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء، ج٤، ص٢٢٩.
- ١١٤- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص١٠٤؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٦، ص١٣٥.
- ١١٥- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٦٨؛ أبي المحاسن: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، ج٣، ص١٦٩؛ السبكي: تاج الدين بن علي بن عبد الكافي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ، ج٢، ص٢٦٦.
- ١١٦- الزوزني: عبد الله بن محمد بن يوسف العبدلكاني: حماسة الطرفاء من أشعار المحدثين والقدماء، تحقيق: محمد بهي الله بن محمد سالم، ط١، دار الكتاب المصري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج١، ص٣٣٥.
- ١١٧- ابن الجوزي: المنتظم، ج٧، ص١٧٣؛ ابن عساكر: أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي: تاريخ مدينة دمشق، ج٦٠، ص٢٢٢؛ ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري، مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع الحافظ وآخرون، ط١، دار الفكر، دمشق، ج٢٥، ص٢٢٨.

- ١١٨- ابن شهاب الزهري: هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله الزهري المشهور بلقب الزهري وهو من الأئمة الكبار الذين عقدت عليهم الخناصر، كان الزهري مثلاً في الحفظ وقدوة في الإتقان والضبط وكان يمتاز بالسرعة الفائقة في الأخذ والفورية النادرة في الاستيعاب والحفظ. ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، ج ٤، ص ١٧٧
- ١١٩- ابن عبد البر: التمهيد، ج ٦، ص ١١٢؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ج ١٠، ص ٨٨؛ ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ج ٩، ص ٣٤٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٥، ص ٣٣٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٨، ص ٢٣٤؛ أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء، ج ٣، ص ٣٧١.
- ١٢٠- الطبري: تاريخ الطبري ج ٢، ص ٦٣١.
- ١٢١- هو وهب بن منبه بن كامل بن سبيح أبو عبد الله الصنعاني ويقال: الذماري وذمار من صنعاء سبيح، وكان مولده في زمن عثمان بن عفان سنة أربع وثلاثين، وعده أصحاب السير من الطبقة الثالثة من التابعين، وثقه ابن حجر، وقال عنه الذهبي صدوق. انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ٤، ص ٥٤٤ العجلي الكوفي: معرفة الثقات ج ٢ ص ٣٤٥؛ ابن حبان: الثقات ج ٩ ص ٤٧
- ١٢٢- حذيفة بن اليمان العبسي اسمه: حسيل بن جابر بن عبس حليف بني عبد الأشهل كنيته حذيفة أبو عبد الله من المهاجرين مات بعد قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه بأربعين ليلة. انظر: ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي السبتي، مشاهير علماء الأمصار، تحقيق: م. فلايشهر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٩م، ج ١، ص ٤٣.
- ١٢٣- الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ٢، ص ٣٦٧.
- ١٢٤- ابن سعد: الطبقات الكبرى ج ٧، ص ٢٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٤٠٤.
- ١٢٥- أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزي بن زيد بن امرئ القيس، حب رسول الله وابن حبه ومولاه أبو زيد ويقال أبو محمد ويقال أبو حارثة ولد في الإسلام وأمّه أم

أيمن بركة حاضنة النبي ومولاته وهو معدود في أهل المدينة والثاني عشر ممن في مسلم منهم روى عن النبي، ومات النبي وله عشرون سنة. انظر: السخاوي: الإمام شمس الدين السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ج ١، ص ١٦٦؛ ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ج ١، ص ١١.

١٢٦- مجتيشوع بن جبرائيل بن مجتيشوع بن جرجس طيب سرياني الأصل مستعرب، طبيب المأمون، قربه العباسيون لاسيما المأمون والمتوكل خدم الواثق والمتوكل والمستعين والمهتدي والمعزز. توفي في بغداد سنة ٨٧٠م. له من الكتب: (الجواب)، وكتاب (الجامعة عن طريق المسألة). انظر: ابن أبي أصيبعة: موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ج ١ ص ٢٠١-٢٠٢؛ القفطي: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق: محمد أمين الخانجي، ط ١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٦، ج ١ ص ٧٢

١٢٧- ابن قتيبة الدينوري: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، تحقيق: لجنة بدار الكتب المصرية، ط ٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٦م، ج ١، ص ٣٠٩.

١٢٨- عبد الأعلى بن مسهر الغساني الدمشقي، أبو مسهر: من حفاظ الحديث. ويقال له ابن أبي دارمه، شيخ الشام، عالم بالحديث والمغازي وأيام الناس وأنساب الشاميين. امتحنه المأمون العباسي، وهو في الرقة، وأكرهه على أن يقول القرآن مخلوق فامتنع، فوضعه في النطع، فمد رأسه. وجرده سيف، فأبى أن يجيب، وقيل: أجاب ولم يرض المأمون بإجابته، فحمل إلى السجن ببغداد، فأقام نحو من مئة يوم، ومات ٢١٨هـ. انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ج ٧ ص ٤٧٣

١٢٩- ابن حبان السبتي: محمد بن حبان أبو حاتم، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ج ١، ص ٦٧؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ج ٥٨، ص ١٨٠، ج ٣٣، ص ٤٢١.

130- الأعمش: هو سليمان بن مهران أبو محمد الأسدي الكاهلي، وأعدده أصحاب الطبقات من الطبقة الرابعة من التابعين. عاش في الكوفة، وكان محدثها في زمانه توفي سنة تسع وأربعين ومائة. انظر: اليعموري: أبو الحسن يوسف بن أحمد بن محمود اليعموري، نور القبس، تحقيق: رودلف

- زهايم، ط١، فرانتسشتاينر، فيسبادن، ألمانيا ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م، ج١، ص٢٣٥؛ ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، صفة الصفوة، تحقيق: محمود فاخوري ومحمد رواس قلعه جي، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ج٣، ص١١٧؛ ابن الجزري: شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف بن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: ج. براجستراسر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، ج١، ص٢٨٦.
- ١٣١- الرقيق القيرواني: أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم: المختار من قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور، تحقيق: أحمد الجندي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦٩م، ج١، ص٣٦٢.
- ١٣٢- الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تحقيق: عمر الطباع، دار القلم، بيروت، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ج٢، ص٣٥٠.
- ١٣٣- ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٩٠.
- ١٣٤- ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٩٦-١٩٧.
- ١٣٥- ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق ج١٣، ص٣٦٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية ج٨، ص٤٠.
- ١٣٦- أبو عمرو بن العلاء المازني النحوي المقرئ أحد القراء السبعة والأصح أن اسمه ريان اختلف في اسمه على أحد وعشرين قولاً وسبب الاختلاف في اسمه أنه كان لجلالته لا يسأل عنه. كان إمام أهل البصرة في القراءات والنحو واللغة. انظر: القنوجي: صديق بن حسن القنوجي، أجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م، ج٣، ص٣٨؛ الكتبي: محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق: علي محمد بن يعوض الله وعادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، ج١، ص٤١٤؛ السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، ج٢، ص٢٣١.
- ١٣٧- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٣١٨؛ الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص٤١٤؛ التنوخي: أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري، تاريخ العلماء النحويين من

البصريين والكوفيين وغيرهم، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلوة، ط٢؛ هجر للطباعة، القاهرة، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ج١، ص١٤؛ السيوطي: بغية الوعاة، ج٢، ص٢٣١.

١٣٨- ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ج١٣، ص٤٦٣

١٣٩ الطحاوي: شرح معاني الآثار، ج٤، ص٢٦٣

١٤٠- عتبة بن فرقد: هو الصحابي الجليل والمجاهد الكبير "عتبة بن فرقد بن مالك بن أسعد بن رفاعة، ويكنى أبا عبد الله، صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وله مواقف كثيرة تدل على بسالته، وشجاعته في سبيل الله. انظر: أبو نعيم: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، أخبار أصبهان، ج١ ص٢٠٩؛ ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، ج٢ ص٣٧١، ص٣٦٩

١٤١- ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٦، ص٤١.

١٤٢- ابن أبي شيبة: مصنف ابن أبي شيبة، ج٥، ص٢٠٠؛ النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري، صحيح مسلم بشرح النووي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ، ج١٤، ص٨٤؛ العجلوني: إسماعيل بن محمد الجراحي، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تحقيق: أحمد القلاش، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ، ج٢، ص٤٧٢.

١٤٣- أي خاف الرجل وذعر.

١٤٤- ابن حنبل: أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر، ج١، ص٣٦٠؛ ابن عبد البر: التمهيد، ج٢١، ص٢٠١.

١٤٥- ابن رجب الحنبلي: كتاب أحكام الخواتيم، ص٧٧. وروي أن جبريل عليه السلام استأذن رسول الله فأذن له فقال كيف أدخل وفي البيت قرآن فيه تمثيل خيول ورجال فإما أن تقطع رؤوسها (رءوسها) أو تتخذ سائد فتوطأ وإن لم تكن مقطوعة الرؤوس فتكره الصلاة فيه سواء كانت في جهة القبلة أو في السقف أو عن يمين القبلة أو عن يسارها فأشدد ذلك كراهة أن تكون

في جهة القبلة لأنه تشبهه بعبدة الأوثان ولو كانت في مؤخر القبلة أو تحت القدم لا يكره لعدم التشبه في الصلاة بعبدة الأوثان. كذا يكره الدخول إلى بيت فيه صور على سقفه أو جدرانه أو على الستور والأزر والوسائد العظام لأن جبريل عليه السلام قال إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب أو صورة ولا خير في بيت لا تدخله الملائكة وكذا نفس التعليق لتلك الستور والأزر على الجدار ووضع الوسائد العظام عليه مكروه لما في هذا الصنيع من التشبه (التشبيه) بعباد الصور لما فيه من تعظيمها. . وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت دخل رسول الله في بيتي وأنا مستبرة بسير في ثماني فتعير لوني وجه رسول الله حتى عرفت الكراهة في وجهه فأخذته مني وهتكه بيده فجعلناه نمرقة أو نمرقتين وإن كانت الصور على البسط والوسائد الصغار وهي تداس بالأرجل لا تكره لما فيه من إهانتها والدليل عليها حديث جبريل وعائشة رضي الله عنها. انظر: الكاساني: علاء الدين أبو بكر بن مسعود بن أحمد، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط ٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢م، ج ١، ص ١١٦.

١٤٦- ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٩٩.

١٤٧- ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٣٠١؛ الكتاني: الترتيب الإدارية، ج ٢، ص ٦٩.

١٤٨- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٦، ص ١٣٩.

١٤٩- ولاة عمر بن الخطاب الجيش وقتل بنهاوند سنة إحدى وعشرين. انظر: ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ج ١، ص ٤٣.

١٥٠- ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ج ١، ص ٤٣؛ ابن حبان: الثقات ج ٣، ص ٤٠٩؛ وفي الموسوعة الفقهية الكويتية، ج ١٢، ص ١٢٣ صورة أيل.

١٥١- عبد الله بن قيس. الإمام الكبير، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو موسى الأشعري، التميمي، الفقيه، المقرئ. وهو معدود فيمن قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم. جاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم وحمل عنه علماً كثيراً. انظر: العجلي الكوفي: معرفة الثقات ج ٢ ص ٥٢؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٢٦

١٥٢- عبد الرزاق: المصنف، ج ١، ص ٣٤٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٧، ص ١٦. وفي المحيط البرهاني للإمام برهان الدين ابن مازة: وكان على خاتم أبي موسى الأشعري كركيان انظر: ج ٥، ص ١٣٦. ونُقِلَ في التَّهْيِية أَنَّهُ كَانَ عَلَى خَاتَمِ أَبِي مُوسَى ذَبَابَتَانِ وَأَنَّهُ لَمَّا وَجَدَ خَاتَمَ دَانِيَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي عَهْدِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَجَدَ عَلَيْهِ أَسَدًا وَلِبْوَةً بَيْنَهُمَا صَبِيٌّ يَلْحَسَانُهُ وَذَلِكَ أَنَّ بَخْتَنَصْرَ قِيلَ لَهُ يَوْلَدُ مَوْلُودٌ يَكُونُ هَلَاكَكَ عَلَى يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَقْتُلُ مَنْ يَوْلَدُ فَلَمَّا وَلَدَتْ أُمُّ دَانِيَالَ أَلْقَتْهُ فِي غَيْضَةِ رَجَاءٍ أَنْ يَسْلَمَ فَقَبِضَ اللَّهُ لَهُ أَسَدًا يَحْفَظُهُ وَلِبْوَةً تَرْضِعُهُ فَتَقَشُّهُ بِرَأْيٍ مِنْهُ لِيَتَذَكَّرَ نَعَمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَدَفَعَهُ عَمْرٌ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ انظر: ابن نجيم الحنفي: زين الدين ابن نجيم الحنفي، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ط ٢، دار المعرفة، بيروت، ج ٢، ص ٣٠؛ الطبري: تاريخ الطبري ج ٢، ص ٥٠٥.

١٥٣- الكركي: طائر والجمع الكراكي. انظر: ابن منظور، لسان العرب ج ١٠، ص ٤٨١.

١٥٤- ابن عبد الرزاق: المصنف، ج ١، ص ٣٤٨. وزاد أو قال طائر له رأسان. وكذا عند ابن رجب. انظر: كتاب أحكام الخواتم، ص ٨٠.

١٥٥- ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٢٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٧، ص ١٦.

١٥٦- ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٢٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٧، ص ١٦.

١٥٧- ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ج ١، ص ٤٣؛ وكتاب الثقات ج ٣، ص ٨٠-٨٢؛ ابن رجب الحنبلي: كتاب أحكام الخواتم، ص ٧٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ٢، ص ٣٦٧.

١٥٨- أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود الهذلي روى عن أبيه رواية كثيرة قال محمد بن سعد وذكروا أنه لم يسمع منه شيئاً وقد سمع من أبي موسى وسعيد بن زيد الأنصاري وكان ثقة كثير الحديث. انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٢١٠.

١٥٩- ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٢١٠.

١٦٠- عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي، الصحابي الشهير، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، كان ذا مال عظيم وذا منزلة عظيمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرجع إليه في أمور كثيرة، وكان عمر يقول: عبد الرحمن سيد من سادات المسلمين، وكان

عبد الرحمن أحد الستة الذين اختارهم عمر لخلافته. انظر: ابن اسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار، سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي)، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف، تحقيق: محمد حميد الله، ج٤، ص٢٠٤، ٢٤٢ / عبد الرزاق: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تفسير القرآن، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٠هـ، ج٢، ص٢٨٣، ج٣، ص٢٨٩.

١٦١- أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، الآثار، تحقيق: أبو الوفا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٥٥هـ، ج١، ص٢٣٢.

١٦٢- ابن سعد: الطبقات الكبرى ج٧، ص١٠؛ ابن أبي شيبة: الكتاب المصنف، ج٥، ص١٩١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ج٢، ص٥١٠؛ الموسوعة الفقهية الكويتية، ج١٢، ص١٢٢.

١٦٣- أبو عمرو. وقيل: فاق الناس في الجمال والقامة، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسميه يوسف هذه الأمة؛ لجماله، بارز مهران يوم القادسية فقتله، كان يخضب بالصفرة، سكن الكوفة إلى خلافة علي. انظر: أبو نعيم الأصبهاني: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن مهران، معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، ط١، دار الوطن، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٨٨م، ج٢، ص٥٩١.

١٦٤- أبو نعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة ج٢، ص٥٩١.

١٦٥- من قوله تعالى "وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون" سورة النحل، آية رقم ١٢

١٦٦- الحسن البصري هو الحسن بن يسار البصري التابعي، كان أبوه مولى لزيد بن ثابت وقد ولد في خلافة عمر، ويروى أن عمر حنكه بيده، وقد روى عن عدة من الصحابة، كان كبير الشأن رفيع الذكر رأساً في العلم والعمل، توفي رحمه الله أول رجب سنة عشر ومائة من الهجرة. انظر: الكلاباذي: أحمد بن محمد بن الحسين البخاري، الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، تحقيق: عبد الله الليثي، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ، ج١، ص١٧١ ابن الجوزي: صفة الصفوة ج٣، ص٢٣٣.

## قائمة المصادر والمراجع

### أولاً: المصادر:

- ابن الأثير: علي بن أبي الكرم محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م). الكامل في التاريخ، تحقيق: عبدالله القاضي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
- ابن اسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار (ت ١٥١هـ/٧٦٨م). سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي)، تحقيق: محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف، (د. ت).
- الأصبغي: مالك بن أنس أبو عبد الله (ت ١٧٩هـ/٧٩٦م). موطأ مالك، تحقيق: د. تقي الدين الندوي، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٣/١٩٩١.
- ابن أبي أصيبعة: أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي السعدي (ت ٦٦٨هـ). عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة - بيروت، (د. ت).
- الاشبيهي: شهاب الدين بن محمد بن احمد (ت: ٨٥٢هـ). المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: مفيد محمد قميحة، ط٢، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي (ت: ٢٣٥هـ). الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، مكتبة الرشد، الرياض - ١٤٠٩.
- الأزهرى: أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ/٩٨٠م). تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
- الأصفهاني: الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم (ت ٥٠٢هـ). محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تحقيق: عمر الطباع، دار القلم، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- الاصفهاني: علي بن الحسين أبو الفرج (ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م). مقاتل الطالبين، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط١، دار إحياء الكتب العربية، مصر، (د. ت).

- البخاري الكلاباذي: أحمد بن محمد بن الحسين أبو نصر (٣٩٨هـ). الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، تحقيق: عبد الله الليثي، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧.
- البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله (٢٥٦هـ/ ٨٧٠م). صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط٣، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧ م؛ التاريخ الكبير، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دارالفكر، بيروت، (د. ت).
- برهان الدين مازة: محمود بن أحمد بن الصدر الشهيد النجاري (٥٧٠هـ). المحيط البرهاني، (د. ن)، (د. ت).
- أبو بشر الدولابي: محمد بن أحمد بن حماد (٣١٠هـ/ ٩٢٣م). الكنى والأسماء، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م.
- ابن بطلال: أبو الحسن علي بن خلف بن بطلال البكري القرطبي (٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م). شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط٢، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣ م.
- البغوي: أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز (٣١٧هـ/ ٩٢٩م). معجم الصحابة للبغوي، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، ط١، مكتبة دار البيان، الكويت، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م.
- البغدادي: محمد بن حبيب البغدادي (٢٤٥هـ/ ٨٦٠م). المنمق في أخبار قريش، تحقيق: خورشيد أحمد فارق، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م.
- البكري: عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي أبو عبيد (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م). معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، ط٣، عالم لكتب، بيروت، ١٤٠٣.
- البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (٢٧٩هـ/ ٨٩٢م). أنساب الأشراف، تحقيق: د. سهيل زكار/ د. رياض زركلي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦ م.

- البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردى الخراساني، ابو بكر (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م). **الجامع في الخاتم**، تحقيق: عمرو علي عمر، ط١، الدار السلفية، بومباي، الهند، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- الترمذي: محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله (ت ٣٢٠هـ). **المنهيات**، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ط١ مكتبة القرآن، القاهرة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م). **الشمائل الحمديّة والخصائل المصطفوية**، تحقيق: سيد عباس الجليمي، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٢هـ؛ **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).
- التنوخي المعري: أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر (ت ٤٤٢هـ/١٠٥٠م). **تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم**، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، هجر للطباعة، القاهرة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٨م). **يتمّة الدهر في محاسن أهل العصر**، تحقيق: د. مفيد محمد قمحية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- ابن الجزري: شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف (ت ٨٣٣هـ/١٤٣٠م) **غاية النهاية في طبقات القراء**، تحقيق: ج. براجستراسر\*، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦/١٤٢٧.
- ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م). **صفة الصفوة**، تحقيق: محمود فاخوري، د. محمد رواس قلعه جي، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩ / ١٩٧٩؛ **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، ط١، دار صادر، بيروت، ١٣٥٨.

- ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م) الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥ م؛ مشاهير علماء الأمصار، تحقيق: م. فلايشهر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٩؛ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.
- ابن حنبل: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م). مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة - مصر، (د. ت).
- الحنبلي: عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م). شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، ط١، دار بن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ.
- الحميري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م). صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إ. لافي بروفنسال، ط٢، دار الجيل - بيروت، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.
- ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) وفيات الأعيان و انباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة - لبنان، (د. ت).
- الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م). سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ؛ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م). مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

- ابن رجب: عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي (ت ٧٩٥هـ/١٣٩٢م). كتاب أحكام الخواتيم وما يتعلق بها، صححه وعلق عليه أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٩٨٥/١٩٠٥م.
- الرقيق القيرواني: أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق النديم
- (ت ٤٥٢هـ/١٠٣٤م). المختار من قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور، تحقيق: أحمد الجندي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦٩ م.
- الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م). أساس البلاغة، دار الفكر - ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، (د.ت).
- الزوزني: عبد الله بن محمد بن يوسف العبدلكاني (ت ٤٣١هـ). حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء، تحقيق: د. محمد بهي الله بن محمد سالم، ط١، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- السبكي: تاج الدين بن علي بن بن تمام (ت ٧٧١هـ/١٣٧٠م). طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ.
- السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م). التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله الزهري (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م) الطبقات الكبرى، دار صادر - بيروت، (د.ت)؛ الطبقات الكبرى (القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم)، تحقيق: زياد محمد منصور، ط٢، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - ١٤٠٨.
- السفاريني الحنبلي: محمد بن أحمد بن سالم (ت ١١٨٨هـ/١٧٧٤م). غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

- السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت٩١١هـ/١٥٠٥م). **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا، (د. ت).
- الشعراني: أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي (ت٩٧٣هـ/١٥٦٥م). **الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار**، تحقيق: خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- الشيرازي: إبراهيم بن علي بن يوسف أبو إسحاق (ت٤٧٦هـ/١٠٨٣م). **طبقات الفقهاء**، تحقيق: خليل الميس، دار القلم - بيروت، (د. ت).
- الصالحى الشامي: محمد بن يوسف (ت٩٤٢هـ). **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - ١٤١٤هـ.
- الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م). **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- الصنعاني: عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ). **تفسير القرآن**، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٠.
- الصولي: أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي (ت٣٣٦هـ). **أدب الكتاب**، تحقيق: أحمد حسن بسح، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت/لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- الصيرفي الحنبلي: أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الطيوري بن عبد الله (ت٥٩٠هـ). **الطيوريات من انتخاب الشيخ أبي طاهر السلفي**، تحقيق: دسمان يحيى معالي، عباس صخر الحسن، ط١، أضواء السلف، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- الطبري: أبي جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م). **تاريخ الطبري**، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).

- الطحاوي: أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة أبو جعفر (ت ٣٢١هـ). شرح معاني الآثار، تحقيق: محمد زهري النجار، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت ٤٦٣هـ). التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧.
- ابن عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ). المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط ٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣.
- العجلوني: إسماعيل بن محمد الجراحي (ت ١١٦٢هـ/١٧٤٩م). كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تحقيق: أحمد القلاش، ط ٤، مؤسسة الرسالة، بيروت. ١٤٠٥.
- العجلي الكوفي: الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح (ت ٢٦١هـ/٨٧٤م). معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، ط ١، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- ابن العديم: كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة (ت ٦٠٠هـ/١٢٦٢م). بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، (د. ت).
- ابن عساكر: أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت ٥٧١هـ). تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر - بيروت - ١٩٩٥.
- العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م). تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، ط ١، دار الرشيد، سوريا، ١٤٠٦ / ١٩٨٦.

- العيني: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى الغيتابي الحنفي بدر الدين (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م). شرح أبي داود، تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م.
- الفراهيدي: الخليل بن أحمد (ت ١٧٣ هـ / ٧٨٩ م). كتاب العين، دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي (د. ت).
- الفسوي: أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧ هـ). المعرفة والتاريخ، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م.
- ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م). المعارف، تحقيق: دكتور ثروت عكاشة، دار المعارف - القاهرة، (د. ت)؛ عيون الأخبار، تحقيق: لجنة بدار الكتب المصرية، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٦.
- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١ هـ). الجامع لأحكام القرآن، دار الشعب - القاهرة، (د. ت).
- القفطي: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م). إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق: محمد أمين الخانجي، ط١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٦.
- القلقشندي: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٨١ م.
- القنوجي: صديق بن حسن (ت ١٣٠٧ هـ / ١٨٩٠ م). أجمد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨.
- الكاساني: علاء الدين أبو بكر بن مسعود بن أحمد (ت ٥٨٧ هـ). بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢ م.

- الكتاني: الشيخ عبد الحي (ت ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م). نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، دار الكتاب العربي، بيروت، (د. ت).
- الكتي: محمد بن شاكر بن أحمد (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م). فوات الوفيات، تحقيق: علي محمد بن يعوض الله/ عادل أحمد عبد الموجود، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م). البداية والنهاية، مكتبة المعارف - بيروت، (د. ت).
- أبو المحاسن: جمال الدين يوسف بن تغري بردى الأتابكي (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م).
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، (د. ت).
- مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٤م). صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).
- ابن مسلم القرشي: عبد الله بن وهب أبو محمد المصري (ت ١٩٧هـ). الجامع في الحديث، تحقيق: د. مصطفى حسن حسين أبو الخير، ط ١، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٩٩٦م.
- المقرئ: تقى الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م). إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- المقدسي: محمد بن طاهر (ت ٥٠٧هـ). ذخيرة الحفاظ، تحقيق: د. عبد الرحمن الفيرواني، ط ١، دار السلف، الرياض، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م). لسان العرب، ط ١، دار صادر - بيروت، (د. ت)؛ مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع الحافظ وآخرون، ط ١، دار الفكر - دمشق، (د. ت).
- ابن مودود الموصلية: عبد الله بن محمود الحنفي (ت ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م). الاختيار لتعليل المختار، تحقيق: عبد اللطيف محمد عبد الرحمن، ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

- ابن نجيم الحنفي: زين الدين ابن نجيم الحنفي (ت ٩٧٠هـ). البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ط ٢، دار المعرفة، بيروت، (د. ت).
- أبو نعيم الأصبهاني: أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م). أخبار أصفهان، (د. ت)، (د. ت)، (د. ت)؛ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط ٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥؛ معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، ط ١، دار الوطن، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٨٨م.
- النفراوي المالكي: أحمد بن غنيم بن سالم (ت ١١٢٦هـ/١٧١٤م). الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ.
- النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري (ت ٦٧٦هـ/١٣٠٠م). صحيح مسلم بشرح النووي، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢ هـ.
- النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٣م). نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
- الهروي القاري: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا (١٤٠٤هـ/١٦٠٦م). جمع الوسائل في شرح الشمائل، المطبعة الشرفية - مصر، (د. ت).
- الهيثمي: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي السعدي (ت ٩٧٣هـ). الفتاوى الكبرى الفقهية، دار الفكر، (د. ت).
- الواقدي: أبو عبد الله بن عمر (٢٠٧هـ/٨٢٣م). فتوح الشام، دار الجيل - بيروت، (د. ت).
- اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م) تاريخ اليعقوبي، دار صادر - بيروت، (د. ت).
- اليعموري: أبو المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود (ت ٦٧٣هـ). نور القبس، تحقيق: رودلف زهايم، ط ١، دار النشر: فرانتسشتاينر - فيسبادن-ألمانيا ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
- أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم الأنصاري أبو يوسف (ت ١٨٢هـ). الآثار، تحقيق: أبو الوفا، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٥٥.

## ثانياً: المراجع

### الموسوعة العربية.

- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية لدولة الكويت. الموسوعة الفقهية الكويتية، ط ١، مطابع دار الصفوة، مصر، ط ٢ طبع الوزارة، الكويت، مصر، من ١٤٠٤ / ١٤٢٧ هـ.
- أسامة النقشبندي. الأختام الإسلامية في المتحف العراقي، د. ط، دار الحرية ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م.
- تاج السر أحمد حران. المدخل الى علم التاريخ، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.
- جواد علي. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط ١، ١٤١٣ هـ، ٢ / ١٩٩٣ م.
- طه باقر. مقدمه في تاريخ الحضارات القديمة (حضارة وادي النيل)، ط ١، بيت الوراق للطباعة والنشر والتوزيع.
- ناصر بن محمد بن مشري الغامدي. لباس الرجل؛ أحكامه وضوابطه في الفقه الإسلامي، (رسالة دكتوراه) ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- علي يونس خالد المناصير. الأختام الإسلامية، رسالة ماجستير، (د. ت).
- هاريتكروفورد. الأختام الدلمونية المبكرة من سار: الفن والتجارة في العصر البرونزي في البحرين، ترجمة: علي محمد يعقوب، مراجعة وتحقيق: خالد السندي، ط ١، وزارة الاعلام والثقافة والتراث الوطني، مملكة البحرين ٢٠٠٤.



# المواد الغذائية وأسعارها بمكة المكرمة

من خلال كتاب نيل المنى لجار الله بن فهد

٩٢٣ - ٩٤٦ هـ / ١٥١٧ - ١٥٣٩ م

((دراسة حضارية تحليلية))

إعداد

د. عبد الرحمن حسين أبو الخيور

أستاذ التاريخ والحضارة المساعد

قسم التاريخ - جامعة أم القرى



## المواد الغذائية وأسعارها بمكة المكرمة

من خلال كتاب نيل المنى لجار الله بن فهد

٩٢٣ - ٩٤٦ هـ / ١٥١٧ - ١٥٣٩ م

((دراسة حضارية تحليلية))

د. عبد الرحمن حسين أبو الخيور

### ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على المواد الغذائية وأسعارها بمكة المكرمة في الفترة من (٩٢٣-٩٤٦ هـ / ١٥١٧-١٥٣٩ م) وهي دراسة حصرية لما ورد في مؤلف المؤرخ جار الله بن فهد الموسوم "نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الوري". بالتركيز على أسعار المواد الغذائية "كالقمح، الحنطة، الذرة، الفواكه، التمور، اللحوم، السمن، والعسل، والماء... إلخ"، وتبيان الأسباب التي أدت إلى غلاء الأسعار ورخصها تبعاً لتقلبات السوق وسياسة العرض والطلب.

وقد اعتمدت في إعدادها على منهج البحث التاريخي، ومنهج البحث الوصفي التحليلي من أجل تحقيق الأهداف المرسومة والوصول إلى النتائج المطلوبة.

ومن ثم خلصت الدراسة إلى نتائج مهمة كثيرة نذكر منها على سبيل المثال:

- ١- سيطرة عملة (المحلوق) على حركة تبادل السلع التجارية اليومية المتمثلة في المواد الغذائية.
- ٢- تنوع استخدام المكاييل والموازين ما بين المحلية وما بين العالمية سواء المصرية منها أو الشامية.
- ٣- تأثر أسعار المواد الغذائية بمكة بوصول الوارد من الحبوب الغذائية من الخارج في وقته وما يصاحبه من استقرار الأسعار وتأخر وصولها وما يتبعه من ارتفاع أسعار السلع.



**Food Stuffs & Tier Prices at Holy Makkah**  
**Via the Book of Nail Al-Mona for Jar Ullah Bin Fahd**  
**923-946 H/ 1517-1539**  
**((Historical Analytical Study))**

**Abstract:**

This study aims to identify the food stuffs and their prices at Holy Makkah during the period from ((923-943 H/ 1517-1539). It is exclusive study for what came in the book of Jar Ullah Bin Fahd, which entitled " Nail Al-Mona". This study focuses on the prices of foodstuffs such as "wheat, corn, fruits, dates, meats, honey, water, margarine... etc", as well as identify the reasons that led to the raise of such prices and their cheapness according to the Policy of supply and demand.

The study used the historical method, as well as the analytical descriptive method in order to achieve the targets set and to reach to required results.

The study reached to important results from which are the followings:

- 1- The control of (Al-Mahliq) currency on the transactions of exchanging commercial goods, which are represented in foodstuffs.
- 2- The diversity of using Weights and measures between local and international, either the Egyptian or the Levant ones.
- 3- Prices of foodstuffs at Holy Makkah are affected by the Incoming of food grains from, outside , and what accompanies from price stability, and when it delay this leads to rise of the prices.

## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أما بعد:

فلا زال تاريخ مكة المكرمة الاقتصادي في حاجة إلى كثير من الدراسات والبحوث المعمّقة، ومن هذا المنطلق رأيت أنه من الواجب أن أكمل ما بدأ به بعض الباحثين من دراسات عن تلك البقعة المباركة في ذات المجال، فقد ألف كتاباً عن أسعار المواد الغذائية بمكة المكرمة خلال المدة من ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م إلى ٩٢٣هـ / ١٥١٧م. نشرته جامعة أم القرى سنة ١٤١١هـ / ١٩٩٠م للدكتور ضيف الله بن يحيى الزهراني، وصارت الفرصة مواتية لاستكمال تلك الدراسة بدراسة أخرى عن المواد الغذائية وأسعارها بمكة خلال الفترة من ٩٢٣هـ / ١٥١٧م إلى سنة ٩٤٦هـ / ١٥٣٩م. وهي دراسة حصرية لما أورده المؤرخ جار الله بن فهد في كتابه "نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الوري". وعندما حصرنا الدراسة في هذا المؤلف القيم - أي أن الباحث لم يتسن له الحصول على معلومات أوفر عن المواد الغذائية وأسعارها من خلال المصادر المكية المتاحة وغيرها من مصادر تلك الفترة - لذلك فقد لفت انتباه الباحث كثرة الأسعار التي أوردها جار الله بن فهد في كتابه هذا، واستغل الباحث تلك المعلومات في إعداد بحث علمي عن المواد الغذائية وأسعارها من خلال السرد اليومي الوارد في ثنايا ذلك المؤلف، لذلك جاءت الدراسة على النحو التالي:

- مقدمة عن المؤلف وكتابه
  - مصادر التموين الغذائي في مكة.
  - جداول أسعار المواد الغذائية وهي على النحو التالي:
- ١ - أسعار الحبوب "القمح أو الحنطة".

- ٢- أسعار السمن والعسل.
- ٣- أسعار اللحوم.
- ٤- أسعار الفواكه والتمور.
- ٥- أسعار مواد غذائية متنوعة
- ٦- أسعار الذرة.
- ٧- أسعار الماء.

وقد أرفقنا مع كل جدول دراسة تحليلية من واقع الحالات السعرية المدونة.

- وأخيراً خصص الحديث عن الأسباب التي أدت إلى غلاء الأسعار ورخصها من خلال السرد التاريخي الذي أورده المؤلف سواء ما كان ملازماً للحالات السعرية أو ما كان منفصلاً عنها.

#### ترجمة المؤلف:

جار الله بن فهد، ولد بمكة يوم عشرين من رجب سنة ٨٩١هـ / ١٤٨٦م، ونشأ في أحضان أسرته المكية، وتربى تربية إسلامية علمية، حفظ القرآن وأغلب المصنفات الأساسية في العلوم الشرعية، و تنقل في أرجاء العالم الإسلامي، حيث رحل إلى القاهرة في سنة ٩١٣هـ / ١٥٠٧م، ثم إلى اليمن في سنة ٩١٤هـ / ١٥٠٨م، ثم رحل إلى الشام ثلاث مرات في سنوات ٩٢٢هـ / ١٥١٦م، و ٩٢٨هـ / ١٥٢٢م، و ٩٣٤هـ / ١٥٢٧م أخذ العلم عن علماء أجلاء في داخل الحجاز وفي خارج الجزيرة العربية، فتكونت لديه ركائز أساسية في علوم شتى أثمرت عما يزيد عن تسعة وأربعين كتاباً ومن ضمنها كتابنا هذا "نيل المنى"، وقد انتقل إلى رحمة ربه فجر يوم الثلاثاء الخامس عشر من جمادى الأولى سنة ٩٥٤هـ / ١٥٤٧م<sup>(١)</sup>.

أما كتاب "نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الوري" فقد قام على تحقيقه الأستاذ الدكتور محمد الحبيب الهيلة، ونشر في مؤسسة الفرقان، فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة في سنة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

وقد جاء الكتاب على شكل أخبار يومية، أفاض المؤلف في أيام وشهور بعضها واقتضب في البعض الآخر.

بدأ المؤلف كتابه في شهر ذي الحجة من سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م وأنهاه بأخبار شهر رجب سنة ٩٤٦هـ / ١٥٣٩م. مع أن المؤلف توفى في جمادى الأولى من سنة ٩٥٤هـ / ١٥٤٧م، فقد ضاع من الكتاب قرابة أخبار ثماني سنوات، إضافة إلى انقطاع أخبار بعض السنوات التي كان يذهب فيها إلى رحلة علمية خارج مكة سواء في بلاد الشام واليمن أو غيرها، وهذا ظهر بدوره في ذكر الحوادث اليومية والشهرية والسنوية الواضحة في الكتاب. والكتاب في مجمله موسوعة إخبارية متخصصة في وقائع الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية في مكة المكرمة بصفة عامة. ويحق يعد هذا الكتاب آخر الكتب العلمية التي تحدثت بإسهاب عن أخبار مكة في جميع المجالات، ولعل الله - سبحانه وتعالى - يهيئ لمكة من يتتبع ويرصد أخبارها لحظة بلحظة على النحو الذي سنته أسرة بنو فهد.

أما موضوع مادة الكتاب العلمية في بحثنا هذا فهو رصد استقصائي لحالات الأسعار التي أوردها المؤلف في ثنايا كتابه، وهي وفيرة لدرجة يخيل إليك أن المؤلف كان أحد تجار المواد الغذائية، فكان يرصد حالات الأسعار اليومية ويبين تفاوتها ما بين الرخص والغلاء. إضافة إلى أنه كان يبحث في الأسباب المؤدية إلى ذلك، وقد بلغ المؤلف - رحمه الله - درجة من الدقة في الرصد أنه كان أحياناً يذكر السعر بالغلاء في أول النهار، وبالرخص في آخره، وهو قل ما نجد في مصادر تاريخنا الإسلامي، وهذه المعلومات الاقتصادية في حاجة إلى دراسة يستخلص منها مستوى معيشة السكان في

مكة، وهو ما دفعني لإعداد هذا البحث الذي أسأل الله أن أكون قد وفقت في إنجازه بما يحقق الفائدة العلمية المرجوة منه.

### مصادر التموين الغذائي لمكة المكرمة:

ينقسم حصر المواد الغذائية لسكان مكة المكرمة إلى قسمين: القسم الأول: الخضار والتمور والفواكه، وهذه الأنواع في الجملة تتوفر عن طريق الزراعة في مكة وأعمالها آنذاك مثل ما يجلبه التجار من الطائف ونجد ومن المدينة المنورة وهذه المواد الغذائية ليست أساسية في حياة الناس. أما القسم الثاني: فهو الحبوب بكافة أشكالها وأنواعها، واللحوم، والمياه. ومن خلال استقصائنا لمصادر التموين الغذائي لمكة نستطيع أن نحصر من خلال ذلك الأماكن التالية:

- ١ - منطقة سلاسل جبال السروات، وهي المناطق التي تمتد من الطائف جنوباً حتى بلاد اليمن جنوباً. بجيلة<sup>(٢)</sup>، وزهران، وغامد، ومناطق الطائف المتعددة.
- ٢ - بلاد اليمن، وكانت المواد الغذائية الواردة منها تصل عن طريقين: طريق البحر، وطريق البر.
- ٣ - السودان والحبشة، فقد كانت لمكة علاقات تجارية مع موانئ الساحل الشرقي لقارة أفريقيا، : سواكن<sup>(٣)</sup>، وزيلع<sup>(٤)</sup>، وبربره<sup>(٥)</sup>.
- ٤ - الديار المصرية، فقد كانت خير عون ودعم للديار المقدسة بتأمين احتياجات السكان سواء عن طريق الصدقات أو التجارة.
- ٥ - بلاد الشام، التي وقفت جنباً إلى جنب مع مصر في تموين مكة بالغذاء.
- ٦ - بلاد الهند، نظراً للعلاقات التجارية القديمة بين مكة المكرمة وبلاد الهند منذ القدم، فقد كانت البواخر ترد من الهند محملة بأصناف البضائع، وكذا بعض المستلزمات التي ترد عن طريق صدقات أهل الخير الموسرين من حكام وأعيان البلاد الهندية<sup>(٦)</sup>.

### أسعار المواد الغذائية بمكة خلال المدة من ١٥١٧هـ / ١٥١٧م حتى ١٤٦هـ / ١٥٣٩م:

"شهدت مكة المكرمة في الفترة المذكورة متغيرات اقتصادية كبيرة، وتأتي هذه المتغيرات على اعتبار أن النشاط التجاري المحور الرئيس في حياة سكان مكة فقد كان الحجاج يقومون بالدور الأكبر في ذلك النشاط، بما يجلبونه معهم من متاجر متنوعة، كما كان لموقعها المميز دور واضح في الحياة الاقتصادية؛ تلك المكانة الاقتصادية المميزة لمكة كانت المبرر القوي لمحاولة الكشف عن النشاط التجاري الذي ساد في فترة زمنية محددة تعتبر من أهم فترات تاريخ مكة السياسي والاقتصادي"<sup>(٧)</sup>.

#### منهج الدراسة:

من خلال هذا الطرح قام الباحث بمعالجة موضوع الدراسة وفق منهجية علمية يرجح أنها الأقرب في الصواب في معالجات مثل هذا الموضوع، حيث عمد الباحث إلى عمل جداول توضيحية لحالات الأسعار وتقلباتها من ناحية الرخص والغلاء والارتفاع والهبوط في اليوم الواحد صباحاً ومساءً على النحو التالي:

أ) الفترة الزمنية التي حصل فيها السعر.

ب) نوعية المادة الغذائية.

ج) حالة السعر سواء بالرخص أو الغلاء.

د) مقدار السعر حسب العملة الواردة في النص.

هـ) وحدة الكيل أو الوزن.

ثانياً: عمل نوعين من الجداول هما:

النوع الأول: جداول تمثل أسعار بعض المواد الغذائية كل على حدة مثل أسعار

القمح، والسمن، والعسل، واللحوم، والفواكه، والذرة، والماء.

**النوع الثاني:** جدول موحد يمثل أسعار بعض المواد الغذائية المتنوعة مثل الدخن، والشعير، والأرز، والبقول، والحب، وحب السيلال.

**ثالثاً:** تحليل مفصل لكل جدول من الجداول التي أوردناها.

**رابعاً:** عمل إحالة واحدة أو موحدة لمصادر أسعار كل مادة غذائية على حدة، وهذا أمر لا بد منه، لأن مسألة الإحالة لكل حالة سعرية تشكل إرهاقاً لهوامش الباحث. فالهامش الموحد كان الحل الأمثل لمثل تلك الحالة.

جدول رقم (١)

أسعار القمح (الحنطة)

| وحدة الكيل أو الوزن والملاحظات  | حالة السعر | السعر              | الفترة الزمنية             |
|---------------------------------|------------|--------------------|----------------------------|
| الربعية                         | غلاء       | أكثر من محلقين     | جمادى الأولى ٩٢٤هـ / ١٥١٨م |
| الربعية (الحب الحجازي)          | غلاء       | ثلاث محلقات        | رمضان ٩٢٤هـ / ١٥١٨م        |
| الربعية المصرية                 | رخص قليلاً | ٢,٥ محلق           | ٣ شوال ٩٢٤هـ / ١٥١٨م       |
| الربعية المصرية                 | رخص        | ملحقان             | ١٤ شوال ٩٢٤هـ / ١٥١٨م      |
| السعر لحمل الدقيق               | غلاء       | ١٠٠ دينار          | ذو الحجة ٩٢٤هـ / ١٥١٨م     |
| السعر للغرارة                   | غلاء       | ١٠٤٠ محلقاً        | ١٢ محرم ٩٢٥هـ / ١٥١٩م      |
| الربعية السعر للحب المصري       | غلاء       | ٥,٥ محلق           | ١٢ محرم ٩٢٥هـ / ١٥١٩م      |
| الربعية لحنطة الحجاز واللقيميه  | غلاء       | ما بين ٥ و٦ محلقات | ٢٤ محرم ٩٢٥هـ / ١٥١٩م      |
| الربعية للحب المصري             | رخص        | ما بين ٤ إلى ٣,٥   | ٢٨ محرم ٩٢٥هـ / ١٥١٩م      |
| الربعية للحب المصري             | رخص        | أربع محلقات        | ٣ صفر ٩٢٥هـ / ١٥١٩م        |
| الربعية للحنطة اللقيمية         | غلاء       | سبع محلقات         | ١٠ صفر ٩٢٥هـ / ١٥١٩م       |
| الربعية المصرية                 | غلاء       | ما بين ٥-٤ محلقات  | ١٨ صفر ٩٢٥هـ / ١٥١٩م       |
| الربعية، وبعض الحب المليح ب ٣,٥ | رخص        | ٣,٥ محلق           | ٢٣ ربيع أول ٩٢٥هـ / ١٥١٩م  |

| وحدة الكيل أو الوزن<br>والملاحظات | حالة<br>السعر | السعر                | الفترة الزمنية                 |
|-----------------------------------|---------------|----------------------|--------------------------------|
| الربعية                           | رخص           | ٣,٥ محلق             | ٨ ربيع ثاني ٩٢٥هـ / ١٥١٩م      |
| الأردب                            | رخص           | ما بين ٩ و١٠ أشرفيات | ٨ ربيع ثاني ٩٢٥هـ / ١٥١٩م      |
| الأردب                            | رخص           | ١٢٣ محلق دينار أشرفي | ١٩ جمادى الثانية ٩٢٥هـ / ١٥١٩م |
| الربعية                           | غلاء          | أربع محلقات          | رجب ٩٢٥هـ / ١٥١٩م              |
| الربعية للحب المصري               | غلاء          | أربع محلقات          | أول رمضان ٩٢٥هـ / ١٥١٩م        |
| الربعية لحب اللقيمي               | غلاء          | خمس محلقات           | أول رمضان ٩٢٥هـ / ١٥١٩م        |
| حمل دقيق                          | غلاء          | ٤١ ديناراً           | ١٣ رمضان ٩٢٥هـ / ١٥١٩م         |
| الربعية المصرية                   | غلاء          | خمس محلقات           | ١٢ ذو القعدة ٩٢٥هـ / ١٥١٩م     |
| الربعية والسعر للحنطة النخلية     | غلاء          | ٤,٥ - ٥ محلقاً       | ١٢ ذو القعدة ٩٢٥هـ / ١٥١٩م     |
| السعر لرطل الدقيق                 | رخص           | ١,٥ محلق             | ٢ ذو الحجة ٩٢٥هـ / ١٥١٩م       |
| الربعية للحب المصري               | رخص           | ٢,٥ - ٣ محلقات       | أول صفر ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م          |
| الربعية للحب المصري               | رخص           | ٢,٥ محلق             | أول ربيع أول ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م     |
| الربعية                           | رخص           | أقل من محلقين        | أول ربيع ثاني ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م    |
| الربعية                           | غلاء          | ٢,٥ محلق             | ١٠ ربيع ثاني ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م     |
| الربعية                           | غلاء          | ٣ محلقات             | ٢٢ ربيع ثاني ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م     |
| الربعية                           | رخص           | ١,٥ محلق             | ١٢ جمادى الثانية ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م |
| الربعية للحب المصري               | غلاء          | ٢,٥ محلق             | ٢ ذو الحجة ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م       |
| الربعية لحب النخليه               | غلاء          | ٣ محلقات             | ٢ ذو الحجة ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م       |
| الربعية للقيمية                   | غلاء          | ٤ محلقات             | أول محرم ٩٢٧هـ / ١٥٢١م         |
| الربعية للمصرية                   | غلاء          | ٣٣ محلقة             | أول محرم ٩٢٧هـ / ١٥٢١م         |
| الربعية للقيمي                    | غلاء          | ٤,٥ محلق             | ٢٥ محرم ٩٢٧هـ / ١٥٢١م          |
| الربعية لحب النخليه               | غلاء          | ٤ محلقات             | ٢٥ محرم ٩٢٧هـ / ١٥٢١م          |
| الربعية للمصرية                   | غلاء          | أربعة إلا ربع محلق   | ٢٥ محرم ٩٢٧هـ / ١٥٢١م          |

| وحدة الكيل أو الوزن والملاحظات                      | حالة السعر | السعر                 | الفترة الزمنية                 |
|---|------------|-----------------------|--------------------------------|
| الربعية للحنطة الحجازية                             | غلاء       | ٥,٥ محلق              | ٧ ربيع أول ٩٢٧هـ / ١٥٢١م       |
| الربعية   | غلاء       | ٥ محلقات              | ١١ ربيع أول ٩٢٧هـ / ١٥٢١م      |
| الربعية للحنطة                                      | رخص        | ٣ محلقات              | ٢٣ ربيع أول ٩٢٧هـ / ١٥٢١م      |
| الربعية المصرية                                     | رخص        | ٢,٥ محلق              | ١٨ جمادى الأولى ٩٢٧هـ / ١٥٢١م  |
| الربعية لحب النخيلة                                 | رخص        | ٣ محلقات              | ١٨ جمادى الأولى ٩٢٧هـ / ١٥٢١م  |
| للأردب، فكل ربعية ٢,٥ محلق                          | رخص        | ١٠ أشرفيات            | ٨ جمادى الثانية ٩٢٧هـ / ١٥٢١م  |
| الربعية المصرية                                     | غلاء       | ما بين ربع ونصف دينار | ٦ رمضان ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م          |
| الربعية المصرية والمحلق الصغير = كبيرين ونصف صغير   | غلاء       | خمس محلقات صغار       | ١٣ شوال ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م          |
| الربعية المصرية = ٧,٥ محلق صغير                     | غلاء       | ٣ محلقات كبار         | ٢٩ شوال ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م          |
| الربعية الحب اليماني                                | غلاء       | ٣,٥ محلقة كبار        | ٢٩ شوال ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م          |
| الربعية اللقيمييه = ١٠ صغار محلقة                   | غلاء       | ٤ محلقات كبار         | ١٠ ذو القعدة ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م     |
| الربعية اللقيمييه من حب يجيله                       | غلاء       | ٧,٥ محلقة             | ١٠ ذو القعدة ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م     |
| الربعية المصرية                                     | غلاء       | ٧ محلقات              | ١٠ ذو القعدة ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م     |
| السعر لحمل الدقيق                                   | غلاء       | ١٠٠ دينار             | ١٠ ذو الحجة ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م      |
| الربعية للحنطة المصرية                              | غلاء       | ٤,٥ محلقة             | ٢٨ ذو الحجة ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م      |
| لكل ربع   | غلاء       | دينار أشرفي           | ١ محرم ٩٣٣هـ / ١٥٢٦م           |
| الربعية اللقيمييه                                   | غلاء       | تسع محلقات            | ١٢ ربيع أول ٩٣٣هـ / ١٥٢٦م      |
| الربعية للحنطة اليمانية                             | غلاء       | ثمانية محلقات         | ١٢ ربيع أول ٩٣٣هـ / ١٥٢٦م      |
| الربعية   | غلاء       | أربع محلقات           | أول جمادى الأولى ٩٣٣هـ / ١٥٢٦م |
| الأردب  | غلاء       | ثماني أشرفيات         | أول رجب ٩٣٣هـ / ١٥٢٦م          |
| الغرارة للحب اللقيمييه بسعر الربعية وربع بمحلق كبير | غلاء       | ١٨ أشرفيا             | ٣ رجب ٩٣٦هـ / ١٥٢٩م            |

| وحدة الكيل أو الوزن<br>والملاحظات                               | حالة<br>السعر | السعر                     | الفترة الزمنية                |
|---|---------------|---------------------------|-------------------------------|
| الربعية اللقيمية  | غلاء          | ٣,٥ محلق صغير             | ١٧ ذو القعدة ٩٣٨هـ / ١٥٣١م    |
| السعر لحمل الدقيق ونزل<br>السعر إلى ٢٥ ديناراً                  | غلاء          | ٤٠ ديناراً                | أول ذو الحجة ٩٤٠هـ / ١٥٣٣م    |
| الربعية القمح   | رخص           | ٣ محلقات صغيرة            | ٧ ذو الحجة ٩٤٠هـ / ١٥٣٣م      |
| الرطل الدقيق  | رخص           | محلقة كبير                | ٧ ذو الحجة ٩٤٠هـ / ١٥٣٣م      |
| الربعية المصرية   | رخص           | ٣ محلقاً صغيرة            | ذو الحجة ٩٤١هـ / ١٥٣٤م        |
| الكيلة المصرية  | غلاء          | ٣ ١/٢ محلق                | أول محرم ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م        |
| الكيلة المصرية  | رخص<br>قليلاً | ٣ محلقات صغيرة<br>إلا ربع | أول محرم ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م        |
| الكيلة المصرية  | غلاء          | ٤ محلقات وثلاثة عثماني    | ربيع أول ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م        |
| الكيلة  | غلاء          | محلقة كبير وعثماني        | ١٦ جمادى الأولى ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م |
| الكيلة للحب المصري  | غلاء          | محلقة كبير وعثماني        | جمادى الثانية ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م   |
| الكيلة، بسعر الأردب (٢٥) أشرفياً<br>والغزارة تساوي (٥٠) أشرفياً | غلاء          | محلقة كبير وعثماني        | صفر ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م             |
| الربعية للحب المصري ما يعادل<br>(ربع دينار)                     | غلاء          | محلقتان كبيران وعثماني    | أول رمضان ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م       |
| الكيلة للحب المصري  | غلاء          | ثلاث محلقات كبار          | ١٠ رمضان ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م        |
| الربعية لحب اللقيمية  | غلاء          | أربع محلقات كبار          | ١٠ رمضان ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م        |
| الكيلة للحب المصري، ما يعادل<br>(سدس دينار)                     | رخص           | محلقة كبير وعثماني        | آخر رمضان ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م       |
| الكيلة للحب المصري  | رخص           | محلقة كبير وعثماني        | أول محرم ٩٤٦هـ / ١٥٣٩م        |
| الكيلة، ثم نزل السعر في نفس<br>اليوم إلى كبير وعثماني           | غلاء          | محلقتان كبيران            | أول صفر ٩٤٦هـ / ١٥٣٩م         |
| الكيلة <sup>(٨)</sup> .   | غلاء          | محلقة وعثماني             | ربيع أول ٩٤٦هـ / ١٥٣٩م        |

### تحليل جدول أسعار القمح:

بالنظر إلى الجدول يتضح:

- ١- أنه أخذ حيزاً كبيراً بين المواد الغذائية المتنوعة نظراً لكونه مادة غذائية رئيسية.
- ٢- انقطاع أخبار الأسعار في السنوات (٩٢٨هـ/ ٩٢٩هـ/ ٩٣٠هـ/ ٩٣١هـ) وهذا بسبب رحلة المؤلف إلى تركيا.
- ٣- أعلى سعر وصلت إليه أسعار القمح هو (١٠٤٠) محلقاً وهذا السعر للغرارة، وهذا يساوي بسعر الصرف ٢٣ ديناراً وذلك في شهر محرم من سنة ٩٢٥هـ، وأرخص سعر هو ما حصل في سنوات ٩٢٥هـ/ ٩٢٧هـ/ ٩٤٠هـ/ ٩٤٥هـ، ٩٤٦هـ، حيث وصل السعر إلى أقل من محلق ونصف.
- ٤- تنوعت العملة التي تداولت في بيع وشراء القمح، فقد استخدم المحلق كعملة رئيسية، ولكن وجد مع المحلق حالات سعر بالدينار الأشرفي، والعملة العثمانية.
- ٥- تنوع استخدام مكاييل متعددة في بيع وشراء الحبوب، وإن كانت الربعية هي المكيال المسيطر، إلا أنه وجدت الغرارة، والأردب، والكيلة.
- ٦- كان من أنواع الحبوب التي ساد استخدامها في مكة (الحنطة اللقمية، والمصرية، والحب الحجازي، والنخيلية، واليمانية).
- ٧- ساد الغلاء حالات الأسعار التي ذكرها المؤلف، لأنه يفترض أن تكون الأسعار دائماً رخيصة ويستثنى من ذلك حالات الغلاء، وأول حالات الغلاء التي ذكرها المؤلف كانت في ذي الحجة من سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، فقد ذكر أن الأسعار غالية ولم يوضح التفاصيل.
- ٨- أكثر حالات السعر وردت في ٩٢٥هـ/ ١٥١٩م.

جدول رقم (٢)

أسعار السمن والعسل

| الفترة الزمنية              | السعر              | حالة السعر | وحدة الكيل أو الوزن والملاحظات              |
|-----------------------------|--------------------|------------|---|
| رمضان ٩٢٤هـ / ١٥١٨م         | ٤ محلقاً           | غلاء       | الرطل السعر للسمن                           |
| رمضان ٩٢٤هـ / ١٥١٨م         | ٢,٥ محلق           | غلاء       | الرطل والسعر لرطل العسل                     |
| ٩ ذو الحجة ٩٢٤هـ / ١٥١٨م    | ١٠ محلقاً          | غلاء       | الرطل                                       |
| ١٠ محرم ٩٢٥هـ / ١٥١٩م       | ما بين ١٠-٨ محلقات | غلاء       | الرطل                                       |
| ٢٠ محرم ٩٢٥هـ / ١٥١٩م       | ٨ محلقات           | غلاء       | الرطل                                       |
| ٢٣ محرم ٩٢٥هـ / ١٥١٩م       | ٧ محلقات           | غلاء       | الرطل ونقص السعر في نفس اليوم إلى ٤,٥ محلقة |
| ١٢ صفر ٩٢٥هـ / ١٥١٩م        | ٤,٥ أشرفية         | غلاء       | بجيث بيع الرطل بأربعة إلابع                 |
| ١٦ صفر ٩٢٥هـ / ١٥١٩م        | ٤ ١/٣ محلق         | غلاء       | الرطل، ارتفع السعر بزيادة نصف محلق          |
| رجب ٩٢٥هـ / ١٥١٩م           | ٧ محلقات           | غلاء       | الرطل                                       |
| أول رمضان ٩٢٥هـ / ١٥١٩م     | ٧ محلقات           | غلاء       | الرطل                                       |
| أول صفر ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م       | ٤ محلقات           | رخص        | الرطل (السعر يمثل ما بين الرخص والغلاء)     |
| أول ربيع أول ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م  | ٣,٥ محلقة          | رخص        | الرطل                                       |
| أول ربيع ثاني ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م | ٣ محلقات           | رخص        | الرطل                                       |

| الفترة الزمنية                | السعر                      | حالة السعر | وحدة الكيل أو الوزن والملاحظات |
|-------------------------------|----------------------------|------------|--------------------------------|
| ٢ ذو الحجة ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م      | ٨ محلقات                   | غلاء       | الرطل                          |
| أول محرم ٩٢٧هـ / ١٩٢١هـ       | ٧ محلقات                   | غلاء       | الرطل                          |
| ٢٥ محرم ٩٢٧هـ / ١٩٢١هـ        | ٧ محلقات                   | غلاء       | الرطل                          |
| ٢٩ شوال ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م         | ما بين ١٥-١٨ محلقاً صغيراً | غلاء       | الرطل المصري للسمن             |
| غرة محرم ٩٣٣هـ / ١٥٢٦م        | أشرفي                      | غلاء       | الرطل للسمن                    |
| أول رجب ٩٣٣هـ / ١٥٢٦م         | ٤ أشرفيات                  | رخص        | المن للسمن                     |
| أول رجب ٩٣٣هـ / ١٥٢٦م         | ١٢ أشرفياً                 | رخص        | القنطار للعسل                  |
| ١٧ ذو القعدة ٩٣٨هـ / ١٥٣١م    | ٥٠ محلقاً كبيراً           | غلاء       | رطل السمن                      |
| ٩ ذو الحجة ٩٣٩هـ / ١٥٣٢م      | ٣ أشرفيات                  | رخص        | السعر لمن السمن                |
| ٧ ذو الحجة ٩٤٠هـ / ١٥٣٣م      | كيران (محلقات)             | رخص        | السعر لرطل السمن               |
| ذو الحجة ٩٤١هـ / ١٥٣٤م        | ٤٠ محلقاً كبيراً           | رخص        | السعر لمن السمن                |
| ربيع الأول ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م      | ٤ محلقات كبيرة             | غلاء       | رطل السمن                      |
| ١٦ جمادى الأولى ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م | ٤ محلقات كبيرة             | غلاء       | رطل السمن                      |
| جمادى الثانية ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م   | أكثر من ٤ محلقات كبيرة     | غلاء       | رطل السمن                      |
| المحرم ٩٤٣هـ / ١٥٣٦م          | ٨٠ محلقاً كبيراً           | غلاء       | السعر لمن السمن                |
| المحرم ٩٤٣هـ / ١٥٣٦م          | ٣٠ محلقاً كبيراً           | غلاء       | السعر لرطل العسل               |
| ٩ ذو الحجة ٩٤٣هـ / ١٥٣٦م      | ٣٠ محلقاً كبيراً           | رخص        | السعر لمن السمن                |

| الفترة الزمنية           | السعر            | حالة السعر | وحدة الكيل أو الوزن والملاحظات  |
|--------------------------|------------------|------------|---------------------------------|
| صفر ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م        | ٦٠ محلقاً كبيراً | غلاء       | السعر لمن السمن، كل رطل بكييرين |
| صفر ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م        | ٢٥ محلقاً كبيراً | غلاء       | السعر لكل عشرة أرطال            |
| أول رمضان ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م  | محلقان كبيراً    | رخص        | لكل رطل من السمن                |
| ٩ ذو الحجة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م | ٩٠ محلقاً كبيراً | متوسط      | لمن السمن                       |
| أول محرم ٩٤٦هـ / ١٥٣٩م   | ٤ محلقات كبيرة   | غلاء       | لرطل السمن                      |
| أول صفر ٩٤٦هـ / ١٥٣٩م    | ٥ محلقات كبيرة   | غلاء       | لرطل السمن <sup>(٩)</sup> .     |

#### تحليل جدول أسعار السمن والعسل:

- ١- وردت روايات عديدة عن أسعار السمن والعسل وهذا يدل على أنهما سلعتان غذائيتان أساسيتان في مكة في تلك الفترة.
- ٢- تراوحت الأسعار بين الرخص والغلاء، فقد سجلت أعلى حالة سعر للسمن في شهر ذو الحجة ٩٤٥هـ إذ بلغ سعر المن من السمن (٩٠) محلقاً، وأرخص حالة سعر كانت في ربيع ثاني ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م إذ بلغ سعر المن ثلاث محلقات.
- ٣- استخدم (الرطل، والمن، والقنطار) موازين في بيع وشراء السمن والعسل.
- ٤- العملات التي تم تداولها هي (المحلق، كبير وصغير) وهو المسيطر على عمليات السوق، وكذا استخدم الدينار الأشرفي.
- ٥- كانت أول حالة سعر وردت عن السمن في رمضان ٩٢٤هـ، وآخر حالة سعر في أول صفر ٩٤٦هـ / ١٥٣٩م.
- ٦- أكثر حالات السعر وردت في سنة ٩٢٥هـ / ١٥١٩م.

جدول رقم (٣)

أسعار اللحوم

| الفترة الزمنية           | السعر        | حالة السعر | وحدة الكيل أو الوزن والملاحظات            |
|--------------------------|--------------|------------|---|
| رمضان ٩٢٤هـ / ١٥١٨م      | محلوق        | غلاء       | الرطل                                     |
| ذو القعدة ٩٢٤هـ / ١٥١٨م  | دينار        | غلاء       | الرطل                                     |
| ٧ محرم ٩٢٥هـ / ١٥١٩م     | ١٠ محلق      | غلاء       | الرطل، السعر للحم الضاني                  |
| ٧ محرم ٩٢٥هـ / ١٥١٩م     | محلوق        | غلاء       | الرطل، السعر للحم الماعز                  |
| ٧ محرم ٩٢٥هـ / ١٥١٩م     | محلوق        | غلاء       | الرطل، السعر للحم الجمل<br>كل رطل ونصف    |
| ٧ محرم ٩٢٥هـ / ١٥١٩م     | محلوق        | غلاء       | الرطل، السعر للحم البقري،<br>لكل رطل وربع |
| ١٢ صفر ٩٢٥هـ / ١٥١٩م     | محلوق        | غلاء       | الرطل اللحم الضاني                        |
| ١٢ صفر ٩٢٥هـ / ١٥١٩م     | محلوق        | غلاء       | الرطل للحم الماعز كل رطل وربع             |
| رجب ٩٢٥هـ / ١٥١٩م        | ١٠ محلق      | غلاء       | الرطل                                     |
| أول رمضان ٩٢٥هـ / ١٥١٩م  | محلوقان      | غلاء       | الرطل اللحم الضاني                        |
| أول رمضان ٩٢٥هـ / ١٥١٩م  | بمحلوق       | غلاء       | الرطل للحم الجملي                         |
| أول رمضان ٩٢٥هـ / ١٥١٩م  | بمحلوق ونصف  | غلاء       | الرطل للحم الماعز                         |
| أول صفر ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م    | محلوقان      | غلاء       | الرطل للحم الضاني                         |
| ٢ ذو الحجة ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م | محلوقان ونصف | غلاء       | الرطل                                     |
| أول محرم ٩٢٧هـ / ١٥٢١م   | محلوقان ونصف | غلاء       | الرطل                                     |
| ٢٥ محرم ٩٢٧هـ / ١٥٢١م    | محلوقان ونصف | غلاء       | الرطل                                     |

| الفترة الزمنية                  | السعر                    | حالة السعر | وحدة الكيل أو الوزن والملاحظات |
|---------------------------------|--------------------------|------------|--------------------------------|
| آخر صفر ٩٢٧ هـ / ١٥٢١ م         | محلوق وربيع              | رخص        | الرطل                          |
| أول ذو القعدة ٩٣٢ هـ / ١٥٢٥ م   | محلوق كبير               | غلاء       | الرطل للحم الضاني              |
| أول ذو القعدة ٩٣٢ هـ / ١٥٢٥ م   | محلوقان صغيران           | غلاء       | الرطل للحم الجملي              |
| أول ذو القعدة ٩٣٢ هـ / ١٥٢٥ م   | محلوقان صغيران           | غلاء       | الرطل للحم الماعز              |
| أول محرم ٩٣٣ هـ / ١٥٢٦ م        | محلوق كبير               | غلاء       | الرطل للحم الضاني              |
| أول رجب ٩٣٣ هـ / ١٥٢٦ م         | من ربع إلى نصف إلى محلوق | رخص        | الرطل للحم الضاني              |
| ذو الحجة ٩٣٤ هـ / ١٥٢٧ م        | ديناران                  | رخص        | السعر للخروف الواحد            |
| جمادى الثانية ٩٣٦ هـ / ١٥٢٩ م   | محلوق كبير               | رخص        | رطل للحم                       |
| ١٧ ذو القعدة ٩٣٨ هـ / ١٥٣١ م    | محلوق ونصف صغير          | غلاء       | رطل للحم                       |
| ٩ ذو الحجة ٩٣٩ هـ / ١٥٣٢ م      | أشرفي ونصف               | رخص        | للخروف الواحد                  |
| ١٦ جمادى الأولى ٩٤٢ هـ / ١٥٣٥ م | محلوق كبير               | غلاء       | رطل للحم                       |
| جمادى الثانية ٩٤٢ هـ / ١٥٣٥ م   | محلوق كبير               | غلاء       | رطل للحم                       |
| ربيع أول ٩٤٣ هـ / ١٥٣٦ م        | محلوق كبير               | غلاء       | لكل رطل ونصف من اللحم          |
| صفر ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م             | محلوق كبير               | غلاء       | لكل رطل وربيع من اللحم         |
| صفر ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م             | محلوق كبير               | رخص        | لكل ثلاثة أرطال                |
| أول رمضان ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م       | محلوق كبير               | رخص        | لكل رطل وربيع من اللحم         |
| ٩ ذو الحجة ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م      | أشرفيان وزيادة           | متوسط      | لكل خروف                       |
| أول محرم ٩٤٦ هـ / ١٥٣٩ م        | محلوق كبير               | غلاء       | لكل رطل وربيع من اللحم         |
| أول صفر ٩٤٦ هـ / ١٥٣٩ م         | محلوق كبير               | غلاء       | لرطل اللحم <sup>(١٠)</sup> .   |

### تحليل جدول أسعار اللحوم:

- ١- اهتم المؤلف بأسعار اللحوم كثيراً لذلك أفرد لها حيزاً كبيراً في كتابه مما يدل على أنها كانت تشكل سلعة غذائية مهمة في حياة الناس.
- ٢- تراوحت الأسعار ما بين الرخص والغلاء، فكان أقل سعر ورد هو (ربع) محلق وذلك في رجب من سنة ٩٣٣هـ / ١٥٢٦م. وأعلى سعر هو (٥, ٢ محلق) وذلك في ذي الحجة ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م، وأول محرم ٩٢٧هـ / ١٥٢١م.
- ٣- وردت الأسعار بالمحلق الكبير والصغير وكذا بالدينار الأشرفي.
- ٤- تنوعت اللحوم المباعة ما بين لحوم الضأن والماعز، والبقر، والجمل.
- ٥- استخدم الرطل كوحدة وزن رئيسة في بيع اللحوم.
- ٦- وردت حالتا سعر نشاز لسعر الخروف وهو حي وذلك في ذي الحجة من سنة ٩٣٤هـ / ١٥٢٧م، بسعر دينارين أشرفيين. وذلك في تاسع ذي الحجة من سنة ٩٣٩هـ / ١٥٣٢م، بسعر دينار أشرفي ونصف.
- ٧- ترد الأسعار أحياناً مبهمه دون تفصيل كقول المؤلف: بلغت أسعار اللحوم... ولم يوضح نوع اللحم.

جدول رقم (٤)

أسعار الفواكه والتمور

| وحدة الكيل أو الوزن<br>والملاحظات   | حالة<br>السعر | السعر                     | الفترة الزمنية                 |
|---|---------------|---------------------------|--------------------------------|
| الرطل للعنب   | غلاء          | محلّق للرطل<br>والنصف     | رمضان ٩٢٤هـ / ١٥١٨م            |
| للبطيخ الأخضر للحبة الواحدة   | غلاء          | ربع دينار                 | ٩ ذوالحجة ٩٢٤هـ / ١٥١٨م        |
| السعر لربعية الزبيب   | غلاء          | ٤ محلقات                  | ٢٤ محرم ٩٢٥هـ / ١٥١٩م          |
| السعر للتمر   | غلاء          | محلقتان إلا ربع           | ٢٤ محرم ٩٢٥هـ / ١٥١٩م          |
| الرطب البرني نوع من أنواع<br>الرطب  | غلاء          | ما بين ١ -<br>١ ١/٢ محلّق | رجب ٩٢٥هـ /<br>١٥١٩م           |
| الرطل لأنواع اللبانه، تمور، وكل<br>حمل بخمسين ديناراً، والحمل<br>غراتين وهما تساويان عشرون<br>مداً مكياً. | غلاء          | محلقتان                   | رجب ٩٢٥هـ /<br>١٥١٩م           |
| الرطل، السعر للعنب  | غلاء          | محلّق                     | رجب ٩٢٥هـ / ١٥١٩م              |
| السعر للخوخ كل رطل وربع بمحلّق  | غلاء          | محلّق                     | رجب ٩٢٥هـ / ١٥١٩م              |
| السعر لرطل الرطب  | غلاء          | محلقتان صغيران            | ٤ شوال ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م           |
| السعر لرطل العنب  | غلاء          | محلقتان صغيران            | ٤ شوال ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م           |
| السعر للرطب   | غلاء          | محلقتان صغيران            | أول ذو القعدة ٩٣٢هـ /<br>١٥٢٥م |

| الفترة الزمنية                 | السعر       | حالة السعر | وحدة الكيل أو الوزن والملاحظات                |
|--------------------------------|-------------|------------|---|
| أول ذو القعدة ٩٣٢ هـ / ١٥٢٥ م  | محلقات ونصف | غلاء       | الرطل اللبانه                                 |
| أول ذو القعدة ٩٣٢ هـ / ١٥٢٥ م  | محلقات ونصف | غلاء       | الرطل للعنب                                   |
| ذو الحجة ٩٣٤ هـ / ١٥٢٧ م       | غلاء        | غلاء       | لعموم الفاكهة وخاصة البطيخ                    |
| ١٧ ذو القعدة ٩٣٨ هـ / ١٥٣١ م   | محلقات كبير | غلاء       | رطل التمر                                     |
| أول ربيع الأول ٩٤٤ هـ / ١٥٣٧ م | محلقات      | غلاء       | لكل رطلين ونصف من العنب                       |
| أول رمضان ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م      | محلقات كبير | رخص        | لكل رطلين من التمر                            |
| أول محرم ٩٤٦ هـ / ١٥٣٩ م       | محلقات كبير | غلاء       | لرطل الرطب                                    |
| أول محرم ٩٤٦ هـ / ١٥٣٩ م       | محلقات كبير | غلاء       | لرطل العنب.                                   |
| أول صفر ٩٤٦ هـ / ١٥٣٩ م        | محلقات كبير | غلاء       | لكل رطل ونصف من العنب                         |
| أول صفر ٩٤٦ هـ / ١٥٣٩ م        | محلقات كبير | غلاء       | لكل رطل وربع من تمر اللبانه <sup>(١١)</sup> . |

#### تحليل جدول أسعار الفواكه والتمور:

- ١- تنوعت الفواكه في مكة فشملت الزبيب، العنب، البطيخ، والخوخ.
- ٢- التمور الأكثر عرضاً بالسوق تمثلت في الرطب، الرطب البرني، واللبانه.
- ٣- كان البطيخ يباع بسعر الحبة الواحدة (ليس هناك سعر محدد).
- ٤- استخدمت عملة المحلقات الكبير والصغير في بيع الفواكه والتمور.

- ٥- استخدم ميزان الرطل في بيع الفواكه والتمور.
- ٦- لم يذكر المؤلف إلا حالة واحدة كانت رخيصة في بيع التمور، إذ بلغ الرطل نصف محلق، وذلك في أول رمضان من سنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م.
- ٧- ذكر المؤلف أنه في ذي الحجة من سنة ٩٣٤هـ / ١٥٢٧م، حصل غلاء في عموم الفاكهة وخاصة البطيخ.
- ٨- وردت حالة بيع زبيب واحدة بأربع محلقات للربعية.
- ٩- بلغ سعر البطيخة الواحدة في تاسع ذي الحجة من سنة ٩٢٤هـ / ١٥١٨م (ربيع دينار أشرفي) وهذا يعد غلاءً فاحشاً.

جدول رقم (٥)

أسعار مواد غذائية متنوعة (الدخن، والشعير، والجن، والأرز، والفول)

| الفترة الزمنية             | السعر           | حالة السعر | وحدة الكيل أو الوزن والملاحظات |
|----------------------------|-----------------|------------|--------------------------------|
| جمادى الأولى ٩٢٤هـ / ١٥١٨م | أكثر من محلقين  | غلاء       | ربعية الدخن                    |
| رمضان ٩٢٤هـ / ١٥١٨م        | ثلاث محلقات     | غلاء       | ربعية الأرز المصري             |
| رمضان ٩٢٤هـ / ١٥١٨م        | ثلاث محلقات     | غلاء       | رطل الجن                       |
| ذو القعدة ٩٢٤هـ / ١٥١٨م    | أربعة دنانير    | غلاء       | للمد من الأرز والسعر لمد ونصف  |
| ٩ ذو الحجة ٩٢٤هـ / ١٥١٨م   | دينار           | غلاء       | شكوه اللبن                     |
| ٧ محرم ٩٢٥هـ / ١٥١٩م       | ست محلقات       | غلاء       | ربعية الشعير                   |
| ٧ محرم ٩٢٥هـ / ١٥١٩م       | من ٥-٧ محلقات   | غلاء       | ربعية حب السيات                |
| ١٠ محرم ٩٢٥هـ / ١٥١٩م      | عشر محلقاً ونصف | غلاء       | ربعية الأرز                    |

| وحدة الكيل أو الوزن<br>والملاحظات | حالة<br>السعر | السعر                 | الفترة الزمنية                  |
|-----------------------------------|---------------|-----------------------|---------------------------------|
| ربعية الدخن                       | غلاء          | ست محلقات             | ٢٤ محرم ٩٢٥هـ / ١٥١٩م           |
| ربعية الدخن                       | غلاء          | خمس محلقاً ونصف       | ١٠ صفر ٩٢٥هـ / ١٥١٩م            |
| ربعية الدخن                       | غلاء          | من ٥-٦ محلقات         | ١٨ صفر ٩٢٥هـ / ١٥١٩م            |
| رطل الجبن                         | رخص           | واحد ونصف محلق        | أول صفر ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م           |
| مَنْ الجبن                        | رخص           | ثلاث محلقات           | أول ربيع أول ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م      |
| رطل الجبن                         | رخص           | محلق واحد             | أول ربيع ثاني ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م     |
| ربعية الشعير                      | غلاء          | ثلاث إل أربع محلق     | ٢٢ ربيع أول ٩٢٧هـ / ١٥٢١م       |
| ربعية الدخن                       | غلاء          | ثلاث محلقات           | ٢٥ محرم ٩٢٧هـ / ١٥٢١م           |
| ربعية الدخن                       | غلاء          | أربع محلقات           | ٧ ربيع الأول ٩٢٧هـ / ١٥٢١م      |
| ربعية الدخن                       | رخص           | محلقتان ونصف          | ٢٣ ربيع ثاني ٩٢٧هـ / ١٥٢١م      |
| ربعية الدخن                       | رخص           | ملحقتان وربيع         | ١٨ جماد أول ٩٢٧هـ / ١٥٢١م       |
| ربعية الشعير                      | غلاء          | أربع محلقات صغيرة     | ٦ رمضان ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م           |
| ربعية الفول                       | غلاء          | ثلاث محلقات ونصف      | ٦ رمضان ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م           |
| ربعية الفول                       | غلاء          | خمس محلقات صغيرة      | ٢٩ شوال ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م           |
| ربعية الدخن                       | غلاء          | ثمانية محلقات<br>صغار | أول ذو القعدة<br>١٥٢٥هـ / ١٥٢٥م |

| الفترة الزمنية              | السعر             | حالة السعر | وحدة الكيل أو الوزن والملاحظات |
|-----------------------------|-------------------|------------|--------------------------------|
| أول ذو القعدة ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م | ست محلقات صغار    | غلاء       | ربعية الشعير                   |
| ١٠ ذو القعدة ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م  | سبع محلقات        | غلاء       | ربعية الدخن                    |
| ٢٨ ذو الحجة ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م   | سبع محلقات        | غلاء       | ربعية الأرز                    |
| ٢٨ ذو الحجة ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م   | أربع محلقات       | غلاء       | ربعية الدخن                    |
| ١٢ ربيع أول ٩٣٣هـ / ١٥٢٦م   | سبع محلقات        | غلاء       | ربعية الدخن                    |
| أول رجب ٩٣٣هـ / ١٥٢٦م       | خمس محلقات        | رخص        | مَنّ الجبن                     |
| ١٧ ذو القعدة ٩٣٨هـ / ١٥٣١م  | ٣,٥ محلقة صغار    | غلاء       | ربعية الدخن                    |
| ربيع أول ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م      | أربع محلقات صغار  | غلاء       | كيلة الدخن                     |
| أول رمضان ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م     | محلقات كبيران     | غلاء       | ربعية الشعير                   |
| أول رمضان ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م     | محلقة كبير وزيادة | غلاء       | كيلة الفول                     |
| رمضان ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م         | أربع محلقات       | غلاء       | ربعية الأرز <sup>(١٢)</sup> .  |

### تحليل جدول أسعار المواد الغذائية المتنوعة:

- ١- يختلف هذا الجدول عن غيره من جداول المواد الغذائية كونه يعرض لحالات أسعار مواد غذائية متنوعة، وقد آثرنا عرضها في جدول واحد نظراً لقلّة المعلومات الواردة عن كل مادة غذائية.
- ٢- اشتمل الجدول على أسعار المواد الغذائية التالية: الدخن، والشعير، والأرز، والجن، والفل، وحب السبال.
- ٣- احتل الدخن المرتبة الأولى بين المواد الغذائية في هذا الجدول، وجميع الحالات الواردة وردت بسعر غال ماعدا حالتين في سنة ٩٢٧هـ / ١٥٢١م وردتا برخص قدر باثنين وربع محلق.
- ٤- استخدم مكيال الربعية في بيع وشراء الدخن.
- ٥- استخدمت عملة المحلق في بيع وشراء الدخن.
- ٦- احتل الشعير المرتبة الثانية حسب رواية المؤلف، وقد استخدم مكيال الربعية وعملة المحلق في بيعه وشرائه.
- ٧- ورد ذكر الأرز كمادة غذائية وذكر لها خمس روايات كلها حالات غلاء. وقد استخدمت الربعية والمد، وعملة المحلق في بيعه وشرائه.
- ٨- ذكر المؤلف - رحمه الله - سلعة الفول والجن من ضمن المواد الغذائية السائدة في مكة والتي أعطاها المؤلف حيزاً لا بأس به في اهتمامه بأسعار المواد الغذائية.
- ٩- وردت رواية واحدة لخب السبال.

جدول رقم (٦)

أسعار الذرة

| الفترة الزمنية                | السعر             | حالة السعر | وحدة الكيل أو الوزن والملاحظات |
|-------------------------------|-------------------|------------|--------------------------------|
| جمادى الأولى ٩٢٤هـ / ١٥١٨م    | أكثر من محلقين    | غلاء       | الربعية                        |
| ٧ محرم ٩٢٥هـ / ١٥١٩م.         | ما بين ٦-٧ محلقات | غلاء       | الربعية                        |
| ٧ محرم ٩٢٥هـ / ١٥١٩م          | ٨,٥ محلق          | غلاء       | السعر للذرة الدهلكية           |
| ١٠ صفر ٩٢٥هـ / ١٥١٩م          | ٥,٥ محلق          | غلاء       | الربعية                        |
| أول رمضان ٩٢٥هـ / ١٥١٩م       | ٤ إلا ربع         | غلاء       | الربعية                        |
| ٢٢ ربيع ثاني ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م    | ثلاثة إلا ربع     | غلاء       | الربعية                        |
| ٢٥ محرم ٩٢٧هـ / ١٥٢١م         | ثلاث محلقات       | غلاء       | الربعية                        |
| ٧ ربيع أول ٩٢٧هـ / ١٥٢١م      | ٤ محلقات          | غلاء       | الربعية                        |
| ١٨ جمادى الأولى ٩٢٧هـ / ١٥٢١م | محلقتان           | رخص        | الربعية                        |
| ٦ رمضان ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م         | خمس محلقات        | غلاء       | الربعية                        |
| أول ذو القعدة ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م   | سبع محلقات صغار   | غلاء       | الربعية                        |
| ١٠ ذو القعدة ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م    | سبع محلقات        | غلاء       | الربعية                        |
| ٢٨ ذو الحجة ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م     | أربع محلقات       | غلاء       | الربعية                        |

| الفترة الزمنية             | السعر          | حالة السعر | وحدة الكيل أو الوزن والملاحظات |
|----------------------------|----------------|------------|--------------------------------|
| ١٢ ربيع أول ٩٣٣هـ / ١٥٢٦م  | ٦,٥ محلقة      | غلاء       | الربعية                        |
| ١٧ ذو القعدة ٩٣٨هـ / ١٥٣١م | ٣,٥ محلقة صغار | غلاء       | الربعية                        |
| أول ربيع أول ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م | ٤ محلقات صغار  | غلاء       | الكيلة <sup>(١٣)</sup> .       |

#### تحليل جدول أسعار الذرة:

- ١- جميع حالات الأسعار التي وردت كانت بحالات غلاء ماعدا حالة واحدة وردت في الثامن عشر من جمادى الأولى ٩٢٧هـ / ١٥٢١م كانت حالة رخص قدره (محلقة).
- ٢- وردت أسعار الذرة بمكيال الربعية والكيلة.
- ٣- وردت الأسعار بعملة المحلق الكبير والصغير.
- ٤- أول حالة سعر ذكرها المؤلف كانت في جمادى الأولى سنة ٩٢٤هـ / ١٥١٨م، وآخر حالة كانت في ربيع أول سنة ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م.
- ٥- أعلى سعر وصلت إليه الذرة هو ثماني ونصف محلق وذلك في السابع من المحرم من سنة ٩٢٥هـ / ١٥١٩م، وبقية الأسعار ما دون ذلك صعوداً وهبوطاً.

جدول رقم (٧)  
أسعار الماء

| وحدة الكيل أو الوزن<br>والملاحظات | حالة السعر | السعر       | الفترة الزمنية             |
|-----------------------------------|------------|-------------|----------------------------|
| راوية الماء الحلو                 | غلاء       | محلّق ونصف  | رمضان ٩٢٤هـ / ١٥١٨م        |
| قربة الماء                        | غلاء       | محلّق ونصف  | رجب ٩٢٥هـ / ١٥١٩م          |
| لراوية                            | غلاء       | ثلاث محلقات | أول رمضان ٩٢٥هـ / ١٥١٩م    |
| للقربة                            | غلاء       | محلّق ونصف  | أول رمضان ٩٢٥هـ / ١٥١٩م    |
| لقربة الماء الحلو                 | رخص        | ربع محلّق   | أول صفر ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م      |
| لقربة الماء الحلو                 | غلاء       | محلّق ونصف  | ٤ شعبان ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م      |
| لراوية الماء                      | غلاء       | محلّقان     | آخر شوال ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م     |
| لراوية الماء                      | غلاء       | أربع محلقات | ٢ ذو الحجة ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م   |
| لراوية الماء                      | غلاء       | محلّقان     | أول محرم ٩٢٧هـ / ١٥٢١م     |
| للاوية                            | غلاء       | دينار وربع  | ذو الحجة ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م     |
| لكل (١٠) راوية                    | غلاء       | دينار أشرفي | ٢٢ ذو القعدة ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م |
| لشربة الماء                       | غلاء شديد  | دينار ذهب   | ذو الحجة ٩٣٥هـ / ١٥٢٨م     |
| للاوية                            | غلاء       | محلّق صغير  | ١٧ ذو القعدة ٩٣٨هـ / ١٥٣١م |
| للاوية                            | غلاء       | محلّق كبير  | ٧ ذو الحجة ٩٤٠هـ / ١٥٣٣م   |
| للاوية <sup>(١٤)</sup> .          | رخص        | عثماني      | ذو الحجة ٩٤١هـ / ١٥٣٤م     |

### تحليل جدول أسعار المياه:

- ١- كانت المياه تشكل أهمية كبرى لدى سكان مكة المكرمة.
- ٢- الوحدات التي استخدمت في بيع الماء هي: الراوية، والقربة، والشربة.
- ٣- تمثلت العملات المستخدمة في بيع وشراء الماء في: الدينار الأشرفي، والمحلقي الكبير والصغير، والعملة العثمانية.
- ٤- كانت أعلى حالة سعر ذكرها المؤلف هي (دينار ذهب) لشربة الماء، وهذا يعد غلاء فاحشاً وذلك في حج عام ٩٣٥هـ / ١٥٢٨م.
- ٥- وردت حالة الأسعار بحالة غلاء ماعدا حالتين هي في أول صفر ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م كانت (ربع محلقي لقربة الماء الحلوي)، وفي ذو الحجة من سنة ٩٤١هـ / ١٥٣٤م هي (عثماني) للراوية.
- ٦- أول حالة غلاء سجلت كانت في شهر رمضان من سنة ٩٢٤هـ / ١٥١٨م، وآخر حالة غلاء كانت في السابع من ذي الحجة من سنة ٩٤٠هـ / ١٥٣٣م.

### الأسباب التي أدت إلى غلاء الأسعار وخصها:

من خلال عرض الجداول السابقة يتضح أن أسعار المواد الغذائية تأرجحت ما بين الرخص والغلاء، إلا أن كفة الغلاء كانت هي المسيطرة على الحالة المعيشية لسكان مكة، وقد اهتم المؤلف بذكر حالات الغلاء بشكل ملفت للانتباه، ونادراً ما نجده يتحدث عن رخص الأسعار وانحلالها وهذا في نظر الباحث أمر طبيعي لأن حالة الأسعار يفترض فيها الاعتدال وما خرج عن ذلك فسيكون غلاء فاحشاً مؤثراً في حياة الناس، ثم ما يلبث أن يزول ذلك الغلاء بفضل عوامل محددة وواضحة تكون هي بمثابة الرخص الذي تثبته المصادر، وسواء كانت الحالة السعرية غلاء أم رخصاً فإن لذلك أسبابه التي أدت إليه وهي على النحو التالي:

كانت أول حالة غلاء ترد هي ما ذكره المؤلف في شهر جمادى الأولى من سنة ٩٢٤هـ / ١٥١٨م من وصول الخبر إلى مكة بأن الخوارج عبد الله الذمي الحضرمي توجه إلى بلاد دهلك<sup>(١٥)</sup> ومعه ثلاثة مراكب فيها نحو مائتي مقاتل فقاتل سلطانها في شهر ربيع أول من سنة ٩٢٤هـ / ١٥١٨م فقتله ونهب البلد، وصارت الأسعار غالية بها وبمكة أيضاً. وهذا يعني أن مكة تتأثر بالحروب والفتن سواء كانت داخلية أو خارجية.

ومن أسباب الغلاء جشع التجار واحتكارهم، ففي شهر رمضان ٩٢٤هـ / ١٥١٨م وما بعده، اشتد الغلاء وذلك باحتكار الدولة والخدم للمواد الغذائية. وعندما علم الحاكم القائد مبارك بن بدر بذلك التصرف المشين توجه بنفسه إلى السوق وأمر الباعة بعدم الاحتكار.

ولم تكن المشكلة في أوامر الحاكم وإنما في طاعة تلك الأوامر من قبل المحتكرين الذين لا يلقون لها بالاً مما دعا المؤلف إلى القول: "فإن الله يقدر ويرخص الأسعار" وهذا الأسلوب نجده عند المؤلف في غالب رواياته فنجده يدعو الله برحمة عباده بأن يرخص لهم الأسعار.

فكان الفرج يأتي مع وصول البواخر التي كان يطلق عليها "الجلاب" من مصر أو من اليمن أو من أي جهة أخرى تساهم في حل أزمة الغلاء، ففي شوال ٩٢٤هـ / ١٥١٨م رخصت الأسعار قليلاً في الحبوب وذلك بسبب وصول ثلاثة مراكب من القصير ميناء مصر - إلى ميناء جدة، وكذا وصول عشرين مركباً من ميناء ينبع.

وفي شهر محرم ٩٢٥هـ / ١٥١٩م وقع غلاء فاحش مما اضطر سلطات المحتسب إلى التدخل غير أن جهوده ومحاولاته باءت بالفشل، فكرر تدخله في أواخر الشهر نفسه في سعر السمن ولم تثمر جهوده عن شيء وصار الناس يبيعونه في منازلهم وقفلوا محلاتهم التجارية.

ولم تنته تلك الأزمة إلا بوصول قافلتين تحملان سمناً كثيراً فأدى ذلك إلى رخص الأسعار وعودة التجار إلى محلاتهم التجارية. ثم نجد أن تدخل بعض حكام الدول الإسلامية يخفف من غلاء الأسعار بمكة، ففي الثاني والعشرين من شهر محرم من سنة ٩٢٥هـ / ١٥١٩م نجد أن حاكم عدن مرجان أمر أصحاب الجلاب الذين عنده بالتوجه إلى زيلع وشحنها جباً لأهل مكة. وهذا ساعد في انفراج أزمة الأسعار قليلاً.

ولم يلبث أن عاد الاحتكار مرة أخرى ليلعب دوراً خطيراً في غلاء الأسعار. ففي شهر صفر من سنة ٩٢٥هـ / ١٥١٩م نجد الوزير الجمالي محمد بن راجح يحتكر الحبوب التي وصلت من اليمن ويمنع بيعها حتى يتم بيع الحبوب التي في مخازنه، وهذا التصرف المشين يقابله ما هو أفضل منه، ففي شهر ربيع ثاني ٩٢٥هـ / ١٥١٩م أرسل ملك الأمراء نائب الديار المصرية إلى الطور (٤٠٠٠) إردب قمح لبيعها بمكة إضافة إلى توزيع مائة إردب على الفقراء. مما أدى إلى رخص الأسعار وتبأشر الناس بذلك خيراً وقد وصل من ذلك (١٨٠٠) إردب في شهر جمادى الثانية ٩٢٥هـ / ١٥١٩م منها (١٠٠) إردب صدقة على أهل الحرم فارتفق الناس بذلك كثيراً.

وفي شهر ذي القعدة ٩٢٥هـ / ١٥١٩م عاودت الأسعار الغلاء بسبب وصول الخبر إلى مكة من جدة بوصول الجيش العثماني إلى ينبع، فأدى ذلك إلى فزع الناس لتأمين احتياجاتهم خوفاً من كثرة العسكر وسيطرتهم على الأسواق فهبوا إلى تأمين مستلزماتهم المعيشية قبل وصول العسكر العثماني وهذا بدوره أدى إلى نفاذ المواد الغذائية وترتب عليه غلاء الأسعار بشكل عام. إلا أن الحكومة المصرية قامت بمد السوق بالمستلزمات الغذائية. ففي ذي الحجة ٩٢٥هـ / ١٥١٩م وصلت أحمال كثيرة من جدة وأدى ذلك إلى رخص الأسعار.

وفي شهر صفر ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م رخصت الأسعار نظراً لتوفر القمح عن طريق القصير إلى جدة ثم إلى مكة، وتكرر هذا الرخص في شهر ربيع أول من السنة نفسها نظراً لتوفر الحبوب القادمة من اليمن ومصر، وكذا توفر الأمطار الأمر الذي ترتب عليه وفرة المياه والمراعي مما أدى إلى كثرة السمن والعسل وبعض المنتجات المحلية لمكة وأعمالها.

وما زالت الأسعار رخيصة في شهر ربيع ثاني نظراً لوصول الحبوب من ثلاث مدن هندية، إلا أن الأسعار ما لبثت أن ارتفعت في نفس الشهر والسنة والسبب أن الحاكم بمكة القائد مبارك بن بدر نادى في شوارع مكة بالجهاد ضد الفرنج وتوجه بنفسه إلى السوق وأخذ منها كمية كبيرة من الحبوب فتشوش الناس بذلك وطلع سعر الحب في ساعة. وكذلك تواصل الغلاء في مكة في ذلك الشهر بسبب غلاء كراء الجمال من جدة التي بواسطتها ينقل الحب إلى مكة إذ بلغ كراء الجمل الواحد ما بين خمسة ونصف إلى ستة دنانير أشرفية، وذلك نظراً لقلّة الجمال مع توفر الحبوب التي وصلت من الهند.

وفي الحادي عشر من هذا الشهر لعبت الفتنة الداخلية بمكة بين الأشراف وبين عسكر نائب جدة دوراً كبيراً في رفع الأسعار في جدة ومكة.

وكان للصدقات الدور الأكبر في اعتدال الأسعار ورخصها، ففي السادس من جمادى الثانية ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م تم توزيع صدقات السلطان الأشرف قايتباي على أهل الرباط وأرباب الوظائف، وتكرر ذلك في جمادى الثانية من عام ٩٢٧هـ / ١٥٢١م إذ تم توزيع ثلاثمائة أردب على أهل الرباط. وارتفق الضعفاء من ذلك ونزل سعر الحب في السوق.

وقد تتأثر الأسعار بكثرة الناس في مكة. ففي الرابع من شعبان ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م دخل إلى مكة أترك الشريف بعرضة لطيفة من المعلاة وسببوا غلاء في أسعار المياه واللحوم.

وفي الرابع والعشرين من شهر محرم ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م عاودت الأسعار الارتفاع نظراً لقلّة الواصل من الحبوب من خارج مكة، ثم للإشاعة التي وصلت إلى مكة بخصوص الفتنة بمصر بين نائبها ونائب الديار الشامية، وهذه الفتنة الخارجية كانت تؤثر سلباً على مستوى الأسعار بمكة نظراً لارتباطها بما يصل من خارج مكة من المواد الغذائية المتنوعة وخاصة الحبوب، وعندما تتأخر بواخر التموين القادمة من الخارج ترتفع الأسعار مباشرة، ففي آخر جمعة من صفر ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م زادت الأسعار بسبب عدم وصول الجلاب من جهة البحر، ومن جهة أخرى فإن الأمطار كانت قليلة جداً، مما أثر على الرعاة وأهل البادية بشكل خاص، مما اضطرهم إلى بيع مواشيهم بأبخس الأثمان.

وإزاء هذه الأزمة المتفاقمة في غلاء الأسعار أمر النوري علي بن أبي الوفاء نائب الحسبة بمكة في الحادي عشر من ربيع الأول ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م بأن يباع الحب بسعر خمس محلقات، فلم يستجب أهل السوق، والأسوأ من هذا أنهم أخفوا الحب المليح النظيف وطرحوا مكانه الحب الرديء أو الوطيء كما سماه المؤلف، وهذا يعني أن جهود الحكومة يكون لها في بعض الأحيان انعكاسات سلبية غير محمودة.

وقد اتسم النصف الثاني من سنة ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م برخص الأسعار في كافة المواد الغذائية، والسبب توفر المواد الغذائية القادمة من اليمن وزيلع والقصير، وقد أشار إلى ذلك المؤلف في حيثياته اليومية عن أحوال السوق.

ماعدًا حالة واحدة لفتت انتباه الحاكم بمكة وشكى منها أهل السوق وهي أنه في الثالث والعشرين من ربيع ثاني ٩٢٧هـ / ١٥٢١م. قبض الحاكم بمكة على أهل السوق من الصيارف والجبانيين والسمنانين وغيرهم وضرب كثير منهم وتهددتهم نظراً للزيادة في صرف العملة المساعد الجديدة حيث رفعوا سعرها إلى (١٢) مسعودياً بعد إن كانت ثمانية.

وتجددت الفتن الداخلية من جديد ففي شهري رمضان وشوال من سنة ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م ارتفعت الأسعار بسبب وصول الجند الأتراك إلى بندر جدة، ثم دخولهم إلى مكة، وتزايدت أعدادهم وهجموا على الناس في بيوتهم وأخذوا جماهم وحميرهم وشقاداتهم<sup>(١٦)</sup>، مما أثار حفيظة العرب في مكة وأعمالها واشتبكوا مع العثمانيين وأذاقوهم هزائم منكرة سواء بالقتل أو النهب وهذا بدوره أثر على الواصل من جدة وغلت الأسعار في الحبوب وقاسى الناس من ذلك، إلا أن هذه الفتنة ما لبثت أن سكنت وهدأ الناس، وذلك في أول شهر ذي القعدة ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م حيث حصل الأمن في طريق جدة وفي الأودية وباشرت القوافل حملتها إلى مكة فنزلت الأسعار، ثم وصلت قافلة من بجيلة فيها حبوب، وفي ٢٥ ذي الحجة ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م، وصل إلى ميناء جدة إحدى عشرة جلبة من اليمن فيها حبوب، وأربع جلاب من القصير، وبعد ثلاثة أيام وصلت جلاب أخرى إلى جدة، فرخصت الأسعار بمكة وهدأ الناس واستقرت نفوسهم.

ويعاود الغلاء الارتفاع في ربيع الأول من سنة ٩٣٣هـ / ١٥٢٦م. وفي جمادى الأولى وفي رجب فرج الله على الناس بوصول جلاب من اليمن والقصير. علاوة على ذلك تدخل المحتسب في توفير الحبوب في الأسواق. وعاقب جماعة من الباعة لعدم بيعهم الحبوب ورفعها من الأسواق؛ ثم - إضافة إلى ذلك - توزيع حبوب الصدقة على أهل مكة التي بعث بها الأمير جاتم الحمزاوي، فهذا أدى إلى رخص

الأسعار في الحبوب عامة وفي السمن والعسل والجبن خاصة؛ وهذا يعني -أيضاً- أن الصدقات كان لها الدور الكبير في نزول الأسعار واعتدالها. ولم يسجل المؤلف إلا حالة واحدة في سنة ٩٣٦هـ/ ١٥٢٩م في الثالث من رجب حيث يذكر أن الأسعار رخصت عندما وصلت قافلة من بجيلة فيها حب لقيميته.

ويعتبر عام ٩٣٨هـ/ ١٥٣١م من السنوات الرخية حيث الأسعار فيها رخيصة نظراً لتوفر الحبوب والسمن واللحم مع كثرة الفواكه والخضر، نظراً لكثرة الأمطار.

إلا أنه في السابع والعشرين من ذي القعدة ٩٣٨هـ/ ١٥٣١م، زادت الأسعار نحو الارتفاع بسبب قلة الحب الواصل من مصر، مع أنه في الأشهر السابقة كان متوفراً وخاصة من حبوب اليمن وبجيلة، وقد استمر الرخاء في الأقوات إلى موسم الحج.

وهذا الرخاء في الأقوات استمر إلى الحج حين كانت الأسعار رخيصة في جميع الأقوات بما فيها الفاكهة. حيث إن الأمطار كان لها الدور الكبير في مياه الشرب الذي كان يأتي عن طريق عين عرفه.

وفي سنة ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م أشيع بمكة المكرمة وأعمالها بوصول سفينة إلى كمران<sup>(١٧)</sup> فيها جماعة من الفرنج وهذه الإشاعة تأثر بها السكان في مكة وغلت الأسعار في جميع المواد الغذائية، واتضح فيما بعد أنها مجرد إشاعة لا أساس لها من الصحة. وهذا يعني أن الإشاعة الكاذبة كانت تؤثر سلباً على حياة الناس المعيشية ويتأثر بها التجار فيحتكرون الأقوات وتشتد الأزمة.

وقد وصف حج عام ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م بأن الوقفة المباركة كانت يوم الأربعاء، والحج هنيء، والأسعار رخيصة، والماء كثير في البرك، وهذا يعني توفر عنصر الاستقرار السياسي والأمني مما أثر على الحياة الاقتصادية لأهل مكة.

وكذلك كان الحال في حج عام ٩٤٠هـ / ١٥٣٣م، فقد كانت الأسعار رخيصة مع توفر الماء والأمن والاستقرار.

ومن الأسباب التي كانت تؤدي إلى غلاء الأسعار هو عدم سفر الحجاج في الوقت المحدد، فنجد أنه في الخامس والعشرين من شهر ذي الحجة من سنة ٩٤٠هـ / ١٥٣٣م. تأخر سفر حجاج الشام، وتضرر أهل مكة من إقامتهم إلى ذلك التاريخ فارتفعت الأسعار وقلت المياه، وقد تكررت هذه الحالة في حج عام ٩٤٣هـ / ١٥٣٦م حيث تأخر سفر حجاج بلاد الشام إلى ٢٦ ذي الحجة، فنلاحظ أنه في أيام الحج كانت الأسعار رخيصة نظراً لتوفر المواد الغذائية ولكن كثرة الحجاج وطول بقائهم في مكة أدى إلى نفاذ مخزون المواد الغذائية الأمر الذي ترتب عليه غلاء في الأسعار وفي المياه.

وفي حج عام ٩٤١هـ / ١٥٣٤م، عم الأمن والاستقرار بلاد الحجاز ورخصت أسعار الماء والحبوب والسمن وغيرها. غير أن الأسعار ما لبثت أن عادت إلى الغلاء في شهر محرم من سنة ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م، بسبب نقص الحبوب في جدة نتيجة لقيام القائد جوهر المغربي بشراء مائة إردب لشريف مكة الذي كان متوجهاً إلى جنوب مكة، مما أثر على مستوى الأسعار في مكة فارتفعت بسبب ذلك.

وفي شهر ربيع أول من ذات السنة نقصت المواد الغذائية نظراً لقلّة الواصل من اليمن ومصر فارتفعت الأسعار، واتجه الناس إلى إقامة صلاة الاستسقاء لأن الأرض مجدبة وفي حاجة إلى المطر، فذكروا الله كثيراً وسبحوا وصلوا ودعوا ففرج الله عنهم بالأمطار التي كان لها أكبر الأثر في اعتدال الأسعار ورخصها.

وفيما يتعلق بأثر زوار وضيوف بيت الله الحرام على استقرار الأسعار. نذكر أنه في السادس عشر من جمادى الأولى من سنة ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م. وصل إلى مكة

ركب السلطان بهادر شاه الهندي ومعه جماعة كبيرة من العسكر والنساء، وفي يوم وصوله تحركت الأسعار وارتفعت أسعار الأقوات والحب والسمن.

ويعد شهر شعبان من سنة ٩٤٢هـ / ١٥٣٥هـ من خيرة شهور تلك السنة رخاءً واستقراراً في الأسعار نظراً لكثرة الأمطار ووفرة المراعي والمياه مما أدى إلى رخص أسعار الحب والسمن واللحم. وعلى الدوام كانت الأمطار ومازالت مصدر خير وبركة على البلاد والعباد.

وفي شهر محرم من سنة ٩٤٣هـ / ١٥٣٦م ارتفعت أسعار جميع المأكولات بمكة، ولم يورد المؤلف سبباً لذلك، ولكن يبدو أن فترة الحج كان لها أثر بالغ في نفاذ كميات المواد الغذائية، لاسيما إذا علمنا أن بعض بعثات الحج كانت تتأخر إلى نهاية شهر الحج، وهذا يؤثر على استقرار السوق وعدم توفر المواد الغذائية.

وعلى أثر توجيهات وتعليمات المحتسب على أهل السوق، ففي أول ربيع أول من سنة ٩٤٤هـ / ١٥٣٧م نادى نائب الحسبة بمكة الزيني مصطفى الرومي في الأسواق بأن يرخصوا أسعار الفاكهة واللحوم، إلا أنه لم يستجب له أحد، إضافة إلى أن الباعة قاموا بإخفاء الفاكهة وامتنع الجزائريون عن ذبح الحيوانات فعدم اللحم، وقلت الفاكهة. فكان لتوجيهات المحتسب أثرها السلبي على أهل السوق وعلى المجتمع بصفة عامة.

وفي شهر صفر ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م، زادت الأسعار في مكة والسبب في ذلك أنها تتأثر بما يحدث في جدة حيث إن مقدم العسكر سليمان باشا وعساكره وصوله مراكبه إلى جدة أدى إلى زيادة الأسعار، إذ علمنا أن المواد الغذائية المتوفرة آنذاك لم تكن كافية لتلك الأعداد الكثيرة من الجنود، إضافة إلى أن نفاذ المواد التموينية من أسواق جدة أثر سلباً على حالة الأسعار في مكة.

وفي شهر رمضان من سنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م كانت الأسعار غالية فانعدمت الحبوب من الأسواق نظراً لقلّة الأمطار ثم لقلّة الواصل من الخارج، وقد فرج الله - سبحانه وتعالى - عن الناس من تلك الشدة عندما التجئوا إليه بالصلاة والذكر والدعاء فهطلت الأمطار بمكة وأعمالها، وسالت الأودية بما حملت من المياه وعم الرخاء، ثم ما لبث الناس أن تباشروا خيراً بوصول جلاب من اليمن ومن مصر مشحونة بالحبوب فرخصت الأسعار وعم الرخاء مكة وأعمالها.

وفي نهاية هذه الدراسة التحليلية لأسباب غلاء الأسعار ورخصها بمكة المكرمة في الفترة موضوع الدراسة، نجد أن الضرائب أو المكوس كان له أسوأ الأثر على استقرار واعتدال الأسعار، فقد أصاب الغلاء كل شيء جراء فرض الرسوم الباهظة على أهل السوق، فقد جعل على الدلالين في جميع المبيعات (٤٠٠٠) دينار أشرفي بعد أن كانت في السنة التي قبلها (٣٠٠٠) دينار، وعلى القبانين (٢٥٠٠) دينار، وعلى دلالي الرقيق (٥٠٠)، فصار مجموع تلك المكوس في شهر محرم من سنة ٩٤٦هـ / ١٥٣٩م وفي السنة التي قبلها مبلغ (١٢,٠٠٠) أشرفي. وتكرر فرض المكوس الثقيلة على التجار في شهر صفر من تلك السنة، وتضرر الناس بذلك كثيراً<sup>(١٨)</sup>.

#### أسباب غلاء الأسعار:

- ١- عدم نزول الأمطار.
- ٢- الفتن الداخلية والخارجية.
- ٣- تأخر سفر الحجاج إلى أوطانهم.
- ٤- كثرة الزوار وتوافدهم على مكة.
- ٥- كثرة الجند سواء في مكة أو في جدة.
- ٦- الإشاعة ودورها في رفع الأسعار.

٧- تأخر وصول المراكب الخارجية والقوافل الداخلية.

٨- التلاعب في أسعار صرف العملات.

### أسباب رخص الأسعار:

١- الالتجاء إلى الله بالصلاة والذكر والدعاء.

٢- هطول الأمطار وتوفر المياه والمراعي.

٣- استقرار الوضع السياسي والأمني في جدة ثم في مكة.

٤- توزيع الصدقات والأعطيات على أهل مكة، ولا سيما المحتاجين منهم.

٥- توفر المواد الغذائية عن طريق المراكب التجارية القادمة من الخارج من اليمن ومن ميناء زيلع ومصوع على ساحل أفريقية الشرقي ومن الهند ومن الموانئ المصرية. وكذلك وصول القوافل التجارية من الداخل من نجد ومن زهران وغامد وبجيلة، ومن أعمال مكة في الجنوب أو الشمال أو الشرق.

٦- تهيئة ميناء جدة لاستقبال المراكب التجارية القادمة من اليمن أو من شرق البحر الأحمر أو من مصر أو من ينبع حيث احتلت جدة مكانة مرموقة في التجارة الدولية وأصبح التجار يصلون إليها من الهند والصين مباشرة دون الوقوف في ميناء عدن، ثم إن أي تحسن يطرأ على ميناء جدة ينعكس أثره الإيجابي على الأسعار والحياة الاقتصادية في مكة.

## الخاتمة

يعدّ كتاب نيل المنى لجار الله بن عبد العزيز بن فهد من أفضل الكتب والمؤلفات التي ألفت في تاريخ مكة خاصة الاقتصادي منه، وذلك بسبب اهتمام المؤلف - رحمه الله-، بكل شئون مكة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية، فلم يترك - في نظر الباحث - أمراً من الأمور التي تهتم السكان داخل مكة إلا وتحدث عنه، وحيث احتلت الأمور المعيشية حيزاً واسعاً في كتابه واهتم بها كثيراً، وركز في كثير من الروايات على الأسعار وأحوالها ومدى توفر المواد الغذائية، فتجده يتحدث عن الأسعار وقرنها بأسبابها سواء كانت رخيصة أو غالية، ويذكرها مقرونة بالقيمة النقدية، وبالمكيال والميزان، والملاحظ أن الأسعار في جملتها، إما غالية أو معتدلة، ونادراً ما يتحدث المؤلف عن رخص الأسعار وأسباب ذلك الرخص.

## النتائج:

**أولاً:** أكثر المعلومات عن الأسعار وردت عن القمح، مما يدل على أهمية القمح في حياة الناس. ثم الذرة والسمن والعسل واللحوم والدخن والشعير والفواكه والتمور.

**ثانياً:** سيطرت عملة "المحلق" على تبادلات السوق التجارية، وكان التعامل به على نوعين، كبير وصغير، ومع عملة المحلق كان الدينار الأشرفي، الذي كان يستخدم في عمليات البيع والشراء الكبرى.

**ثالثاً:** تنوع استخدام المكايل والموازين ما بين المحلية المكية، وما بين المكايل العالمية سواء المصرية أو الشامية.

**رابعاً:** كانت الأسعار بمكة تتأثر وبشكل كبير عندما يتأخر استيراد الحبوب أو المواد الغذائية من خارج مكة، وهذا شكّل هاجساً كبيراً لولاة الأمر في السيطرة على السوق، كالمحتسب والذي غالباً ما كانت توجيهاته وأوامره لا تلقى أذناً صاغية فتكون سبباً في ازدياد الأزمة وتفاقمها بدلاً من انفراجها وحلها.

**خامساً:** طريقة عرض الأسعار في مكة والإفادة من جانب المؤلف عن حركتها وتذبذبها بين الرخص والغلاء تُعد في نظر الباحث آخر طريقة عرض منظمة لما يهم الأحوال المعيشية لسكان مكة المكرمة.

## مصطلحات البحث

### العملات:

المحلق: نوع من النقود الفضية (كما يفهم من أسعار الصرف) ضربت في مكة وراج استعمالها من أواخر القرن التاسع الهجري والنصف الأول من القرن العاشر الهجري، وكان هو المسيطر على عمليات البيع والشراء داخل أسواق مكة من أول سنة ٩٣٢هـ وأصبح هناك محلق كبير ومحلق صغير، وكان سعر الكبير يساوي محلقين ونصف صغير<sup>(١٩)</sup>.

الدينار الأشرفي: من العملات المستخدمة في مكة المكرمة، كان وزنه ٤١, ٣ جرام من الذهب، وينسب هذا الدينار إلى السلطان الملك الأشرف برسباني سلطان مصر<sup>(٢٠)</sup>.

العثماني: نقد عثماني ترد أحيانا باسم "عثامنه"، وهي دراهم عثمانية يبدو أنها من العملات الصغيرة، استخدمت في مكة كعملة مساندة لعملة المحلق، فمثلاً: كانت تباع كيلة القمح في سنة ٩٤٢هـ بمحلق كبير وعثماني<sup>(٢١)</sup>.

### المكايل:

الإردب: من المكايل، ومقداره يساوي ست وبيات أي ما يعادل (٢٤) ربعاً، أي ما يعادل (٦, ٦٩ كغم)<sup>(٢٢)</sup>.

المد: من المكايل التي ساد استعمالها في الحجاز، والمد يتسع لرطلين وقيل لرطل وثلاث، وهو ما يعادل (٥, ٨١٢ غم)<sup>(٢٣)</sup>.

الربعيه: مكيال مصري، أكبر من الصاع يتسع لأربعة أقداح وهو يساوي (٢٥, ٦ كغم)<sup>(٢٤)</sup>.

الغرارة: مكيال لأهل الشام، يتألف من (١٢) كيلاً أو (٧٢) مداً، قدرها الفاسي بالنسبة لأهل مكة بأنها (٥, ٢) غرارة مكية<sup>(٢٥)</sup>.

**الكيلة:** بالكسر مكيال للحبوب، وهي مكيال مصري يساوي ثمانية أقداح تساوي (٧, ٥) لتر<sup>(٢٦)</sup>.

**الجمل:** بكسر الحاء هو حمل بغير ويقدر في الخنطة وأمثالها بأردب أي ما يعادل (٦٠) كيلة<sup>(٢٧)</sup>.

### الموازين:

**الرطل:** من وحدات الوزن، استخدم في بلدان العالم الإسلامي، وقد اختلف في تقديره، فكان الرطل الحجازي يساوي (١٢) أوقية، كل أوقية (٤٠) درهماً<sup>(٢٨)</sup>.

**المن:** وحدة من وحدات الوزن يساوي رطلين كل رطل (١٣٠) درهماً، ويختلف تقديره حسب وجود استعماله في الدولة الإسلامية، وقد استخدم لوزن السمن والعسل وما شابه ذلك<sup>(٢٩)</sup>.

**القنطار:** وحدة وزن للأشياء الثقيلة، وقد اختلف في مقداره والراجح أنه يساوي (١٢٠٠) أوقية<sup>(٣٠)</sup>.

### وحدات بيع الماء:

**الشربة:** إما أن تكون الشربة هي القلة الصغيرة التي يحفظ فيها الماء، وهي مصنوعة من الفخار، وإما أن تكون مقدار ما يشربه الإنسان من الماء حتى يروى، وهو الرأي الراجح وذلك أشار ابن منظور<sup>(٣١)</sup>.

**الراوية:** جمعها روايا، وهي وعاء لحفظ الماء مصنوعة من جلد الثور أو الجمل، وتتسع الراوية لأربع قرب<sup>(٣٢)</sup>.

**القربة:** جمعها قرب، وهي أيضاً وعاء لحفظ الماء مصنوعة من جلد الماعز أو الضأن<sup>(٣٣)</sup>.

### المواد الغذائية:

- الحب الحجازي: الحب الذي يأتي من بلاد السراة وتهامة.
- الحب المصري: الحب الذي يجلب من مصر بواسطة السفن التجارية.
- الحب اليماني: نوعان، حب يأتي من بلاد اليمن عن طريق الموانئ البحرية، وحب يأتي من جنوب مكة، وخاصة من المخواه والليث وبعض المناطق الزراعية.
- حب بجيله: الحب الذي يأتي من ديار بجيله في بلاد السراة.
- الحنطة اللقيمية: من أفضل أنواع الحبوب، كانت تزرع في الطائف وبجيلة، ونظراً لجودتها كان لها سعر خاص من بين سائر الحبوب<sup>(٣٤)</sup>.
- الحبوب الزيلعيه: نوع من الحبوب، تنسب إلى قرية زيلغ الواقعة على ساحل البحر الأحمر، وقد اشتهرت بجودة قمحها وكثرت<sup>(٣٥)</sup>.
- الحنطة النخلية: الحنطة النظيفة التي نظفت بواسطة المنخل أو الغربال.
- الحب المليح: القمح الجيد الخالي من الشوائب.
- الحب الرديء: القمح الذي تسوده الشوائب أي أنه غير نظيف ويطلق عليها اسم الحنطة (المابيه)<sup>(٣٦)</sup>.
- الذرة الدهلكية: هي التي تنسب إلى جزيرة دهلك.
- حب السيال: حب صغير الحجم يزرع في السهول الساحلية المتاخمة للمرتفعات الجبلية، وهي يشبه إلى حد ما حب الدخن.
- الرطب البرني: هو نوع من أنواع التمور التي يصل نضجها إلى مستوى التمر العادي، وهي في الغالب تزرع في بيثه وفي المدينة.

- **تمر اللبانه:** نوع من التمور التي تميل في لونها إلى الاصفرار المخلوط بالبياض، وهي لذيذة الطعم، وتزرع في مزارع تربه والأحساء والمدينة المنورة.
- **شكوة اللبن:** مصنوعة من جلد الماعز، وعاء لخص اللبن حتى تخرج منه الزبدة، وكانت منتشرة في القرى والأرياف، والبوادي، وكان لابد من وجودها لفصل الزبد عن اللبن.

### الهوامش والتعليقات:

- (١) جار الله بن فهد: نيل المنى، مقدمة المحقق، ص ٥-١٥.
- (٢) بجيلة: قبيلة قديمة كان لها الدور الكبير في تموين مكة المكرمة بالمواد الغذائية وخاصة حبوب الخنطة اللقمية، وهي الآن قرية ضمن قبيلة بني مالك التابعة لمحافظة الطائف. انظر: البلادي: معجم معالم الحجاز، ١/١٧٨.
- (٣) سواكن: بلد على ساحل البحر الأحمر من جهة الشرق، وهي من مدن جمهورية السودان الحالية ولها صلة بميناء بور سودان لقربها منه. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٣/٧٦.
- (٤) زيلع: قرية على ساحل البحر من ناحية الحبشة. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ٣/١٦٤.
- (٥) بربره: بلاد بين بلاد الحبشة واليمن على ساحل بحر اليمن، وهي اليوم مرفأ صومالي على خليج عدن. انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ١/٣٦٩. البغدادي: مراصد الإطلاع، ١/١٧٦.
- (٦) وعن مصادر التموين الغذائي لمكة المكرمة يمكن الاطلاع على الكتب التالية:
  - ابن الجاور: تاريخ المستبصر، ص ٩-١٣.
  - ابن بطوطه: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ص ٧٤٩ وما بعدها.
  - الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام.
  - عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ١/٤٢٣.
  - جار الله بن فهد: نيل المنى، ج ١/ ٢٢٢ وما بعدها.
  - ريتشارد مورتييل: الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي، ص ١٧٣-١٩٣.
  - ضيف الله يحيى الزهراني: أسعار المواد الغذائية بمكة المكرمة خلال العصر المملوكي، ص ١٣-١٨.
- (٧) الزهراني: المرجع السابق، ص ٢١.

- (٨) مصادر أسعار القمح (الحنطة): جار الله بن فهد: نيل المنى، ج ١/٣٤، ٧٤، ٨١، ٨٣، ١٠٥، ١٠٨، ١٤٩، ١٢٩، ١٢٥، ١١٤، ١١٢، ١٥٧، ١٦٢، ١٦٥، ١٨٧، ٢٠٢، ٢١٣، ٢٢٢، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٥١، ٢٩٥، ٢٩٩، ٣٠٢، ٣٢٦، ٣٣٣، ٣٤٠، ٣٥٨، ٣٦١، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٩٤، ٣٩٧، ٣٩٨، ٥٤٣/٥٠٨. ج ٢/٥٩٦، ٥٩٣، ٥٧٦، ٦٠١، ٦٠٤، ٦٠٥، ٧٤٩، ٧٥٧، ٧٨٤، ٧٨٧، ٧٩٤. الجزيري: درر الفرائد ص ٣٦٥، ٣٧١، ٣٧٨.
- (٩) مصادر أسعار السمن والعسل: جار الله بن فهد: نيل المنى، ج ١/٨١، ٩١، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١١٢، ١١٣، ١٥٧، ١١٤، ٢٢٢، ٢٢٩، ٢٩٥، ٢٩٩، ٣٠٢، ٣٦٦، ٣٨١، ٣٩٩، ٥٤٣. ج ٢/٥٥٩، ٥٩٣، ٦٠١، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٤٧، ٧٤٩، ٩٨١، ٧٥٧، ٧٧٧، ٧٨٧، ٧٨٥.
- (١٠) مصادر أسعار اللحوم: جار الله بن فهد: المصدر السابق، ج ١/٨١، ٩١، ١١٢، ١٥٧، ١٦٢، ٢١٣، ٢٩٥، ٣٠٢، ٣٨١، ٣٦٧، ٣١٢، ٣٩٩، ٤٣١، ٥٤٣، ٥٠٧. ج ٢/٥٥٩، ٦٠٤، ٧٥٧، ٧٤٩، ٧٠١، ٦٠٥، ٧٧٧، ٧٨٥، ٧٨٧.
- (١١) مصادر أسعار الفواكه و التمور: جار الله بن فهد: المصدر السابق، ج ١/٨١، ١٠٠، ١٠٧، ١٥٧، ٣٦١، ٣٦٧، ٤٣١، ٥٤٣. ج ٢/٧٠١، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٨٧.
- (١٢) مصادر أسعار الجبن: جار الله بن فهد: المصدر السابق، ج ١/٨١، ١٠٠، ٢١٣، ٢٢٢، ٢٢٩، ٣٩٩، مصادر أسعار الدخن والشعير والبقول: ج ١/٧٤، ١٠٣، ١٠٧، ١١٢، ٢٣٤، ٣٠٢، ٣١٥، ٣٢٦، ٣٣٣، ٣٥٨، ٣٦٦، ٣٧٠، ٣٦٧، ٣٨٠، ٣٩٤، ٥٤٣. ج ٢/٦٠١، ٧٥٧، أسعار الأرز ج ١/٨١، ١٠٠، ١٠٤، ٣٨٠. ج ٢/٧٥٧.
- (١٣) مصادر أسعار الذرة: جار الله بن فهد: المصدر السابق، ج ١/٧٤، ١٠٣، ١١٢، ١٦٢، ٢٣٤، ٣٠٢، ٣١٥، ٣٣٣، ٣٥٨، ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٩٤، ٣٨٠، ٥٤٣. ج ٢/٦٠١.
- (١٤) مصادر أسعار الماء: جار الله بن فهد: المصدر السابق، ج ١/٨١، ١٥٧، ٢١٣، ١٦٢، ٢٦٨، ٢٨٧، ٢٩٩، ٢٩٥، ٣٥٢، ٣٧٦، ٥٤٣. ج ٢/٥٧٦، ٥٩٣.
- (١٥) دهلك: تقع في البحر الأحمر، وهي مجموعة من الجزر المتقاربة تقابل ميناء مصوع، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٢/٤٩٢.
- (١٦) الشقادف: جمع شقدف، وهو عبارة عن كرسيين بطول الشخص الممتد متمائلين لا يستقل أحدهما بالوقوف دون الآخر، ويعلو كل قسم قبة على شكل نصف دائرة من أعواد

- الشوحط، تكونان مع بعضهما البعض قبة كاملة مغطاة بقمماش للوقاية من حرارة الشمس والأمطار، انظر: محمد لبيب البتنوني: الرحلة الحجازية، ص ٥٤.
- (١٧) جزيرة كمران: جزيرة في البحر الأحمر هي إلى اليمن أقرب، وتقع أمام مدينة زيد، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٢ / ١٣٩.
- (١٨) عن أسباب رخص وغلاء الأسعار يمكن الاطلاع على: جار الله بن فهد: نيل المنى: ج ١ / ٧٤، ٨١، ٨٢، ٨٣، ١٠٣، ١٠٦، ١١٢، ١٠٨، ١٤٩، ١٨٧، ٢٠٢، ٢١٣، ٢٢٢، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٥١، ٢٦٨، ٣٠٢، ٣١٢، ٣١٥، ٣٢٥، ٣٣٣، ٣٢٦، ٣٥٨، ٣٤٠، ٣٢٦، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٨٠، ٣٩٤، ٣٩٧، ٥٠٨، ٥٣١، ٥٤٣، ٥٥٠، ٥٥٢، ٥٥٩، ٥٧٦، ٥٩٣، ٥٩٦، ٦٠١، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦١٣، ٦٤٧، ٦٨١، ٦٩٠، ٧٠١، ٧٤٠، ٧٤٩، ٧٥٧، ٧٨٠، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٧.
- (١٩) النجم ابن فهد: إتحاف الوري، ٤ / ٦٣٩، حاشية (٢). مورتيل: الأحوال السياسية، ص ١٩٦. الزهراني: أسعار المواد الغذائية، ص ١٠٨.
- (٢٠) انظر: السخاوي: التبر المسبوك، ص ٧٤. عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج ١ / ٨٣٣، ٨٤٨، ٨٦٠.
- (٢١) محمد علي فهم بيومي: خصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني، ص ٤٥.
- (٢٢) الزهراني: أسعار المواد الغذائية بمكة، ١٠٥.
- (٢٣) ابن الرفعة: الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، ص ٥٦. فالترهنتس: المكايل والأوزان الإسلامية، ص ٧٤.
- (٢٤) انظر: ابن الرفعة: الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، ص ٧٣. ويعتبر مكيال الربعية من المكايل المعروفة والمشهورة في مكة وبها كانت تكال الحبوب في مكة ويمكن مطالعة ذلك من خلال جداول الأسعار.
- (٢٥) الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ٢ / ٤٣٤.
- (٢٦) سامح عبد الرحمن فهمي: المكايل في صدر الإسلام، ص ٤٣.
- (٢٧) أحمد السباعي: تاريخ مكة، ص ٢٨٠.

- (٢٨) ابن الرفعه: الإيضاح والتبيان، ص ٥٥ / ٥٦ . الزهراني: أسعار المواد الغذائية بمكة، ص ١١٠ .
- (٢٩) فالترهنتس: المكايل والأوزان، ص ٤٥ . الزهراني: أسعار المواد الغذائية ص ١١٠ .
- (٣٠) ابن منظور: لسان العرب، ٤ / ١١٨ .
- (٣١) ابن منظور: المصدر السابق، ج ١ / ٤٨٨ .
- (٣٢) محمد بن الحاج: المدخل، ٤ / ١٧٨ .
- (٣٣) ابن الحاج: المصدر السابق، ٤ / ١٧٨ .
- (٣٤) ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص ٢٥ .
- (٣٥) انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٣ / ١٦٤ . الزهراني: أسعار المواد الغذائية بمكة، ص ١٠٨ .
- (٣٦) الزهراني: المرجع السابق، ص ١٠٧ .

## ثبت المصادر والمراجع

### أولاً: المصادر:

- البتونوي، محمد لبيب (ت ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م): الرحلة الحجازية، مكتبة المعارف، الطائف، الطبعة الثالثة، سنة ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، أو رحلة ابن بطوطة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.
- البغدادي، عبدالمؤمن بن عبدالحق (ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م): مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق وتعليق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م.
- الجزري، عبدالقادر بن محمد (ت ٩٧٧هـ / ١٥٦٨م): درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، المطبعة السلفية، القاهرة، سنة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.
- ابن الحاج، العبدري: المدخل، القاهرة، سنة ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م.
- الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله بن ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
- ابن الرفعة، أبي العباس نجم الدين الأنصاري (ت ٧١٠هـ / ١٣١٠م): الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، تحقيق: محمد أحمد إسماعيل الخاروف، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، دار الفكر، دمشق، سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- السخاوي، محمد بن عبدالرحمن بن محمد (ت ٩٠٣هـ / ١٤٩٧م): التبر المسبوك في ذيل السلوك، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، بدون تاريخ.
- الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد بن علي (ت ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م): شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

- ابن فهد، جار الله محمد عبدالعزيز عمر الهاشمي (ت ٩٥٤هـ / ١٥٤٧م): نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الوري، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- ابن فهد: عبدالعزيز بن عمر الهاشمي (ت ٩٢٢هـ / ١٥١٦م): بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري بأخبار أم القرى، تحقيق: صلاح الدين خليل إبراهيم وآخرون، القاهرة، دار القاهرة، سنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م.
- ابن فهد، عمر بن محمد نجم الدين (ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م): إتحاف الوري بأخبار أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، الجزء الرابع، تحقيق: عبدالكريم الباز، سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ابن المجاور، يوسف بن يعقوب (ت بعد: ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م): صفة بلاد اليمن ومكة وبعض بلاد الحجاز، المسمى بتاريخ المستبصر، تحقيق: أوسكر لوفقرين، منشورات المدينة، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ / ١٣١١م): لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

### ثانياً: المراجع:

- البلادي، عاتق بن غيث: معجم معالم الحجاز، دار مكة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- بيومي، محمد علي فهميم: مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني في الفترة من (٩٢٣-١٢٢٠هـ / ١٥١٧-١٨٠٥م) دار القاهرة للكتاب، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- الزهراني، ضيف الله يحيى: أسعار المواد الغذائية بمكة المكرمة خلال الفترة (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، سنة ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

- السباعي، أحمد محمد (ت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م): تاريخ مكة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، مطبوعات نادي مكة الثقافي، الطبعة السابعة، سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- فالترهنتس: المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المترى، ترجمة عن الألمانية الدكتور: كامل العسيلي.
- فهمي، سامح عبدالرحمن: المكايل في صدر الإسلام، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.
- مورتيل، ريتشارد: الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.



## **Publication Guidelines and Regulations**

### Definitions

1. Umm Al-Qura University magazines are refereed scientific periodicals that aim at providing scholars in different fields of knowledge an opportunity to publish their products. The "Journal of Islamic Knowledge (Shari'a) and Islamic Studies" is one of them.
2. The journal is published three times a year, each four months.
3. The following can be published in the magazines:
  - a. Unpublished original scientific research. which has not been, submitted anywhere else for publication.
  - b. Translations of serious scientific research
  - c. Study and authentication (editing) of manuscripts of Islamic heritage.
  - d. Reviews and introductions of books.
  - e. Reports on conferences, forums and other related scientific activities.
  - f. Final reports about the scientific research financed by the university or others.
  - g. Summaries of outstanding university theses.
    4. Works related to items (1,2,3) should not exceed 50 pages and works mentioned in (4,5,6,7) should not be more than 10 pages.
5. Arrangement of the topics is subject to technical factors.
6. The materials published in the university publications represent the views of their authors.

### **Responsibilities of the researcher and his rights**

1. A researcher should submit his research in 4 hard copies using IBM compatible computer technology (MS Word 4 or later). It had better be in conformity with the following: Printing area "12.5 cm 18.7 cm", point size 14 points for the text, 12 points for footnotes and references, and the titles should be 18-24 points. Double spaced lines should be used.

2. Appropriate Arabic and English summaries (not exceeding 200 words each) should be submitted.
3. A summary of CV to be submitted in a separate sheet.
4. Drawing originals drawn on paper using black Chinese.
5. For documentation purposes, only one of the acceptable reference styles with a single continuous reference number should be used throughout the paper
6. References should be registered at the end of the research. They should be arranged alphabetically with the researcher's family name followed by first names or their abbreviations, book title in brackets or in italics or underlined.
7. A researcher, a translator, an editor, an author of a discussion paper, a review, a report, or a university thesis summary will be provided with 20 copies of his work and one copy of the publication in which the work has appeared.

### **Distribution of the Journal and Correspondence**

- a. The journal is sold for 20.00 Saudi Riyals or US\$40.00.
- b. Annual subscription fee is 120.00 Saudi Riyals or US\$60.0.
- c. Requests for exchange and gifts should be addressed to the Deanship of Library Affairs, Umm Al- Qura University, P.O. Box No. 715, Makkah, Saudi Arabia.
- d. All correspondence, subscription and purchasing applications should be addressed to the Chief Editor at: Umm al-Qura University Magazine (Journal of Islamic Knowledge (Shari'a) and the Arabic Language and Literature), Umm al-Qura University, P. O. Box No. 715, Makkah, Saudi Arabia.

**E-mail :** [www.uqu.edu.sa](http://www.uqu.edu.sa)

**Contact us at :** [www.sajournal@uqu.edu.sa](mailto:www.sajournal@uqu.edu.sa)





## **Supervisory and Editorial**

### **General Supervisor**

**Dr. Bakry bin Matuq Assas**

Rector, Umm Al-Qura University

### **Vice-General Supervisor**

**Prof. Thamir bin Hamdan Al-Harbi**

Vice-Rector for Graduate Studies and Scientific Research

### **Editor in Chief**

**Prof. Yousef bin Ali Althagafi**

### **Members**

Prof. Mohamed bin Omar Bazmool

Prof. Taha Ahmed Abdeen

Prof. Lutf Allah bin Mullah Khojah

Dr. Saad bin Mousa Al-Mousa

Dr. Ahmed bin Qosta, Makhoulouf

Dr. Mahmoud bin Hamed Osman

Dr. Alaa El Din Hussein Rahal

Dr. Ahmed bin Mohammed Al-Yamani

Dr. Mohammed bin Ibrahim Al-Namlah



**In the Name of Allah  
The Most Gracious The Most Beneficent**





**Umm Al-Qura University**  
**Journal of Islamic Knowledge (Shari'a)**  
**and Islamic Studies**

**Volume No. 61**

**Jumada I 1435Ah. Mar. 2014**